

المجلد
٦

المكتبة الأنثروبولوجية

قضايا قطري

للخشي القروي
"١٩٧١ - ١٩٦١"

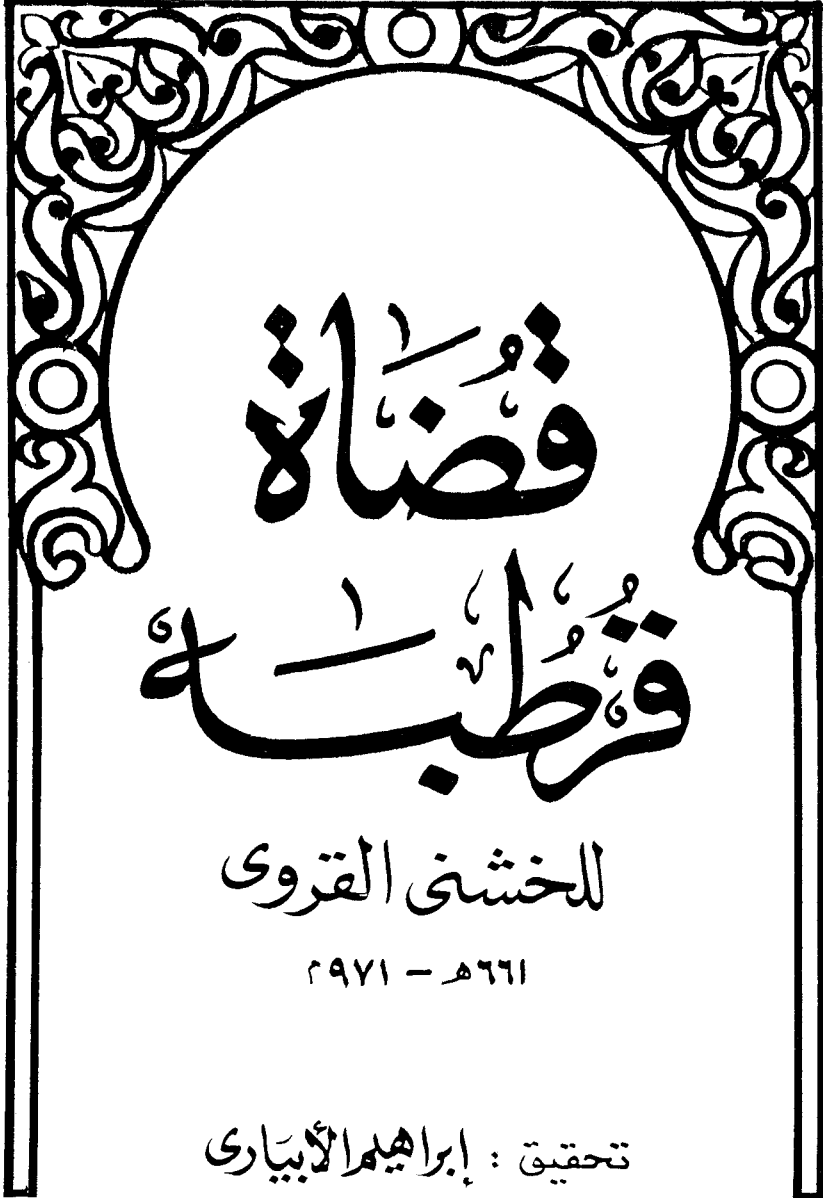
محقق: إبراهيم الأبياري

دار الكتاب اللبناني
بيروت

دار الكتاب العربي
الطامة

مجلة
66

المكتبة الإلكترونية

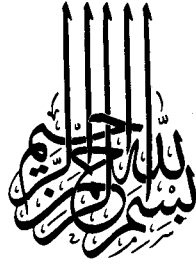


للخشي القروي

٢٩٧١ - ٥٦٦١

تحقيق : إبراهيم الأبياري

دار الكتاب للمصري دار الكتاب اللباني
المتاهرة بيروت



دار الكتاب اللبناني

شارع مدام كوري - مقابل فندق بريستول
ت: ٨٦٠٧٩٢ / ٨٦١٥٦٣
ص. ب: ١١/٨٢٢
TELEX: DKL 23715 LE
ATT: MAY. H. EL-ZEIN
بيروت - لبنان

جميع
حقوق
الطبع
والنشر
محفوظة
للمنشرين

دار الكتاب المصري

٢٢ شارع نصر النيل - القاهرة ج. م. ع.
ت ٢٩٢٢١٦٨ / ٢٩٢٤٣٠١
ص. ب: ١٥٦ - الرمز البريدي ١١٥١١ بوليا كندا مصر
TELEX No. 23081-23381-22181
ATT MR. HASSAN EL-ZEIN
فاكس: ٣٩٢٤٦٥٧

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

تقديم

وينتظم هذا التقديم :

- ١ - المراجع .
- ٢ - التعريف بالمؤلف .
- ٣ - التعريف بالكتاب .

(١)

المراجع

- ١ - الأعلام للزركلي (٦ : ٣٠٣) .
- ٢ - الأنساب للسمعاني (ص : ٢٠٠ وجه) .
- ٣ - بغية الملتبس للضبي (ت : ٩٦) .
- ٤ - تاريخ الأدب العربي لبروكلمان (٣ : ٨٨ - ٨٩) .
- ٥ - تاريخ علماء الأندلس لابن الفرضي (٢ : ١١٤ - ١١٥) .
- ٦ - التبيان (مخطوط) لابن ناصر الدين (وفيات سنة : ٣٧١ هـ) .
- ٧ - تذكرة الحفاظ للذهبي (٣ : ٢٠٩) .
- ٨ - جذوة المقتبس للحميدى (ت : ٤١) .
- ٩ - جمهرة أنساب العرب لابن حزم (ص : ٤٥٥) .
- ١٠ - الديباج المذهب لابن فرحون (٢٥٩ - ٢٦٠) .

- ١١ - كشف الظنون لحاجي خليفة (١ : ٢٩) .
- ١٢ - معالم الإيمان لابن التاجي (٣ : ١٠٠) .
- ١٣ - معجم الأدباء (الإرشاد) لياقوت (١٨ : ١١١) .
- ١٤ - معجم البلدان لياقوت (٢ : ٤٤٨) .
- ١٥ - نفح الطيب للمقري (٤ : ١٦٦-١٦٧) .
- ١٦ - هدية العارفين لإسماعيل البغدادي (ص : ٣٨) .

(٢)

التعريف بالمؤلف

الحشني ، هو أبو عبد الله محمد بن الحارث بن أسد ، كما ذكره ابن الفرضي وابن فرحون ، وعنهما فيما يسدى نقل الزركلي ، وأما السمعاني وياقوت والضبي والحميدى وغيرهم ممن ذكرنا ، فقد عدلوا واختصروا فقالوا في اسمه : محمد بن حارث الحشني ، وقريب من هذا من إضافة جديدة ماجاء في عنوان الكتاب ، فتميه : أبو عبد الله محمد بن حارث الحشني القروي .

وليس ثمة بين هذه المراجع من رفع نسبه إلى غير (أسد) ، فلاندرى من أسد هذا ؟ غير أن الحديث عن لقبه الحشني ربما كشف عن هذا شيئاً .

فهذا اللقب الحشني ، الذي هو بضم الحاء وفتح الشين المعجمة وفي آخره النون ، ينتهي كما يقول السمعاني إلى قبيلة وقرية .

أما القبيلة فهي خشين ، وهي بطن من قضاة ، وخشين هذا الذي به عرفت القبيلة هو : خشين بن النجر بن وبرة بن تغلب بن حلوان بن عمران ابن الحافي بن قضاة .

وأما القرية المعروفة باسم : خشين ، فهي موضع يافريقية .

نقل هذا السمعاني عن ابن مأكولا في كتابه الإكمال .

كذا يقول السمعاني ، ولم يذكر ياقوت في كتابه معجم البلدان بلدا آخر بهذا الاسم في إفريقية ، وإنما ذكر أرضا بهذا الاسم في الشرق قفلا

عن ابن إسحاق ، فقال ، وهو يتحدث - أعني ابن إسحاق - عن غزوات النبي صلى الله عليه وسلم : وغزوة زيد بن حارثة من أرض خشين .
ثم زاد ياقوت نقلا عن ابن هشام : قال ابن هشام : من أرض حسمى .

وقال ياقوت عند كلامه على حسمى : حسمى لجنام ، جبال وأرض بين أيلة وجانبي تيه بني إسرائيل .

وذكر السمعاني أن من بين من ينتسبون إلى خشين بن النمر : أبو ثعلبة الحشني وآخرون ، واستطرد فذكر مع هؤلاء الآخرين محمد بن حارث الحشني .

ولم يفصح السمعاني ، أهو منسوب إلى القبيلة أو إلى القرية ، ولكن الذي يبدو من السياق أنه منسوب إلى القبيلة .

ويكاد يرجح هذه ما ذكره ابن حزم في الجمهرة إذ يقول ، وهو يتكلم على خشين بن النمر : منهم أبو ثعلبة الحشني ، واسمه الأشرس بن جرم ، له صحبة ، شهد بيعة الرضوان وخيبر .

ثم يقول - أعني ابن حزم - : ودار خشين بالأندلس جيان وأعمال لبيرة ، ومنهم بلبلة عددٌ .

غير أن قول ابن الفرضي عن الحشني من أنه كان من أهل القيروان ، وأنه تفقه بها ، يكاد يردنا عن هذا الترجيح ، هذا إذا ضمنا إليه هذه النسبة التي اتسبب بها الحشني فقبيل له : القروي ، والقروي ، نسبة إلى القيروان .

ثم إذا قرأنا ما لابن فرحون في هذه فإنه يكاد يزيدنا شكاً ، يقول ابن فرحون : وتفقه بالقيروان على أحمد بن نصر ، وأحمد بن زياد ،

وأحمد بن يوسف ، وابن اللباد ، والمعمرى ، وسمع من غير واحد من شيوخ إفريقية ، وقدم الأندلس حدثاً وسنه اثنتا عشرة سنة ، فسمع من ابن أيمن ، وقاسم بن أصبغ ، وأحمد بن عبادة ، ومحمد بن يحيى بن لبابة ، والحسن ابن سعد ، وغيرهم من القرطبيين ، واستوطن بعد هذا قرطبة .

ثم يقول بعد هذا : وقد دخل سبته قبل العشرين وثلاثمائة .

ولا ندرى كم كانت سنه عندها فنحن نجعل تاريخ ميلاده .

ثم يقول ابن فرحون : فحبسه أهلها عندهم ، وتفقه عليه قوم منهم .

ثم يقول ابن فرحون أيضا : ثم دخل الأندلس وتردد في كور الثغور أخيراً بقرطبة .

ثم يقول ابن فرحون أيضا : وولاه الحكم المواريث ببيجاية - وهي مدينة إفريقية - وولى الشورى بقرطبة .

وهكذا نرى أن محمد بن الحارث كان مولده بإفريقية بالقيروان ، وإليها نسب ، فقبل له : القروى ، وأنه عاش سنه الأولى بها ، ثم اختلف إليها كما اختلف إلى غيرها من مدن إفريقية مرات .

ويغفل السمعاني هذا فلا يذكر شيئا عن نسبة محمد بن الحارث إلى القيروان ، ويحتزىء بقوله : أنداسى قرطبي ، ولا يقول : قروى .

ويزيد ابن فرحون فيحدثنا عن تلامذة الحشنى فيقول : حدث عنه أبو بكر بن حويل ، وغيره .

ويكاد كلام ابن فرحون يكون فيه ما يغنى عن نشأة محمد بن الحارث وشيوخه ، ثم يزيدنا عن وصفه فيقول : وكان عالما بالأخبار وأسماء الرجال ، وكان حكيما يعمل الأدهان ويتصرف فى الأعمال اللطيفة ، شاعرا بليغا إلا أنه يلحن .

كما يقول عنه : كان حافظا للفقہ متقدما فيه ، نبهاً ذكياً ، فقيها فطنا ، متفننا عالماً بالفتيا ، حسن القياس في المسائل .

ويقول نقلا عن أحمد بن عباد : رأينا ابن حارث في مجلس أحمد بن نصر - يعني وقت طلبه بالقيروان سنة إحدى عشرة - وهو شعلة يتوقد في المناظرة .

إلى أن يقول : وآلت به الحال بعد موت الحكم وتقصير ابن أبي عامر بصنائع الحكم إلى الجلوس في حانوت لبيع الأدهان .

. . .

ولقد قلت قبل : إن تاريخ مولد محمد بن الحارث مجهول ، ولكننا إذا عدنا إلى ما نقلته عن ابن فرحون من أن محمد بن الحارث قدم الأندلس حدثا وسنه اثنتا عشرة سنة ، ثم إلى ما نقلته عن ابن فرحون أيضا وهو يحدثنا عن محمد بن الحارث في مجلس أحمد بن نصر ، ثم إلى ما يزيد ابن الفرضي بأن ذلك كان في القيروان ، وكان ذلك سنة إحدى عشرة ، أي ثلاثمائة وإحدى عشرة .

إذا عدنا إلى هذا وذاك استطعنا أن نقول : إن مولد محمد بن الحارث كان في أواخر القرن الثالث الهجري ، أي فيما بين سنتي ٣٢٩ و٣٠٠ ، وعندها كان محمد بن الحارث في التاسعة أو العاشرة من عمره ، وما نظن سن التلقى تكون دون هذه السن أو تلك .

هذا عن مولد محمد بن الحارث ، أما عن تاريخ وفاته فالمؤرخون فيه يختلفون ، فيذكر السمعاني أنه - أي محمد بن الحارث - كان حيا في حدود سنة ثلاثين وثلاثمائة .

ومثل هذا يقوله الحميدى والضبي ، وقولهما يسكاد يكون واحدا ،

قالا : وقد أفصح أبو سعيد بن يونس باسمه - أى باسم الخشني - ونسبه في موضعين من تاريخه ، في باب السين وفي باب النون ، وما أراه لقيه ولكنه عاصره وكان في زمانه .

إلى أن يقول : كان حياً - أى الخشني - في حدود الثلاثين وثلاثمائة .

وهذا ما نقله ياقوت في كتاب معجم الأدباء ولم يزد .
وهذه الأقوال كلها لا تفيد شيئاً في تعيين سنة وفاته ، وإنما تذكر حياة امتدت بعد هذا لاشك .

ونرى إسماعيل البغدادي في كتابه هدية العارفين يذكر أن وفاة الخشني كانت سنة خمس وثلاثين وثلاثمائة .

ولاندرى من أى مرجع استقى إسماعيل البغدادي هذا .
ونرى ابن الفرضي يبعد عن هذا بعداً كثيراً ، فيقول : توفي رحمه الله - يعنى الخشني - بقرطبة لثلاث عشرة ليلة خلت من صفر سنة إحدى وستين وثلاثمائة .

ويزيد ابن الفرضي فيقول : ودفن بمقبرة مومرة .
وقريب من قول ابن الفرضي هذا ما يذكره ابن فرحون ، يقول :
وتوفي - يعنى الخشني - بقرطبة في صفر سنة إحدى وستين وثلاثمائة .

ثم يزيد ابن الفرضي ويقول : وقيل : سنة أربع وستين .
ويقول الذهبي في كتابه تذكرة الحفاظ : فإنه مات في صفر سنة ٣٦١ هـ
وهذا خطأ ، فإن المستنصر عاش بعد هذا الوقت سنة ٣٧١ هـ .

وما من شك في أن الذهبي اعتمد في هذه على ما جاء من كلام لابن

فرحون انفرد به ، وذلك حين يقول : وآلت به الحال - يعنى الخشنى -
بعد موت الحكم ، وهى العبارة التى سقناها قبل كاملة .

ولقد كانت وفاة الحكم المستنصر سنة ست وستين وثلثمائة (٥٣٦٦هـ) .

لهذا ظن الذهبي هذا الظن من أن فى المساق خطأ ، ورأى « الستين » ،
محرقة ، عن « السبعين » ، ولا أدرى لم لم يقل غيرها .

ويبدو أن ناصر الدين فى كتابه التذيان حين ذكر اسم الخشنى فى
وفيات سنة ٣٧١هـ كان اعتماده على ما ذهب اليه الذهبي .

كما يبدو أن بروكلمان فى كتابه تاريخ الأدب العربى كان معتمده هو
الأخر على ما قاله الذهبي ، ولكنه فيما نقل كان غير جازم إذ يصدر قوله
عن تاريخ الوفاة بقوله : ويبدو ، كما فعل الذهبي .

غير أن بروكلمان إلى هذا يخالف من سبق فى اليوم فيقول : توفى -
يعنى الخشنى - بقرطبة ، وكانت وفاته يوم ٢ من صفر سنة ٣٧١هـ
(أغسطس سنة ٩٨١ م) .

. . .

هذا تفصيل ما قيل عن وفاة الخشنى ، ونكاد نفيد :

١ - أن الخشنى كان حيا إلى أيام الحكم المستنصر .

٢ - ونحن نعلم أن الحكم المستنصر ولى الخلافة ، بعد وفاة أبيه سنة
خمسین وثلثمائة (٥٣٥٠هـ) وبقي فيها إلى أن توفى سنة ست وستين
وثلثمائة (٥٣٦٦هـ) .

٣ - وأن عبارة ابن فرحون تحتاج إلى وقفة ، فلقد قال عن وفاة
الخشنى ، كما عرفت قبل : إنها كانت سنة إحدى وستين وثلثمائة ، ثم قال :
وقيل : سنة أربع وستين وثلثمائة .

وما نظن ابن فرحون كان يجهل تاريخ وفاة الحكم حين قال ذلك ،
وأنها كانت سنة ست وستين وثلثمائة .

٤ - إذن كيف وقع ابن فرحون في هذا الخلط ، وهو المعتمد الذي
اعتمد عليه الذهبي فيما أظن ، والذي تابعه عليه ابن ناصر الدين ،
ثم بروكلمان .

٥ - ثم ما هذا الاختلاف في اليوم الذي توفي فيه الخشني ، ولقد
حدده أقرب الناس إلى الخشني زمنياً ، وهو ابن الفرضي ، وأغفله
ابن فرحون صاحب هذه العبارة الملبسة ، وجاء بروكلمان فيه بجديد ينقله
عن التبيان .

٦ - وإنما لهذا نكاد نقول بما قال به ابن الفرضي ، وهو أقرب الناس
زمنياً إلى الخشني ، وهو قوله الذي سقته قبل : إن وفاة الخشني كانت سنة
إحدى وستين وثلثمائة ، وهو القول الذي أيده عليه ابن فرحون .

. . .

وبما سقنا عن مولد الخشني ووفاته نستطيع أن نقول : إنه - أي الخشني
- لم يعمر طويلاً ، وإنه عاش بعد الستين بقليل ، وإن عمره عندها كان
نحواً من أربعة وستين عاماً ، أو ثلاثة وستين عاماً .

. . .

وفي هذا العمر ، الذي ليس بالقصير ولا الطويل ، كانت للخشني فيه
مؤلفات ، أظنه بدأها مبكراً ، إذ كان نضجه العلمي مبكراً كما رأيت .
ولقد كانت صلته بالحكم المستنصر الذي ألف له كتبه ، والحكم
ولي عهد .

ونحن نعلم أن مولد الحكم كان سنة اثنتين وثلثمائة ، وأن ولايته للعهد كانت حوالى سنة ست عشرة وثلثمائة ، وهى السنة التى ولى فيها أبوه عبد الرحمن الخلافة .

ولقد مر بنا أن دخول الخشنى الأندلس كان وسنه اثنتا عشرة سنة ، وأن ذلك الدخول فيما نظن كان بعد تركه القيروان بعام أو عامين ، أى بعد سنة إحدى عشرة وثلثمائة ، وهى السنة التى أشرنا إليها قبل .

إذا علمنا هذا كله علمنا أن الخشنى بدأ تأليفه للحكم بعد قدومه الأندلس بنحو من ثلاثة أعوام تزيد قليلا ، وكان عمر الخشنى عندها فيما نظن نحواً من ثمانية عشر عاماً .

ولقد كان أكثر المؤرخين للخشنى استيعاباً لكتبه هو ابن فرحون . وهذه هى أسماء كتبه كما ذكرتها المصادر المختلفة التى سقناها قبل ، مرتبة على حروف الهجاء :

١ - الاتفاق والاختلاف فى مذهب مالك .

ذكره الحميدى فى البغية ، وابن فرحون فى الديباج ، وياقوت فى كتابه معجم الأدباء ، وإسماعيل البغدادى فى كتابه هدية العارفين .

٢ - أخبار الفقهاء والمحدثين .

ذكره الضبى فى الجدوة ، وياقوت فى كتابه معجم الأدباء ، وإسماعيل البغدادى فى كتابه هدية العارفين .

وذكر السمعانى كتاباً باسم : أخبار القضاة والمحدثين ، تخطط ، أولعل فى العبارة تحريفاً صوابه : أخبار الفقهاء والمحدثين .

كما ذكره المقرئ فى النفتح باسم : أخبار الفقهاء ، وام يزيد .

٣ - الاقتباس .

ذكره ابن فرحون .

٤ - تاريخ الإفريقيين .

كذا ذكره ابن فرحون .

وذكره بروكلمان باسم : علماء إفريقيا ، وقال : ومنه مخطوطة في مكتبة محمد بن أبي شنب ، وقد طبع أخيراً هذا الكتاب في القاهرة بهذا الاسم .

٥ - تاريخ قضاة الأندلس ، وهو هذا الكتاب الذى أخرجه ، وسيأتى الكلام عنه .

٦ - تاريخ علماء الأندلس .

ذكره ابن فرحون .

ولعله هو الذى أشار إليه ابن الفرضى ، وقال : وقد جمع له - يعنى للحكم المستنصر - فى رجال الأندلس كتاباً قد كتبنا منه فى هذا الكتاب ما نسبناه إليه .

وثمة كتاب بهذا الاسم لابن الفرضى ، وسيخرج بين كتب المكتبة الأندلسية ، وترتيبه بعد هذا الكتاب : قضاة قرطبة .

٧ - التعريف .

ذكره ابن فرحون .

٨ - رأى مالك الذى خالفه فيه أصحابه .

ذكره ابن فرحون .

٩ - الرواة عن مالك .

ذكره ابن فرحون .

١٠ - طبقات فقهاء المالكية .

- ذکره ابن فرحون .
- ۱۱ - علماء إفريقيا .
- انظر تاريخ الإفريقيين .
- ۱۲ - الفتيا .
- ذکره ابن فرحون .
- ۱۳ - المحاضر .
- ذکره ابن فرحون .
- ۱۴ - مناقب سجنون .
- ذکره ابن فرحون .
- ۱۵ - المولد والوفاة .
- ذکره ابن فرحون .
- ۱۶ - النسب .
- ذکره ابن فرحون .

هذا ما ذكرته المراجع التي ترجمت للخشني ، وثمة غير هذا لم تذكره المراجع ، وفي ذلك يقول ابن فرحون ، وهو أكثرهم إحصاء لكتب الخشني ، يقول بعد سرده لكتبه : وغير ذلك ، أي إنه ثمة كتب أخرى لم يشأ أن يذكر أسماءها .

ومن هذا السرد نرى أن كتب الخشني في الفقه والتاريخ وما يمت إلى التاريخ بسبب .

ولكن الخشني - كما ذكرنا قبل ، نقلا عن المراجع المختلفة - كان شاعرا ، فأين نتاجه في هذا ؟

عن هذه تصمت المراجع ولا نجد لها غير إشارة إلى ذلك .
فيقول ابن الفرضي : بلغني أنه - أي الحشني - ألف له - أي للحكم
المستنصر - مائة ديوان .

ويقول ابن فرحون : ألف له - أي للحكم المستنصر - مائة ديوان .
ولا أظن هذه الدواوين التي تتم المائة إلا دواوين شعر ، ولكن أين
هي هذه الدواوين ؟

هذا على أن الحشني كان شاعراً بليغاً ، كما يقول ابن فرحون .
ولعل سبب ذهاب هذه الدواوين كان لقلة أكثرات الناس بها ، لما كان
فيها من لحن ، إذ يقول ابن فرحون ، بعد ما وصف الحشني بالبلاغه في
الشعر : إلا أنه يلحن .

غير أنني إلى هذا أكاد أشك في أن الحشني كانت له في الشعر هذه
الدواوين التي تتم المائة ، اللهم إلا إذا عَسَيْتُ هذه العبارة معنى آخر غير
المعنى المتداول .

(٣)

التعريف بالكتاب

أعني هذا الكتاب الذي أخرجه للقراء في طبعته الجديدة : قضاة
قرطبة .

ولقد اختلفت المراجع في تسميته :

فيسميه السمعاني : أخبار القضاة والمحدثين ، كما قدمت قبل .
وأكاد أرد هذه على السمعاني ، وأراها من زلات القلم ، وأن المعنى
هنا : أخبار الفقهاء والمحدثين ، وهو كتاب للحشني . كما مر بك .

اللهم إلا أن يكون في الأمر خلط من الكاتب ، فاقطع الشق الأول
من كتاب : أخبار القضاة بالأندلس ، ثم الشق الثاني من كتاب : أخبار
الفقهاء والمحدثين .

ويسميه ابن فرحون : تاريخ قضاة الأندلس .

ويتفق الحميدى فى جذوة المقتبس ، والضبي فى البغية ، على تسميته باسم :
أخبار القضاة بالأندلس .

وينقل عنهما - فيما يبدو - إسماعيل البغدادي فى هدية العارفين مع
حذف فيقول : أخبار القضاة ، ولا يزيد .

وينقل المقرئ من رسالة لابن حزم فى تعداد فضائل أهل الأندلس ،
فيذكر هذا الكتاب لمحمد بن الحارث الخشني فيقول : وكتاب محمد بن
الحارث الخشني فى أخبار القضاة بقرطبة وسائر بلاد الأندلس .

وعبارة الخشني فى مقدمته لهذا الكتاب تفصح عن أن هذا التأليف
خاص بقضاة قرطبة ، إذ يقول : فإنه لما أمر الأمير - يعنى الحكيم - أبقاه
الله - بتأليف كتاب القضاة مقصورا على من قضى للخلفاء ، رضى الله عنهم ،
بأرض المغرب فى الحاضرة العظمى قرطبة .

ولقد ذكر حاجى خليفة فى الكشف (١ : ٢٩) من بين الكتب التى
تحمل اسم « أخبار قضاة » ، كتابا يحمل هذا الاسم : أخبار قضاة قرطبة ،
ولكنه عزاه لابن بشكوال خلف بن عبد الملك صاحب الصلة ، الذى
سترجم له مع صدور كتابه « الصلة » .

واقدم صدر هذا الكتاب فى مدريد سنة ١٩١٤م عن مخطوطة بمكتبتها
الأهلية تحمل هذا العنوان : كتاب القضاة بقرطبة .

ومن هنا شاعت هذه التسمية ، واستقر للكتاب اسمه الذى تحمله هذه

المخطوطة ، والذي يتفق وما جاء على لسان مؤلفه ، وتراجم الكتاب - كما سترى - كلها لقضاة قرطيين ، لذا كانت تلك التسمية أصدق .

والكتاب مروى عن أبي محمد بن عتاب ، عن أبي بكر التجيبي .

وهذا يعنى أن الحشنى حدث به ، وعن هذا التحديث حدث أبو بكر التجيبي ، وعنه حدث عتاب ، وعن عتاب حدث ابنه أبو محمد .

وهذا يعنى أيضاً أن هذا الكتاب لم يخرج إلى الوجود حياة الحشنى ولا حياة الحكم ، بل ظل حديثاً يُتحدث به إلى أيام أبي محمد بن عتاب ، يدلنا على هذه وتلك التعقيب بالدعاء بالرحمة عند ذكر اسم الحشنى ، أو اسم الحكم المستنصر .

هذا مع علمنا بأن الكتاب أخذ فيه الحشنى عن أمر الحكم له ، والحكم ولى عهد ، بدليل ما ورد في تقديم الحشنى للكتاب من دعاء لأبي الحكم : عبد الرحمن الناصر .

ولكن الحشنى على هذا لم يتمه إلا بأخرى ، والحكم المستنصر خليفة ، ففي الكتاب أحاديث استقاها الحشنى عن رواة الأخبار وأهل الحفظ ، وهذا كان وهو يترجم لمن سبقوا عصره ، غير أن في الكتاب تراجم قال فيها الحشنى عن معاينة ومعاصرة .

واقدمنى المستشرق الأسباني جوليان ريبيرا بنشر هذا الكتاب ، وصدرت طبعته الأولى بمدريد سنة ١٩١٤م ، كما قلت قبل ، وجاءت مع النص العربي ترجمة لهذا المستشرق باللغة الأسبانية يسبقها تقديم للكتاب باللغة الأسبانية أيضاً .

وعلى حين يحمل النص العربي هذا العنوان : كتاب القضاة بقرطبة ، تحمل الترجمة الأسبانية : تاريخ قضاة قرطبة .

وهذه المخطوطة المدريدية ، التي يبدو أنها فريدة ، كان الفراغ من كتابتها في الثلث الأخير من ليلة الخميس السادس والعشرين من شهر ربيع الأول سنة خمس وتسعين وستمائة ، أى بعد وفاة المؤلف بنحو من قرون ثلاثة .

وكان كاتبها هو : محمد بن علي اللواتي .

ويبدو أن هذا الكاتب كان من أسرة معنية بالعلم ، وأن تلك الأسرة كانت على حظ من اجتهاد بمدينة طنجة .

كما يبدو أن هذه المخطوطة توارثها الأبناء عن الآباء ، فثمة عليها عبارة تملك تقول : ملكه وكسبه محمد بن محمد بن عبد الرحمن اللواتي ، الشهير في طنجة بابن بطوطة .

ثم كتب لهذه المخطوطة أن تنتقل إلى البرتغال إلى مالك آخر محب للعلم ، هو عمر بن أحمد يوسف المقدسي ، لاندري من هو ، لأنه ثمة بياض أو طمس بالأصل بعد هذا .

ثم ملكها بعده ابنه ابراهيم بن عمر بن أحمد بن يوسف الفقيه ، الشهير بصغرك ، وكان ذلك سنة خمس وسبعين وثمانمائة من الهجرة (١٤٠٧ م) .

ولاندري بعد كيف انتقلت هذه المخطوطة من البرتغال إلى أسبانيا ، ولا متى كان هذا (١) .

وعن هذه الطبعة المدريدية ، التي كُتبت نصها العربي بخط هذا المستشرق الأسباني ، فيما يبدو ، ثم صور ما كتبه المستشرق الأسباني لطبع ، صدرت

(١) انظر هاتين العبارتين - عبارة الكاتب وعبارة التملك - فى آخر الكتاب .

طبعة أخرى قاهرية سنة ١٩٥٢ م ، ثم طبعة ثالثة قاهرية سنة ١٩٦٦ م ، وكان
اعتماد هذه وتلك على هذه النشرة المديرية .

ومع هذه الجهود المشكورة التي بدت فى هذه الطبعات الثلاث ، فلقد
ظل النص يحتاج إلى مزيد ليطلع قراء العربية :

- ١ - نصا قد قيدت كلماته .
- ٢ - وحررت عباراته .
- ٣ - وصوبت تحريفاته .
- ٤ - وقومت تصحيفاته .
- ٥ - وشرح غامضه .
- ٦ - وأشير إلى مظانه .
- ٧ - وقلم لصاحبه .
- ٨ - وعرف به .
- ٩ - وتوج بفهارس أولى خاصة ، ارتقبا لفهارس أخرى عامة ،
تضم مواد المكتبة الأندلسية كلها .

غير أنى لا أزال أذكر آسباً افتقادی بخطوة هذا الكتاب ، واجتزائى
بقراءة المستشرق الأسباني ريبيرا لها ، إذ فيما كتب :

- ١ - كلمات كثيرة استعصت عليه قراءتها فترك مكانها تقطاً .
 - ٢ - وكلمات كثيرة شق عليه رسمها فوجهها كما بداله .
- وعلى ما أثبتته المستشرق الأسباني ريبيرا جاءت المطبوعتان المصريتان ،
لهذا كان على أن أتلس للكلمات ، التي استعصت على المستشرق
الأسباني قراءتها ، ما يدل عليها ، أو ما يقوم مقامها ، وأن أجد جهدى فى

الكلمات التي دق على المستشرق الاسباني رسمها لأجد لها الوجه الذي
يتفق والسياق، ولا يبعد كثيرا عن رسمها .

وبعد . فأرجو أن يوفقني الله إلى تحقيق ما أبعيه ، وأن يعينني على
إكمال ما أنا آخذ فيه .

إنه تعالى خير من يوفق، وأجل من يعين .

إبراهيم الأياري

المحرم ١٤٠١ هـ

نوفمبر ١٩٨١ م

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

صلى الله على محمد وآله وسلم تسليماً

حدثنا أبو محمد بن عتاب ، عن أبيه ، عن أبي بكر التجيبي ، قال
أبو عبد الله محمد بن حارث الخشني ، رحمه الله (١) ،
وصل الله بالأمير الحكم المستنصر (٢) ولى عهد المسلمين أسباب
السعادة ، ومدله في العز ، وزاده من نعمة التوفيق .

إنه لما حسن ... الأمير ، أبقاه الله ، واستحكمت بصيرته سدده الله في
حفظ . . (٣) العاوم ومطالعة الأخبار ، وفي معرفة النسب وتقديد
الأثار ، وفي الإشادة بفضائل السلف ، والتقليد لمناقب الخلف ، وفي
التذكير بالمنسى من الأنباء ، والإشارة إلى السالف من القصص ،
وبخاصة ما كان في مصره قديماً وفي عصره حديثاً ، مما جعله الله (٤)
سبباً قويا لحياة القلوب ، وعلة ظاهرة لنباهة النفوس ، فتحرك أهل

(١) هذا التعقيب بسؤاله تعالى الرحمة للخشني ثم للحكم ، يشير ،
كما قلت قبل في المقدمة ، إلى أن الكتاب خرج إلى الوجود بعد موت
الخشني ، وأنه من وضع واحد ممن حدثوا .
(٢) جاء في الأصل بعد هذه الكلمة « رحمه الله » ، وهي من
زيادات من حدث ، وإذا كان الخشني هو المتكلم عن الحكم ، فلا محل
لهذه العبارة .
(٣) في الأصل هنا كلمة مطموسة لم يستطع القارئ قراءتها
فترك مكانها هذه النقطة .
(٤) الأصل : « جعل الله ذلك سبباً » ، وما أثبتناه أوفق .

السلم^(١) بما حركهم إليه الأمير الموفق ، فاستحفظوا^(٢) ما أضعوا من
غرر الأخبار ، وقيدوا ما أهملوا من عيون المعارف ، واتصلت بجميعهم
بركة الأمير ، أبقاه الله ، في ذلك ، وكذلك خير الفضائل ما سطع نوره ،
واتنشر ذكره ، وكان علة لفضائل ، وسبباً لمفاخر .

فالحمد لله الذى جعل الأمير ، أيدى الله ، إماماً فى الخير ، ودليلاً
فى طرائق الرشيد ، وهادياً^(٣) إلى جميل المذاهب ، وأسوة فى الحسنى ،
ومفتاحاً إلى حميد الامور ، وباباً إلى الفضل ، هنأه الله بنعمته^(٤) ، وأدام
غبطته ، و..^(٥) عليه فضله ، ووفر من المكارم حظه .

فإنه لما أمر الأمير ، أبقاه الله ، بتأليف كتاب القضاة مقصوداً على
من قضى للخلفاء ، رضى الله عنهم ، بأرض المغرب فى الحاضرة العظمى
قرطبة ، ذات الفخر الأعظم ، ولعماهم بها من قبل ، هزرت رواة
الأخبار عن أخبارهم^(٦) ، وكاشفت أهل الحفظ عن أفعالهم ، وسألت
أهل العلم عما تقدم من سيرهم ، قولاً وفعلاً ، فألفت من ذلك فصولاً
تروق المستفهمين ، وقصصاً تهيج السامعين ، وأخباراً تدل الناظرين
المتعقبين على حصافة العقول ، وسعة العلوم ، وعلى رجاحة الأحلام ،

(١) مكان هذه الكلمة نقط تشير الى أنه ثمة كلمة تعذر على القارئ
قراءتها ، وبمثل ما أثبتنا يستقيم الكلام .
(٢) كذا ، يريد : احفظوا ، وهى غير واردة .
(٣) الأصل : « ومهادياً » .
(٤) الأصل : « نعمته » . والفعل هنا يتعدى بالباء .
(٥) مكان هذه النقط كلمة استعصت قراءتها على القارئ ، ولعلها :
واسبغ .
(٦) الأصل : « فى أخبارهم » .

وثقافة الأفهام ، وعلى صدق البصائر ، وصحة العزائم ، وعلى ... (١) مآل الفضل ، واستقرار العدل ، وعلى استقامة الطريقة و.. (١) ، وعلى من استقضاهم (٢) من الخلفاء ، رضى الله عنهم ، من الأوصاف الرضية فى حسن الارتياح ، وجميل الاختيار ، وفى .. (١) القضاة بجميل العظات ، وفى إيثار الصدق وتأيد ... (١) ذلك ، جدير (٣) بقضاة مثل هذا المصر الأكبر ، بيضة ... (١) ، ودار الإمامة ، وحاضرة الجماعة ، ومعدن الفضائل ، ومسكن الأفاضل : وكمن العلوم ، وجمع العلماء ، وقاعدة الأرض .

فأدام الله فضلها ، وأكمل حسننها بالإمام العادل ، والمالك الفاضل ، أمير المؤمنين عبد الرحمن (٤) ، أطال الله بقاءه ، ثم بالمصطفى لعنه ، الممثل (٥) لمجده ، جعله الله إماماً فى الخيرات ، وعلماً فى الصالحات .

قال محمد :

لما كان القاضى أعظم الولاية خطراً بعد الإمام ، الذى جعله الله زماماً للدين ، وقواماً للدين ، لما يتقلده القاضى من تنفيذ (٦) القضايا ، وتحليل (٧) الأحكام فى الدماء والفروج والأموال والأعراض ، وما يتصل بذلك من ضروب المنافع ووجوه المضار ، وكانت العقبي من الله

(١) مكان هذه النقط كلمة استعصت على القارئ .

(٢) الأصل : « وعلى ما لمن استقضاهم » .

(٣) الأصل : « جديد » .

(٤) هو : عبد الرحمن بن محمد الناصر ، ابن عبد الله ، وكان

مولده سنة ٣٧٧هـ (٨٩٠م) . ولى الخلافة بعد وفاة جده سنة ٣٠٠هـ ،

وكانت وفاته سنة ٣٥٠هـ (٩٦١م) .

(٥) يعنى : الحكم المستنصر ، ولى العهد .

(٦) مقروء ريبيرا : « تنفيذ » . ويبدو أن الوجه ما أثبتنا .

يريد : الابانة عن زيفها .

(٧) كذا ولعلها : تنفيذ .

في ذلك فظيعة المقام ، هائلة الموقف ، مخوفة المطنع ، اختلفت في ذلك الهمم من عقلاء الناس وعلماهم ، فقبل كثير منهم القضاء ، رغبة في شرف العاجلة ، ورجاء لمعونة الله عليه ، واتسكالا على سعة عفوه فيه ، ونفر آخرون منه رهبة من مكروه الآجلة ، وحذاراً من الله فيما قد يكون منهم وعلى أيديهم .

قال محمد :

وقد سلف من رجال الأندلس من أهل حاضرتها العظمى رجال دُعوا إلى القضاء فلم يجيبوا ، وندبوا إليه فلم ينتدبوا ، رهبة من .. (١) أنفسهم في منتظر العاقبة .. (٢)

وقد رأيت أن ... (٣) ذكرهم ، ووصف مقاماتهم بين يدي خلفائهم ، وإشفاتهم بما دعاهم إليه أمراؤهم ، وأن أجعل لذلك بابا في صدر الكتاب ، ثم أصير إلى ذكر ولاية القضاء ، قاضياً قاضياً ، على ما كانت عليه دولهم ، إن شاء الله ، وأسأل الله جميل المعونة على صواب القول ، ومحمود الفعل ، فإنه الهادي إلى سواء السبيل .

-
- (١) مكان هذه النقط كلمة استعصت قراءتها على القارئ ، ولعلها : « مما حذرته » .
(٢) مكان هذه النقط كلمة استعصت قراءتها على القارئ ، ولعلها : « في الآخرة » .
(٣) مكان هذه النقط كلمة استعصت قراءتها على القارئ ، ولعلها : « أسوق » أو كلمة بمعناها .

باب
من عرض عليه القضاء
من أهل «قرطبة»
فأبى قبوله
(مصعب بن عمران)

قال محمد :

استشار الأمير عبد الرحمن بن معاوية ، رضى الله عنهما ، أصحابه فيمن يوليه القضاء بقرطبة ، فأشار عليه ابنه هشام ، رحمة الله عليه ، وابن مغيث الحاجب ، بالمصعب بن عمران ، فقبل الأمير عبد الرحمن رأيهما ، وأمر بالإرسال في مصعب ، فلما قدم أدخله على نفسه بحضرة ابنه هشام ، وأحمد بن مغيث ، وجماعة أصحابه ، فعرض عليه ولاية القضاء ، فأبى قبولها^(١) وذكر عذراً له في ذلك ، فردد عليه الأمير عبد الرحمن القول ، وأظهر له العزيمة ، ولم يوسع العذر في ترك القبول ، فأصر على الإباء لها ، وتمادى على النفور منها ، فلما يس الأمير عبد الرحمن ، رحمه الله ، منه ، أطرق وجعل يقتل شاربته ، وكان إذا غضب قتل شاربته ، فالويل للمغضوب عليه ، حتى خاف من حضر على مصعب من بادرة تكون من الأمير فيه ، هول مقامه ، وجعل بعض الحاضرين ينظر إلى هشام بن عبد الرحمن ، وإلى أحمد بن مغيث ، كالقائلين لهما : ماذا عرضتما بالرجل ؟ فرفع الأمير رأسه ، فقال لمصعب : اذهب ، فعليك كذا وكذا ، وعلى اللذين أشاراك ، ولم يكن من عقوبته له في حمس الغضب أكثر من ذلك

(١) الأصل : « من قبولها » . والفعل متعد بنفسه .

وخرج مصعب فلحق بمكانه ، فلم يزل به حتى أفضت الخلافة إلى هشام ، رحمه الله ، فأرسل فيه ، وعزم عليه في القضاء .
وستذكر ذلك مبيناً إن شاء الله .

[زياد بن عبد الرحمن]

قال محمد :

وذكر أبو مروان عبيد الله بن يحيى ، عن أبيه :
أن الأمير هشاماً أراد زياد بن عبد الرحمن للقضاء ، فخرج هارباً بنفسه ، فقال هشام بن عبد الرحمن عند ذلك : ليت الناس كزياد حتى أكفي حب أهل الرغبة ، وأمنته ، فرجع إلى مسكنه .

قال محمد :

قال لي عثمان بن محمد : سمعت محمد بن غالب ، يقول :
لما بعث الوزراء في زياد بن عبد الرحمن ، وعرضوا عليه القضاء عن الأمير هشام ، رحمه الله ، قال لهم : أما إذ^(١) أكرهتموني على القضاء فزوجتي طالق ثلاثاً لئن أتى لي^(٢) مدع في شيء مما في أيديكم لأخرجنه عنكم ثم لأجعلنكم فيه مدعين .
فلما سمعوا ذلك منه عملوا في معافاته .

[محمد بن عيسى]

قال محمد : وأخبرني بعض رواة الأخبار ، قال :
لما مات القاضي محمد بن بشير ، ذكر الأمير الحكم القضاء ، ومن

(١) مقروء ريبيرا : « ان » ، وعليه المطبوعتان المصريتان .
(٢) مقروء ريبيرا : « بى » ، وعليه المطبوعتان المصريتان .

يصلح أن يوليه ، فقال : ما أرى غير فقيه البلد : محمد بن عيسى الأعشى ، وما يغمنى منه غير إفراط الدعابة التي فيه ، وعزم على ذلك من أمره ، فقال له بعض الوزراء : لو امتحنت أمره قبل المشافهة كان ذلك رأياً حسناً ، فأرسل إليه بعض وزرائه ، فنزل عليه وذاكره الأمر ، وأعلمه بما عابه به الأمير من إفراط دعابته ، فقال : أما القضاء فإني والله لا أقبله ألبتة ، ولو فعل بي وفعل ، فلا يحتاج الأمير ، أبقاه الله ، أن يكشف إلى وجهه في ذلك ، وأما الدعابة فعلى بن أبي طالب ، رضى الله عنه ، لم يدعها للخلافه ، أَدْعَهَا لِلْقَضَاءِ ؟

فلما بلغ الأمير قوله عافاه ونظر في غيره .

[سعيد بن محمد بن بشير]

قال محمد :

كان للأمير الحكيم ، رضى الله عنه ، قاض بكورة جيان ، فتظلم أهل الكورة منه ، فعهد الأمير الحكيم إلى سعيد بن محمد بن بشير ، قاضى الجماعة بقربطية ، أن ينظر على قاضى جيان ، فإن ظهر بريئاً أقره على قضائه ، وإن ظهر عليه ما رفع إلى الأمير فيه عزله عن الكورة ، فنظر قاضى الجماعة فألقاه بريئاً ، فقال له : انصرف إلى قضائك ، فقال : امرأتى طالق ، وعلى من الأيمان كذا وكذا ، أبر وأوفى من إيمان أبى (١) التى حلف بها ، لانظرت بين اثنين حتى ألقى الله .

وكان محمد بن بشير قد عزله الأمير ، لخلف ألا يلى القضاء أبداً بطلاق زوجته ، وعتق رقيقه ، فلما عزم عليه الأمير بعد ذلك في صرفه ،

(١) الأصول : « أبيك » .

حدث^(١) في إيمانه ، وطلق الزوجة ، وأعتق الرقيق ، وأخلف له الأمير ، كل ذلك إذ أعلمه به .

[يحيى بن يحيى]

قال محمد : وحدثني عثمان بن محمد ، قال : حدثني أبو مروان عبيد الله بن يحيى ، عن أبيه يحيى بن يحيى ، قال :

لما ولي الأمير عبد الرحمن بن الحكم ، رضى الله ، عنهما ، ألح عليه في القضاء ، وكان صاحب الرسالة في ذلك طرفة ، فقلت له : المكان الذى أنا به لما تريدون خير لكم ، إنه إذا تظلم الناس من قاض أجلستموني فنظرت عليه ، وإن كنت القاضى ، فتظلم الناس منى من تجلسون للنظر على : من هو أعلم منى أو من هو دونى في العلم ؟ فقبل ذلك منى وعافانى^(٢) .

قال محمد : قال خالد بن سعد^(٣) :

كان أحمد بن خالد يحدث أنه لما مات يحيى بن يعمر بقى الناس ، بلا قاض ، حتى خطر بهم يوماً زرياب راكباً إلى البلاد ، فسألوه أن يخبر الأمير عنهم بما هم عليه من سوء الحال إذ ليس لهم قاض .

فلما دخل زرياب على الأمير ذكر ذلك له ، فقال له الأمير : يا زرياب ، والله ما منعى من تولية قاض إلا أنى لست أجد أحداً أرضاه غير رجل ؛

(١) الأصول : « أحنث » والوجه ما اثبتنا .

(٢) مقروء ريبيرا : « وعافى بى » ، وعليه المطبوعتان المصريتان .

(٣) مقروء ريبيرا هنا : « سعيد » وعليه المطبوعتان المصريتان ،

وهو تحريف ، صحته فيما سياتى أكثر من مرة : « سعد » .

قال زرياب : فقلت : أصلح الله الأمير ، ومن هو ؟ قال : يحيى بن يحيى ، غير أنه بأبي على ذلك^(١) ، فقال له زرياب : فإذا ترضاه للقضاء فاسأله أن يبدلك على قاض ، فقال له الأمير : قلت قولاً سيديداً ، فأرسل في يحيى ، وسأله أن يشير بقاض يرضاه ، إذ لم يقبل هو القضاء في نفسه ، فأشار بإبراهيم بن العباس ، فولاه الأمير .

قال محمد : قال خاله بن سعد ، وأخبرني بعض أهل العلم :

أن يحيى أبي أن يقبل القضاء ، وأبي أن يشير بأحد .

قال محمد : قال خالد بن سعد : حدثني من أثق به ، عن يحيى بن زكريا ، عن محمد بن وضاح ، قال :

لما عزم الأمير على يحيى على تولي^(٢) القضاء فأبى ورج^(٣) عليه ، قال : فأشرف على برجل ، قال : لست أفعل ، لأنني إن فعلت شركته في جوره إن جار .

فأحفظ ذلك الأمير عبد الرحمن ، فأمر صاحب رسائله أن يكون رقيباً على يحيى ، وغدا به إلى الجامع ، ودفع إليه الديوان ، وقال للنخوصم : هذا قاضيكم .

فلبث في ذلك ثلاثاً ، فلما ضاق الأمر على يحيى أشار بإبراهيم ابن العباس .

[عثمان بن أيوب]

قال محمد :

(١) الأصول : « من ذلك » . والفعل متعد بنفسه .

(٢) مقروء ربييرا : « تولية » .

(٣) لرج في الأمر : لازمه وأبى أن ينصرف عنه .

وكان عثمان بن أيوب بن أبي الصلت من أهل العلم بقرطبة ، وكان
من مبسطين له الدنيا ، فأبى أن يقبلها وأعرض عنها .

قال خالد بن سعد : سمعت ابنه اسماعيل يقول : عرضت على أبي
ولاية القضاء فأبى أن يقبلها ، واستعفى منها .

[لإبراهيم بن محمد]

قال محمد : ومن عرض عليه القضاء من شيوخ قرطبة فأبى قبوله^(١)
لإبراهيم بن محمد بن باز .

وكان السبب في ذلك ، فيما أخبرني بعض رواة^(٢) الاخبار : أن
الأمير ، رحمه الله ، محمد بن عبد الرحمن أدخل على نفسه هاشم
ابن عبد العزيز يوماً له ، فقال له : يا هاشم ، كنت أرى رؤيا عجيبة في رجل
لا أدري من هو ؟ كنت أرى نفسي في المصاراة^(٣) حتى لقيت أربعة من
الرجال ركباناً على دواب لهم ، لم أر في الرجال أصبح منهم وجوها ،
ولا أبهى منظرآ ، فجعلت أتعجب ، وأنهم طلوعوا إلى الجرف^(٤) ، فنتبعتهم ،
فأخذوا على وجهة اليمين حتى انتهوا إلى مسجد تقابله دار ، فقرعوا
باب تلك الدار ، فخرج إليهم رجل منها فصاحوه ودعوا له ، وناجوه
ساعة ثم زالوا عنه ، فقلت : من هؤلاء ؟ فقييل لي : محمد النبي ، صلى الله

(١) الأصول : « من قبوله » والفعل متعد بنفسيه .

(٢) مقروء ريبيرا : « ولالة » وعليه المطبوعتان المصريتان .

(٣) مقروء ريبيرا : « المسارة » وعليه المطبوعتان المصريتان . وما
أثبتنا من أخبار مجموعة ، وتاريخ افتتاح الأندلس ، ونفع الطيب (٣ : ٤٣)
والمصاراة : موضع بقرطبة .

(٤) الجرف ، بالضم : شق الوادي . وفي مقروء ريبيرا ، وعليه

الطبعتان المصريتان : « الحرف » ، تصحيف .

عليه وسلم ، وأبو بكر ، وعمر ، وعثمان ، أتوا لهذا الرجل عائدين في مرضه .

ثم قال لهاشم : قد عرفتك بالمسجد والدار حتى كأني وقفت بك إليهما ، فاذهب فاعرف من صاحب تلك الدار ؟ فقال له هاشم : قد عرفتها دون أن أتعرفها ، هي دار إبراهيم بن محمد بن باز ، فقال له الأمير : عزمت عليك لتذهبن متعرفا بحالي^(١) . ففعل هاشم ، ثم أتاه بتصحيح ما قال له من قبل ، وأعلمه أن الرجل مريض .

فكان ذلك سبباً لأن عرض عليه الأمير قضاء الجماعة ، وأرسل إليه بذلك هاشم بن عبد العزيز ، فأبى قبولها^(٢) ، فأعاد إليه الأمير هاشماً : إذ لم تقبل القضاء فكيف أحد الداخلين علينا الذين نشاورهم في أمورنا ، فقال إبراهيم لهاشم : يا أبا خالد ، إن ألح على الأمير في شيء من هذا هربت بنفسى عن هذا البلد .

فأعرض الأمير محمد ، رحمه الله ، عنه وعن خبره .

قال لي أحمد بن عبيدة الرُّعيني :

كان المنذر بن محمد إذ كان ولداً ، هو الذي خاطبه في القضاء ، فأبى قبوله^(٣) ، فكان المنذر يقول : لو قبل مني الأمير لأكرهته عليه .

[محمد بن عبد السلام]

قال محمد :

ومن جاهر^(٤) بالإصرار على الإبادة من^(٥) القضاء محمد

-
- (١) مقروء ريبيرا : « بحالة » . وعليه المطبوعتان المصريتان .
 - (٢) مقروء ريبيرا : « من قبولها » . وعليه المطبوعتان المصريتان .
 - (٣) مقروء ريبيرا : « من قبوله » . وعليه المطبوعتان المصريتان .
 - (٤) مقروء ريبيرا : « جاهد » ، وعليه المطبوعتان المصريتان .
 - (٥) مقروء ريبيرا : « عن » . وعليه المطبوعتان المصريتان .

ابن عبد السلام الحشني . فإنه أمر الأمير محمد ، رحمه الله ، محمد بن عبد الرحمن أن يبعث في الحشني ويستقضيه^(١) على كورة جسيان ، فأرسل فيه الوزراء ، وقالوا (له)^(٢) : إن الأمير يستقضيك على كورة جيان ، فأبى ونفر من ذلك نفوراً شديداً ، فعوج ولوطف ، فلم يزد إلا نفوراً وإباءة ، فكتبوا إلى الأمير يخبره ، وأنه لج في ألا يقبل ، فوقع إليهم الأمير توقيماً غليظاً ، معناه : إن عاندنا فقد عرض^(٣) بنفسه ودمه .

فلما سمع ذلك الحشني نزع قلنسوته من رأسه ، ومد عنقه ، وجعل يقول : أبيت ! أبيت ! كما أبت السموات والأرض إباءة لإشفاق ، لا إباءة عصيان ونفاق .

فكتبوا إلى الأمير بلفظه ، فكتب إليهم : أن سلموه^(٤) أمره ، وأخرجوه عن أنفسكم ، فقال له الوزراء : تنظر في أمرك ليلتك هذه ، وتستخير الله فيما دعيت إليه .

وخرج عن القوم .

[أبان بن عيسى]

قال محمد : قال خالد بن سعد : ذكر لي محمد بن فطيس :

أن الأمير محمداً أمر الوزراء أن يرسلوا في أبان بن عيسى ابن دينار ، وأن يولوه قضاء جيان ، فلما أرسلوا فيه ، وعرضوا ذلك

-
- (١) مقروء ريبيرا : « ويستقضى » ، وعليه المطبوعتان المصريتان .
(٢) تكلمة يستقيم بها الكلام .
(٣) كذا . والمسموع : عرض نفسه لكذا . أما قولهم : عرض بفلان وله ، فمعناه : قال فيه قولاً يعيبه .
(٤) الأصول : « سللوا » .

عليه ، استعفى وأبى ، فأمر الأمير محمد بن عبد الرحمن أن يوكل عليه الحرس حتى يبلغ جيان ، ويجلس بها مجلس القضاء ، والحكم بين الناس ، فوكل عليه الوزراء ، والحرس ، وساروا به ، وأقعدوه ، فحكّم بين الناس يوماً واحداً ، فلما أتى الليل هرب ، فأصبح الناس يقولون : هرب القاضي ! فرجع الخبر إلى الأمير ، رحمه الله ، فقال : هذا رجل صالح ، ولكن يطلب حتى يعرف موضعه ، فطلب ، فلما عرف مكانه رضى الأمير عنه .

فلما قدم قرطبة ولاة الأمير صلاة الجماعة بقرطبة .

قال محمد : قال بعض أهل العلم :

فكان ، إذ ولي الصلاة ، ظاهر الخشوع ، كثير البكاء ، وإذا سلم من صلاة الجمعة لم يلبث ساعة في المسجد ، اتباعاً لسنة .

قال محمد :

كان المنذر بن محمد ، رحمه الله ، شديد الإعظام لبقى بن مخلد ، دخل عليه يوم البروز في المصلى ، فننعه من تقبيل يده ، وأجلسه على جانب من فراشه على رءوس الناس ، وكان له خاصا وصنيعة ، قبل ولاية الملك ، وكان قد قدم إليه بقى بن مخلد بالبشرى^(١) بالخلافة ، فلما صارت إليه الخلافة وفى له ، وتمادى على ما كان له من الإجلال والإكرام ، فلما عزل سليمان بن أسود عن القضاء أمر الأمير المنذر فى بقى بن مخلد ، فعرض عليه القضاء ، فأبى ذلك^(٢) ، فذهب إلى استكراهه على ذلك ، فقال له : ما هذا جزاء محبتى وانقطاعى ؟ فقال المنذر : أما إذ أبيت ، فما

(١) مقروء زيبيرا : « البشرى » . وعليه المطبوعتان المصريتان .

(٢) مقروء زيبيرا : « من ذلك » وعليه المطبوعتان المصريتان .

ترى فيمن أشار به الوزراء؟ فقال: ومن هو؟ قال: زياد بن محمد بن زياد، فقال له: نعم الحدث، فقال له المنذر: فأشر على بقاض ترضاه للسلين، فقال: أشير عليك برجل من آل زياد، يعرف بعامر بن معاوية.

فقبل منه المنذر، رحمه الله، وأرسل في عامر، وولاه قضاء الجماعة بقرطبة.

قال محمد:

[عبد الرؤوف بن الفرغ]

ومن عرض عليه القضاء فأباه^(١) أبو غالب عبد الرؤوف بن الفرغ.

قال لي أبو محمد قاسم بن أصبغ:

نزل موسى بن حدير على أبي غالب بن كنانة، فعرض عليه القضاء عن الأمير عبد الله بن محمد، رحمه الله، فأبى قبوله^(٢).

قال لي بعض أهل العلم: قال محمد:

لما قسم أبو غالب عبد الرؤوف بن الفرغ من الحج سلك طريق التقشف والتبسك والتدين، وكان الأمير عبد الله بن محمد به معجباً. وكان ربما اشتبهى رؤيته من غير أن يدخله على نفسه، فتعرض^(٣) رؤيته يوم الجمعة من الساباط عند رواحه من الجمعة، فذكره الأمير يوماً وقال: لا بد من أن نضمه إلى الوزارة أو إلى القضاء، وكان عبد الله بن محمد

(١) الأصول: « فأبى منه » .

(٢) الأصول: « من قبوله » .

(٣) كذا .

ابن أبي عبدة أقرب الوزراء من أبي غالب ، محبة ومكانة ، فقال للأمير :
ينبغي ألا يهجم على الرجل حتى يتعرف ما عنده في ذلك .

قال سكن الكاتب : فأرسلني عبد الله بن محمد إلى أبي غالب ، فعرضت
عليه مراد الأمير .

قال سكن : فلتقاني في ذلك بالتضاحك والدعابة حتى أطمعني في
نفسه ، وجعل يقول : أتم أشح على دنياكم ، وأضن بها من أن تعطوا
منها لأحد شيئا ، أو تشركوا في شيء منها صديقا .

قال سكن : فلما صرت^(١) (إلى)^(٢) عرض الاستقضاء عليه ، قال لي :
بالله إئن عاودتني بهذا ، أو بلغتني عن الأمير فيه عزيمة ، لأخرجن من
من الأندلس .

(١) مقزوء ريبيرا « سرت » . وعليه المطبوعتان المصريتان .
(٢) تكملة يستقيم بها الكلام .

باب أخبار قرطبة وقضاها قبل الخلفاء ذكر القاضي مهدي بن مسلم

قال محمد:

فمن قدماء قضاة قرطبة الذين قضوا بها للأمرء العمال الولاية القواد
قبل دخول الخلفاء ، رضى الله عنهم ، الأندلس :

مهدي بن مسلم ، وهو من أبناء المسالمة ، من أهل الدين والعلم
والورع ، استقضاه عليها عقبه بن الحجاج السلولى .

حدثني أحمد بن فرج بن مُستليل ، قال : حدثني أبو العباس أحمد بن
عيسى بن محمد المقرئ ، بمدينة تنكس (١) ، قال :

ولى الأندلس عقبه بن الحجاج السلولى ، فكان صاحب جهاد
ورباط ، وذات نجدة وبأس ، ورغبة فى نكاية المشركين ، وكان إذا أسر
الأسير لم يقتله حتى يعرض عليه الإسلام حيناً ، ويرغبه فيه ، ويبيصره
بفضله ، ويبين له عيوب دينه الذى هو عليه ، فيذكر أنه أسلم على
يدنه بذلك الفعل ألفاً رجل ، وكان قد اتخذ بالأندلس مقراً مدينة
يقال لها : أربونة (٢) ، وكان قد عرف مهدي بن مسلم بالعلم والدين

(١) الأصبول : « تنيس » ، تحريف . وتنس ، بفتحين والتخفيف
وسين مهملة . مدينة فى آخر افريقية مما يلى المغرب . معجم البلدان
ايسلطان : (٨٨٧ : ١) .

(٢) أربونة ، بفتح أوله ويضم ثم السكون وضم الباء الموحدة
وسكون الواو ونون وهاء . (معجم البلدان : ١ : ١٩٠)

والورع ، فكان قد استخلفه على قرطبة وأمره بالقضاء بين أهلها ، وكان قد عرفه مع ذلك بالبلاغة والبيان ، فلما أراد توليته ، قال له : اكتب عهدك عنى لنفسك ، فكتب مهدي :

بسم الله الرحمن الرحيم

هذا ما عهد به عقبة بن الحجاج إلى مهدي بن مسلم ، حين ولاه القضاء ، عهد إليه بتقوى الله ، وإيثار طاعته ، واتباع مرضاته في سر أمره وعلايته ، مراقباً له ، مستشعراً لحشية الله ، معتصماً بحبله المتين ، وعروته الوثقى ، موفياً بعهده ، متوكلاً عليه ، واثقاً به ، متقبلاً منه ، فـ (إن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون)^(١) .

وأمره أن يتخذ كتاب الله ، وسنة نبيه محمد ، صلى الله عليه وسلم ، إماماً يهتدى بنورهما ، وعلماً يعشى^(٢) إليهما ، وسراجاً يستضاء^(٣) بهما ، فإن فيهما هدى^(٤) من كل ضلالة ، وكشفاً لكل جهالة ، وتوصيلاً لكل مشكل . وإبانة لكل شبهة ، وبرهاناً ساطعاً ، ودليلاً شافياً ، ومناراً عالياً ، وشفاء لما في القلوب^(٥) ، وهدى ورحمة للمؤمنين .

وأمره أن يعلم أنه لم يختره لمصالح العباد والبلاد ، وتولى^(٦) القضاء ، الذي رفع الله قدره ، وأعلى ذكره ، وشرف أمره ، إلا لفضل القضاء عند الله ، جل جلاله ، لما فيه من حياة الدين ، وإقامة حقوق المسلمين ، وإجراء الحدود مجاريها ، على من وجبت عليه ، وإعطاء الحقوق من

-
- (١) النحل : ١٢٨ .
(٢) الأصول : « يعشو » .
(٣) الأصول : « يستضيء » .
(٤) الأصول : « هديا » .
(٥) الأصول : « الكذوب » .
(٦) الأصول : « وتولية » .

وجبت له . ولما رجا عنده فيما يمضيه ، ويتقدم فيه ، ويحكم به ، من
إيثار حق الله ، عز وجل ، وطلب الزلفى لديه ، والقربى إليه ، وأن
يحاسب نفسه في يومه وغده ، فيما تقلد من الأمانة الثقيل حملها ،
الباهظ عبؤها ، فإنه محاسب وموعد وموعد .

وأمره أن يواسى بين الخصوم بنظره واستفهامه ولطفه ولحظه
واستماعه ، وأن يفهم من كل أحد حجته وما يدلى به ، ويستأنى^(١)
بكل عي اللسان ، ناقص البيان ، فإن استقصاء الحجة ما يكون به لحق
الله تعالى عليه قاضياً ، وللواجب فيه راعياً^(٢) ، فقد يكون بعض الخصوم
ألحن بحجته ، وأبلغ في منطقته ، وأسرع في بلوغ المطلب ، وألطف
حيلة في المذهب ، وأذكى ذكاء ، وأحضر جواباً من بعض . وإن كان
غير الصواب مرماه ، وخلاف الحق منحاه^(٣) . فإن لم يتعاهد
القاضي مثل هذا ، ويجعله من القربات إلى الله ، عز وجل ، بالتحفظ
والتيقظ ، والاستراية ، والاحتراس من أهل الخب واللد^(٤) ،
والعناد ، والتلبس بشهادات الزور ، وتحيف الحرق ، أهلك القوى
الضعيف ، واقتطع حقه ، وغلب عليه .

وفي تقدم القاضي في النظر في ذلك ، والمراعاة له ، واحتساب ثواب
الله ، فيه إثبات الحق ، وإبطال^(٥) الباطل (إن الباطل كان
زهوقاً)^(٦) .

-
- (١) مقروء ريبيرا : « ويستأنى » . وعليه المطبوعتان المصريتان .
 - (٢) مقروء ريبيرا : « راغبا » . وعاه المطبوعتان المصريتان .
 - (٣) مقروء ريبيرا : « منهاه » . وعليه المطبوعتان المصريتان .
 - (٤) الخب ، بالكسر : الخداع . واللد : التشدد في الخصومة .
 - (٥) مكان هذه الكلمة أخرى استعدمت قراءتها على القارئ .
ولعلها ما أثبتنا .
 - (٦) الاسراء : ٨١ .

وأمره أن يكون وزراؤه ، وأهل مشورته ، والمعينون له على أمر دنياه وآخرته ، أهل العلم والفقه والدين والأمانة من قبله ، وأن يكتب من كان في مثل هذه الحال المرضية ، ممن في غير ناحيته ، ويقابل آراء بعضهم ببعض ، ويجهد نفسه في إصابة الحق ، وإن الله ، جل ثناؤه ، يقول في كتابه التاطق على لسان نبيه الصادق محمد ، عليه السلام : (وشاورهم في الأمر فإذا عزم فتوكل على الله)^(١) . وأن يكون حجابهم وأدوائهم ، ومن يستظهر بهم على ما هو بسبيله ، أهل الطهارة والحناف ، والطلب لأنفسهم ، والبعد من الدنس ، فإن أفعالهم منسوبة إليه ، ومنوطة لديه ، فإذا أصلح ذلك لم يلحقه عيب ، ولم يعلق به ريب ، إن شاء الله .

وأمره أن يديم الجلوس والوقوف لمن استرعاه الله أمره ، وقلده شأنه ، وأسند الحكم له وعليه ، ويقل السامة منهم ، والتبرم بهم ، ويصرف إليهم قلبه وذنه وشغله وفكره وفهمه ولسانه ، بما يوسعهم به عدلاً وإنصافاً وإصلاحاً واستصلاحاً ، فإن في ذلك قوة لمنتهم^(٢) ، وإحياء لتأميلهم ، وتحقيقاً لجميل ظنونهم ، وثقة منهم بورعه ونزاهته ، وطيب طعمته^(٣) ، فإن فيهم الضعيف عن التودد^(٤) ، والزم من الثقيل . وعليه في كل وقت التعهد ووهنا^(٥) لأهل اللدد^(٦) ، والتفحيم في

(١) آل عمران : ١٥١ .

(٢) المدة ، بالضم : القوة .

(٣) الطعمة ، بالضم : وجه الكسب ، ويقال : هو طيب الطعمة ، إذا

كان نقي الكسب .

(٤) كذا في الأصول . ولعلها : التردد ، أي السعي والاختلاف

الى الأمر .

(٥) كذا .

(٦) الأصول : « التلدد » ، وهو التبلد ، ولا يستقيم بها الكلام ،

وما أثبتنا أحق .

ملتبسات الأمور ، وأن يكون قعوده لهم ، وتصرفه في النظر بينهم ، بنشاط وقلة فتور ، ليكون ذلك أقوى له ، وأتقن لما يحكمه ويرمه ، من سياستهم وتديبرهم ، إن شاء الله .

وأمره أن يسمع من الشهود شهاداتهم على حقها وصدقها ، ويستقصيها ، حتى لا يبقى عليه شيء منها ، ومن المُزكّين تزكيتهم ، ويكثر البحث والفحص عن أمورهم أجمعين ، ويسأل عنهم أهل الصلاح والدين والأمانة والثقة والدعة^(١) ، ممن يعرفهم ويبتطن أحوالهم^(٢) ، ولا يعجل بإمضاء حكم حتى يستقصى حجج الخصوم وبيّناتهم ومزكّيتهم ، ويضرب لهم الآجال ، ويوسع فيها عليهم حتى تتجلى له حقائق أمورهم ، وتنكشف له أعطيتها ، فإذا أتى عليها علماً وأيقنها إيقاناً ، لم يؤخر الحكم بعد اتضاحه وظهوره وثبوته عنده ، وعند من يشاوره من فقهاءه .

وأمره أن يطالع بكتبه ، في الحوادث التي يحتاج فيها إلى المزامرات ، فيما أشكل عليه ، واستغلق له ، واحتاج إليه في النوازل ، لإبراهيم بن حرب القاضي ، ليرد عليه منه ما يعمل به ، ويمثله ، ويقتصر عليه ، ويصير إليه ، لتسكون موارد أموره ومصادرها ، ومبتدأ فواتحها [مصحوبة]^(٣) بالتسديد ، مخرّفة خواتمها بالتأييد ، إن شاء الله .

هذا عهدى إليك ، وأمرى إياك ، وإستادى إليك ما أسنده ، وتفويضى إليك ما فوضت ، فإن تعمل به مژراً لرضى الله وطاعته ،

(١) كذا في الأصول . ولعلها : الورع .

(٢) ببتن أحوالهم : يعرف باطنها وخفيها .

(٣) بمثل هذه الكلمة يستقيم الكلام .

قائماً بالحسبة^(١)، مؤدياً حق الأمانة، يكن حجة بين يديك، وظهيراً لك، وإن لم تعمل به يكن حجة عليك.

وأنا أسأل الله أن يعينك ويقويك ويرشدك ويوفقك ويسدّدك، إنه خير موفق ومعين، وصلى الله على محمد.

قال محمد: قال أحمد بن فرج، فقلت لأحمد بن عيسى:

لقد عظمت همّتك إذ حفظت مثل هذا وشبهه، من الأخبار القديمة، فقال: حفظت هذا زمن الصبا عن جدّي لي عمر نحو عمرى، وكان من أحفظ الناس لأخبار بني أمية عندهم، ولقد كان عندي من كتبه أخبار حسان غريبة، فذهبت بحريق كان في منزلي، ولقد بلغنى أن بعض من عندهم من بنى الأغب، أو غيرهم، من الشيعة، ادعى هذا العهد، وكتب به نصاً إلى بعض ولاة القضاء، وما هو إلا المهدي ابن مسلم، هذا عندي قديماً أحفظه زمن الصبا عن جدّي. فهل عندهم له ذكر؟

فقلت له: ما سمعت به عندنا، ولا باسم مهدي، هذا.

فقال لي: قد سألت غيرك من أهل بلدك، فلم يكن يعرفه، فيا عجبا^(٢) كيف درس خبره عندهم؟ لكننى أظنه لم يعقب، فاضمحل خبره بالفن التي دارت في بلدكم.

(١) الحسبة: مراعاة شئون الناس.

(٢) مقروء ريبيرا: «فيا عجمي»، وعليه المطبوعتان المصريتان.

ذكر القاضى عنترة بن فلاح

حدثنى أحمد بن فرج بن مُنتيل ، قال : حدثنى أبو محمد مسلمة بن زرعة بن روح بالعريش ، بالشام ، وكان شيخاً كبيراً قد زيف على المائة ، فيما ذكر لى ، وأدرك حرملة صاحب الشافعى ، وحدثنى عنه وعن أمثاله ، وذكر لى أنه من موالى بنى أمية ، وكان ذا علم بأخبارهم القديمة والحديثة ، وأخبار بلاد الأندلس ، محبا لهم ، متشيعا فيهم ، وكنت قد نظرت يوماً فى بعض جوامع بواديهم إلى خطب مكتوبة بخط غليظ فى رق ملصق فى الحائط بخذاء المنبر ، الذى يخطب عليه ، فكان إذا قعد للخطبة نظر إليها ، فلم يدخل عليه سقط ولا تلثم ، فتكلمت معه فى ذلك ، وعبت عليهم ، وقلت لهم : أتم أهل المشرق المنسوب إليهم البلاغة والخطب على البديهة ، وتفتقرون إلى مثل هذا ! ما رأيت مثل هذا فى شىء من نواحي المغرب ، وهم أضعف الناس فى البلاغة كما^(١) تقولون ، فقال لى : قد كان ألطف من هذا عندكم ، وفى بيضة بلدكم ، وموضع سلطانكم ، كان يخبرنى أبى عن جدى أنه كان عندكم بقرطبة قاض فى الزمان ، يسمى : عنترة بن فلاح ، وكان تقيا ورعاً ، استسقى يوماً بالناس فأحسن فى دعائه وقيامه بالخطبة ، فقام إليه رجل من عامة الناس ، فقال له : أيها القاضى الواعظ ، قد حسن ظاهرك فحسن الله باطنك ، فقال له : آمين لنا أجمعين ، فهل أضمرت شيئاً

(١) الأصول : « بما » .

يابن أخي ؟ فقال له : نعم ، بتفريغ أهرائك^(١) يكمل استسقاؤك^(٢) ،
فقال القاضي : اللهم إني أشهدك أن جميع ما حواه ملكي من المأكول
صدقة لوجهك .

ثم آلى الأيريم^(٣) مقامه حتى يقصد داره ، ويفرق جميع
ما ادخر .

قال : فَنِيثُوا^(٤) من يومهم غيثاً عاماً .

قال لي : وكان هذا القاضي عنترة يقول : متى لحظت الناس لم
أصل كلاما ، فكان إذا خطب سدل على وجهه من ثوبه .

فكان يذكر عنه : أن معناه غير ذلك ، وأن خطبته كانت
مكتوبة في صحيفة مشبكة في الثوب المسدول على وجهه .

فهذا من نحو ما رأيت عندنا ، وهذه الخطب لها آلات واستجماع .

(١) الأهراء ، جمع هري ، بالضم ، وهو البيت الكبير يجمع فيه
الطعام .

(٢) الاستسقاء : طلب السقيا .

(٣) يريم : يبرح .

(٤) الأصول : « أغيثوا » . والمسموع : غاث الله البلاد غيثا

وغياثا : أنزل بها الغيث .

ذكر القاضى مهاجر بن نوفل القرشى

قال محمد : أخبرنى أحمد بن فرج بن مُستنيل ، قال : حدثنى مسلية ابن زرعة ، قال : سمعت أبى يذكر مراراً عن جده ، وكان قد دخل الأندلس ، يقول :

لم أر مثل قضاة الأندلس فى العبادة والورع .

قال : رأيت بها قاضياً يدعى : مهاجر بن نوفل القرشى ، كان يجتمع عنده الناس للتحاكم فلا يزال يذكرهم ، ويخوفهم الله ، وما يلحق المبطل من سخط الله وعقوبته ، وموقفه بين يديه فى القيامة ، ثم يذكر ما يلزم القاضى من الحساب بما يجب عليه من التحرى والاجتهاد ، ثم يأخذ فى النوح على نفسه والبكاء ، معلناً بذلك ، حتى كنت أرى الناس ينصرفون عنه باكين خائفين ، قد تعاطوا الحقوق بينهم .

ولقد بلغنى فى موته أعظم العجب ، وأنه لما مات ، رحمه الله ، وكان لا أهل له ولا ولد ، دفن بمقبرة لهم بقبلى مدينتهم وبعده نهر عظيم لهم ليلاً ، وأظنه عهد بذلك ، فلما هيل التراب عليه ، سمعوا من القبر كلاماً ، فاستمعوه ينادى ويقول : أنذرتكم ضيق القبر ، وسوء عاقبة القضاء .

قال : فكشفوا عنه التراب ، وظنوه حياً ، فوجدوه مكشوف الوجه ميتاً بحاله التى قبر بها .

ذكر القاضى يحيى بن يزيد التجيبى

قال محمد : سمعت من أهل العلم سماعاً فاشياً :

أن عبد الرحمن بن معاوية الإمام دخل قرطبة ، وقام بالإمامة ،
والقاضى حينئذ يحيى بن يزيد التجيبى . فأثبتته على القضاء ولم يعزله .
وكان من قبل ذلك يقال له ، وللقضاة قبله : فلان قاضى الجند ،
فلما امتنع الفهرى بقرطبة ، واضطره الأمير عبد الرحمن ، رحمه
الله ، إلى النزول ، واشترط حضور القاضى يحيى ، فحضر ، وكتب
في كتاب المقاضاة ، وذلك بحضور يحيى بن يزيد قاضى الجماعة .

قال محمد :

هكذا بلغنى ، وقد رأيت سجلاً عقده محمد بن بشير ،
يقول فيه :

حكى محمد بن بشير ، قاضى الجند بقرطبة . وإن تسمية القاضى
بقاضى الجماعة ، اسم محدث لم يكن فى القديم .

قال محمد :

ولم يختلف على أحد كاتبتنه فى أن يحيى بن يزيد التجيبى
إنما استقضى على الأندلس بالمشرق ، فقدمها قاضياً ، واختلفت
الرواية فيمن ولاة الأندلس ، فرأيت فى بعض الروايات عن ابن
وضاح ، قال : استقضى يحيى بن يزيد على الأندلس عمر بن
عبد العزيز .

قال : وكان يحيى رجلاً صالحاً .
وحكى عنه أنه اعتزل الحرب عند دخول عبد الرحمن بن معاوية ،
ولم يغمس يده في الدماء ، فلما قامت البيعة لعبد الرحمن أجاب
إليها طائعاً .

قال محمد : وقال لى بعض رواة الأخبار :

لما قدم بلج بن بشر الأندلس ، وأحدث في عبد الملك بن قطن
الفهرى ما أحدث ، وانتصر أبناء عبد الملك بعبد الرحمن بن عقبة
الذئبي ، وتصرفت الحال بقتل بلج بن بشر ، اتصل الخبر بمحنة
ابن صفوان الكلبي ، صاحب إفريقية ، فوجه إلى الأندلس أبا الخطار
حسام بن ضرار الكلبي عاملاً عليها ، ووجه معه يحيى بن يزيد
التجيبى قاضياً ، وكان من عرب الشام الساكنين بإفريقية .

قال محمد : وأخبرني غير واحد من أهل العلم :

أن الأمير عبد الرحمن ، رحمه الله ، لما دخل القصر تلقاه بنات
يوسف بن عبد الرحمن الفهرى ، وبقيّة عياله ، فقال له بعضهم :
أحسن يا بن عم فقد ملكت ، فأرسل في يحيى بن يزيد القاضى ، ودفع
إليه بقيّة عيال الفهرى ، وأمره بالحفظ لهم .

فلما خرج عبد الرحمن ، رحمه الله ، في طلب يوسف بن عبد الرحمن ،
إلى جهة ماردة ، خالفه يوسف الفهرى إلى قرطبة وظفر له بجاريتين
كبان قد علمتهما ، فأتاه القاضى يحيى بن يزيد ، فقال له : يا أئيم ،
عبد الرحمن ظفر ببنتك وكرائمك فتلوم^(١) عليهن حتى تفلن إلى
دارك ولم يعرض لهم ، وأنت ظفرت بجاريتين له ، لم يستحقا منه

(١) تلوم عليهن : تلبث .

حرمة فأخذتهما ! فتذمم^(١) انهمرى ، وقال : والله ما رأيت لواحدة
منهما وجهاً ، فاقبضهما ، وبدأ^(٢) بهما إليه .

قال محمد : ورأيت في بعض الحكايات ، أن محمد بن وضاح ، ذكر :
أن ولدي يحيى بن يزيد التجيبى ، كان ممن سعى في الثورة مع يحيى بن
يزيد بن هشام ، وعبد الملك بن أبان بن معاوية بن هشام ، على الأمير
عبد الرحمن ، وأنه قتل معهما ومع أصحابهما بمنية الرصافة .

-
- (١) تذمم : استنكف واستحيا .
(٢) الأصول : « وبرى » .

ذكر القاضي معاوية بن صالح الحضرمي

قال محمد :

أبو عمرو معاوية بن أبي أحمد صالح بن عثمان ، المعروف
بحدير^(١) بن سعيد بن سعد بن فهر الحضرمي ، كان من أهل الشام من
حمص ، يعرف بغناة^(٢) عبس ، دخل الأندلس قبل دخول الإمام
عبد الرحمن بن معاوية ، رحمه الله ، فنزل إشبيلية ، وكان عن جلة أهل
العلم ، ورواة الحديث ، شارك مالك بن أنس في بعض رجاله : يحيى
ابن سعيد ، وغيره ، وروى عن معاوية بن صالح جملة ، وعن أئمة أهل
العلم ، منهم : سفيان الثوري ، وسفيان بن عيينة ، والليث .
وذكر أن مالك بن أنس روى عنه حديثاً واحداً ، وذكر أنه أتاه
مالك بن أنس يوماً إلى داره فانصرف عنه دون أن يصل إليه .

قال محمد :

وذكر محمد بن وضاح ، قال : قال لي يحيى بن معين :
جمعتم حديث معاوية بن صالح ؟ قلت : لا ، قال : وما منعكم

(١) الأصول : « بحريير » براءين ، تحريف . وحدير ، بضم
المهملة الأولى ، كما في الخلاصة . (وانظر : تهذيب التهذيب :
١٠ : ٢٠٩) .

(٢) كذا . ولم يذكر هذه في مرجع من المراجع الكثيرة التي ترجمت
له ، وهي : المغرب في حلى المغرب : ١ : ١٢ ، وتهذيب التهذيب : ١٠ :
٢٠٩ ، وميزان الاعتدال : ٣ : ١٧٩ ، وجذوة المقتبس : ت ٧٩٦ ، وتذكرة
الحفاظ : ١ : ١٦٦) .

من ذلك؟ قلت: قدم بلداً لم يكن أهله يومئذ أهل علم، قال: أضعتم والله علماً عظيماً.

قال محمد بن عبد الملك بن أيمن:

لما وجه الأمير عبد الرحمن، رحمه الله، معاوية بن صالح إلى الشام، حج في سفرته تلك، وكتب عنه أهل العراق كثيراً من حديثه.

قال محمد بن عبد الملك بن أيمن:

ورأيت حديث معاوية بن صالح بالعراق أعز شيء.

ولقد قال لي محمد بن أحمد بن أبي خيشمة:

لوددت أن أدخل الأندلس حتى أقتش عن أصول كتب معاوية ابن صالح.

قال ابن أيمن:

فلما انصرفت إلى الأندلس طلبت أمهاته، وكتبته، فوجدتها قد ضاعت بسقوط همم أهلها.

قال محمد بن عبد الملك بن أيمن:

ولقد تتبعته في تاريخ أحمد بن أبي خيشمة عند ذكر أهل الشام، ونقله لأخبار أهل حمص، فلم أجده فيها إلا حديثين أو ثلاثة.

قال أحمد بن زياد: وحدثني محمد بن وضاح، قال: حدثني

يحيى بن يحيى، قال:

أول من دخل الأندلس بالحديث معاوية بن صالح الحمصي.

قال محمد: وذكر بعض أهل العلم، قال:

كان معاوية بن صالح راوية لحديث أهل الشام ، فطال عمره ، وكان منفرداً به في زمانهم ، ومن الدليل على رياسته وانفراده به ، أن زيد بن الحباب العمكلى^(١) ، وهو من رجال أبي بكر بن أبي شيبة ، مشهور في أهل الحديث ، رحل إلى الأندلس من العراق ، وأخذ عنه كثيراً من الحديث .

قال أحمد بن خالد : حدثنا أبو عبد الملك مروان بن عبد الملك الفخار ، قال : سمعت أباسعيد الأشج يقول :

أبو الحسين زيد بن الحباب ، مولى لعُكل .

وسمعت عبدة بن عبد الله يقول :

سمعت زيد بن الحباب ، يقول : دخلت الأندلس ، وكتبت عن معاوية بن صالح .

قال محمد :

قدم معاوية بن صالح الأندلس قبل دخول الإمام عبد الرحمن بن معاوية ، رضى الله عنه ، أرض الأندلس ، فنزل بإشبيلية ، فكان بها حتى قلم الأمير عبد الرحمن ، رحمه الله ، فلما تمت له البيعة ، واتسقت له الأمور ، أرسل معاوية بن صالح إلى الشام ليأتيه بأخته أم الأصبع ، فأبت الانتقال^(٢) وقالت ، كبرت سني ، وأشرفت على اقضاء أجلي ، ولا طاقة بي على شق البحار والقفار ، وحسبي أن أعلم ما صار إليه من نعمة الله .

(١) تهذيب التهذيب (٣ : ٤٠٢ - ٤٠٤) .

(٢) الأصول : « عن الانتقال » .

قال محمد : قال لي محمد بن هبدي الملك بن أيمن .

وفي سفرته تلك كتب عنه وجوه أهل العلم .

قال لي : ثم لما صار معاوية إلى الأمير عبد الرحمن أدخل إليه تحف أهل الشام ، وكان في تلك التحف من الرمان المعروف اليوم بالأندلس بالرمان السفري ، فجعل جلساء الأمير من أهل الشام يذكرون الشام ، ويتأسفون عليها ، وكان فيهم رجل يسمى : سفر ، فأخذ من ذلك الرمان شيئاً لطف به ، وغرسه حتى علق ونما وأثمر ، فهو اليوم الرمان السفري ، نسب إليه .

قال محمد : وذكر أحمد بن خالد ، قال :

لما وجه الأمير عبد الرحمن ، رحمه الله ، معاوية بن صالح إلى الشام حج في سفرته تلك ، فلما دخل المسجد الحرام في أيام الموسم ، (و) ^(١) نظر فيه إلى حلق أهل الحديث : عبد الرحمن بن مهدي ، ويحيى ابن سعيد القطان ، وغيرهما من نظرائهما ، قصد إلى سارية فصلى ركعتين ، ثم صار إلى معارضة ^(٢) من كان معه ، وذكروا أشياء من الحديث ، فقال معاوية بن صالح : حدثني أبو الزاهرية حدير بن كريب ^(٣) ، عن جبير بن نفير ^(٤) ، عن أبي الدرداء ، عن رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، وسمع بعض أهل تلك الحلق قوله ، فقالوا : أتق الله أيها الشيخ ولا تكذب ، فليس على ظهر الأرض أحد يحدث عن

(١) تكملة يستقيم بها الكلام .

(٢) مقروء ريبيرا : « معاوضة » وعليه المطبوعتان المصريتان .

(٣) تهذيب التهذيب (٢ : ٢١٨) .

(٤) تهذيب التهذيب (٢ : ٦٤) .

أبي الزاهرية عن جبير بن نفير ، عن أبي الدرداء . غير رجل لزم الأندلس ، يقال له : معاوية بن صالح ، فقال لهم : أنا معاوية بن صالح . فانقضت الحلق كلها ، واجتمعوا إليه ، وكتبوا عنه في ذلك الموسم علماً كثيراً .

قال محمد :

ولما قدم معاوية بن صالح من الشام على الأمير عبد الرحمن ولاة القضاء والصلاة .

وغزا الأمير سرقسطه ، وغزاه معه معاوية بن صالح ، فكان يجيء الليل بالصلاة ، حتى إذا أصبح لبس قباءه^(١) وسلاحه ، ومضى إلى الصف حيث القتال ، فوقف فيه .

أخبرني محمد بن عمر بن عبد العزيز ، قال : أخبرني علي ، عن ابن أبي شيبة ، قال :

غزا معاوية بن صالح ، وهو قاضي الجماعة ، مع الأمير عبد الرحمن غزاة سرقسطه ، إذ كان يحارب بها ابن الأعرابي ، فكان إذا هتف على الجند إلى الخروج خرج معاوية في كتبية من جند مصر ، فلا يزال واقفاً في مركزه ، متوكفاً على قوسه ، حتى تنجلي الحرب .

قال أحمد بن زياد : حدثني محمد بن وضاح ، قال : حدثني حرب ، رجل من أهل شبلاذ^(٢) ، قال :

(١) القباء ، بفتحين : ثوب يلبس فوق الثياب ، أو القميص يتمنطق به .

(٢) الأصول : « شبلاذ » آخرها راء ، تحريف ، وما اثبتنا من معجم البلدان (٣ : ٢٥٥) . وشبلار ، آخرها دال مهملة : قرية بالأندلس .

كنت بقرطبة في مسجدنا الجامع في المقصورة يوم جمعة، وكان في الجماعة رجل يتنفل ، ويعلم بالقرآن ، إلى أن دخل معاوية بن صالح المقصورة ، وهو يومئذ القاضي وصاحب الصلاة ، فسمع إعلان الرجل بالقراءة ، فمضى إليه فأخذ قلنسوته من رأسه ، ثم رمى بها إلى ناحية من نواحي المقصورة ، والناس مجتمعون ، ثم قال له عند أذنه : إلى حيث انتهت قلنسوتك ثم ينتهي أذاك ، ثم انتهى معاوية إلى موضعه .

فلما سلم الرجل سئل عما قال له ، فأخبر به .

قال لي محمد بن عبد الملك بن أيمن :

كان قد زال معاوية خمول^(١) في أيام الأمير عبد الرحمن ، رحمه الله ، فبينما الأمير جالس في السطح يوماً إذ نظر إلى معاوية بن صالح خاطراً في القنطرة ، فذكره وذكر خموله وما صار إليه ، فأرسل فيه ووصله وأعادته إلى حسن نظره .

قال محمد : سمعت من يقول :

إن سعيد الخير ، ابن الأمير ، شفع له إلى أبيه عبد الرحمن حتى رضى عنه وأعادته إلى حسن رأيه .

قال محمد :

وكان معاوية بن صالح قد عقد صهراً مع زياد بن عبد الرحمن ، وذلك أنه أنكحه ابنة له ، تسمى : حميدة ، ومنها ولد زياد ، فعرض لزياد مع ختنه معاوية عارض حُفظ يومئذ ، وتحدث به ، وذلك أن زياداً رغب أن ينظر إلى زوجته في بيت أبيها قبل بنائه بها ، على ما يفعله

(١) المطبوعتان المصريتان : « خمولا » .

بعض الناس ، فتحيل^(١) النساء عليه في ذلك ، وأتين به عند العشاء الآخرة ، فصار في الأسطوان ، فنفرت دابة معاوية منه واشتد قلقها من أجله ، حتى خرج معاوية إلى الصلاة ، فسمع حس الدابة ، فراه ذلك ، ثم دعا بالمصباح ، فوجد زيادا في مذود الدابة في بعض زوايا الأسطوان ، فآزاد على أن قال : استوصوا بزياد^(٢) خيراً ، ثم خرج إلى الصلاة .

قال أحمد بن زياد : أخبرني عيسى بن بكر المعلم ، قال : أخبرني بعض من أثق به بذلك ، عن عامر بن معاوية ، وعن غيره ، قال :

خرج معاوية بن صالح حاجا بعد الحجة التي تقدمت له من أرض الأندلس ، وخرج معه حينئذ زياد بن عبد الرحمن ، فلما قدما المدينة توجه زياد بن عبد الرحمن إلى مالك بن أنس ، فدخل عليه ، وقد كان تقدم له منه سماع في غير سفرته تلك ، وأعلمه بقدم معاوية بن صالح ، فسأله أن يأتيه [به]^(٣) فاتاه [به]^(٣) ، فدخلا عليه ، فسأله معاوية ابن صالح عن نحو مائتي مسألة ، فأجاب مالك عن جميعها فكشف^(٤) زياد بن عبد الرحمن مالكا ، وقال له : يا أبا عبد الله ، كيف رأيت معاوية بن صالح ؟ فقال له مالك : ما سألتني أحد قط مثل معاوية بن صالح . ثم كشف^(٥) زياد معاوية عن مالك ، فقال له معاوية : ما سألت أحداً مثل مالك .

قال محمد : قال لي أحمد بن حزم ، قال لي محمد بن عمر بن لباة .

-
- (١) تحيل : استعمل الحيلة .
 - (٢) الأصول : « بكم » .
 - (٣) تكلمة يستقيم بها الكلام .
 - (٤) مقروء ريبيرا : « فكشف » . وعليه المطبوعتان المصريتان .
 - (٥) مقروء ريبيرا : « كشف » . وعليه المطبوعتان المصريتان .

كان يوسف الفهزى قد أعطى معاوية بن صالح جارياً ، فأولدها معاوية ، فلما ولي عبد الرحمن بن معاوية قوم^(١) على معاوية بن صالح الجارية^(٢) ، فاستحقت عليه ، فسأل معاوية بن صالح عن مسألة نفسه ، وما يجب عليه من الحق فيها .

فقال : شهدت أبا الزاهرية ، وقد اختصم إليه في دعامة في حائط لجل استحقتها رجل ، فقضى للمستحق بقيمة الدعامة ، وقال : إن في نزعها ضرراً على الحائط . وأنا أرى أن نزع هذه عن ولدها أشد ضرراً من ضرر دعامة من حائط ، فقبل ذلك منه ، فقومت هكذا .

وأشار ابن لبابة ، فجمع باب كنه على كونه ، ولم يكشف لها ذراع . قال محمد بن عمر بن لبابة . وكان اسم الجارية : خلة .

قال محمد : قال أحمد بن سعيد ، قال لى عبد الله بن محمد بن أبي الوليد الأعرج :

وكانت خلة هذه المذكورة فيبيحة ، وكان لها خادم فائقة الحسن ، اسمها : سعاد ، فكان الناس يقولون : شتان ما بين خلة وسعاد . قال محمد :

وقد اختلف قول مالك بن أنس في أم الولد تستحق^(٣) ، قال مرة : يغرم لسيد قيمتها وقيمة ولدها ، حتى نزلت بمالك بن أنس ، في أم ولده ، فأقضى أن يغرم قيمة أم ولد لا غير .

(١) الأصول : « قيم » . وما أثبتنا هو الصواب .
(٢) مقروء ريبيرا : « فى الجارية » وعليه المطبوعتان المصريتان .

قال خالد بن سعد : أخبرني محمد بن هشام ، عن أحمد بن يزيد بن عبد الرحمن ، عن محمد بن وضاح ، قال :

شهد الأمير هشام بن عبد الرحمن ، رحمه الله ، جنازة معاوية بن صالح في الربض ، ومشى في جنازته .

قال خالد : قال لي محمد بن هشام ، وأخبرني عيسى الزاهد ، قال : سمعت يحيى بن يحيى ، يقول :

مات معاوية بن صالح هاهنا ، ودفن بالربض .
قال محمد :

وكان لمعاوية بن صالح أخ يسمى : محمد بن صالح ، عقبه بالشام كثير ، لم يدخل أحد منهم الأندلس .

قال أحمد بن محمد [بن عبد الملك] ^(١) بن أيمن :

رأيت ^(٢) رسالة كتب بها البقية من ولده بالشام إلى البقية من ولد معاوية بالأندلس ، نسختها :

بسم الله الرحمن الرحيم

إلى جماعة ولد معاوية صالح الحضرمي ، من جماعة ولد محمد بن صالح الحضرمي . تولاكم الله بحفظه ، وحافظكم بصنعه ، ومدلكم في نعمته ، وزادكم من إحسانه .

إن الله جل ثناؤه ، وتقدست أسماؤه ، جعل بين الناس أنساباً يتعاطفون بها ، ويتواصلون عليها ، أوثق عراها ، وأتقن قواها ، وأتم

(١) تكلمة يستقيم بها السند .

(٢) الأصول : « قال رأيت » . ويبدو أن قوله « قال » مقحمة ،

الا أن يكون للسند بقية .

وهب الله لسكم العافية ، الشعب الأدنى ، والنسب الأولى ، يجمعكم وإيانا
 الجدل المعروف بحدير ، والقراة القريبة^(١) ، وإن جرى القضاء باغتراب
 بعض عن بعض ، وشحوط^(٢) دار عن دار ماسة ، لا يوهن أسبابها تقادم
 الانتزاح ، ولا يعنى على واجب حقوقها بعد التزاور ، وما عدمنا -
 أكرمكم الله - من أنفسنا تطلعا إليكم ، ولا ترك من رزقه الله
 الحج منا المسألة عنكم في حجاج المغرب ، طمعا في موافاة بعضكم ،
 وتشوقا إلى استفادة علم خبركم ، فلم يأذن الله أن يوافي سائلنا دالا
 عليكم ، ولا يخبراً عنكم ، حتى وقع بظنوننا ما يقع مثله بالظنون ،
 على فروط الليالى والأيام ، ومرور الشهور والأعوام ، من
 الانقراض والنفور ، حتى أهدى الله لنا علم ما كنا نتطلع إليه
 منكم ، أبعد ما كنا طمعاً فيه ، وأشد بأساً ، مع حامل كتابنا هذا
 إليكم ، وهو : أبو الحسارث بشر بن محمد بن موسى القرشى ، فإنه
 صار إلى حمص منصوره من بغداد ، نافذا^(٣) إليكم ، فسأل عنا ،
 بفضل ما ألزم نفسه لسكم ، إذ كنتم ، على ما ذكر ، أخواله ، وكانت
 أمه أم عمرو بنت محمد بن معاوية بن صالح ، وأحب من الانصراف
 إليكم بخبرنا ، فأخبر بمكاننا ، وأرشد إلينا ، وأتانا منه رجل ،
 ظاهر الفضل ، موسوم بالخير ، معه من خبركم ، وعلم أمركم ،
 ما امتلأت به الصدور سروراً وحبوراً ، وجعلنا لانكاشفه^(٤) في
 مساءلتنا إياه ، وتقصيدنا على ما عنده ، إلا يكشف لنا عما يزيد

(١) الأصول : « بالقراة » .

(٢) الأصول : « شحط » . وما أثبتنا هو المسموع .

(٣) مقروء ريبيرا : « نافدا » ، بالبدال المهملة .

(٤) الأصول : « لا نكشفه » .

النعمة علينا فيكم من الله عظيما في تسنية أقداركم ، وتشريف
مذاهبكم ، فالحمد لله رب العالمين ، المانّ الكريم ، الذي منّ علينا
بما تناهى إلينا عنكم ، وتقرر عندنا من فضل حالكم ، ونسأل الله
إتمام ما حبيتم به ، و [أن]^(١) . يزيدكم من كل خير ، ويزيدنا بمزيدكم ،
وأن يعوضكم وإيانا من الفرقة التي كتبها علينا ، فباعد بيننا ،
وشتت جمعنا ، وأن يجمع بيننا في جنانه ، ودار رضوانه ، ومحل
أوليائه ، إنه قريب مجيب .

وكتابتنا إليكم ، حجب الله عنكم كل مكروه ، ونحن من الله في
نعمة ، وكل بلائه عندنا جميل ، وحالنا في خاصة قومنا ، وكافة عترتنا
وجندنا ، الحال التي تحبون في أن نكون بها وعليها ، البسطه فيهم ، والتقدم
عليهم . وقد شاهد بشر بن محمد من أمرنا ما لعله سيخبركم به . فحمد الله
وشكراً على إحسانه ، ورغبه إليه في صالح المزيد ، والسلام عليكم
ورحمة الله وبركاته .

(١) تكلمة يستقيم بها الكلام .

ذكر القاضى عمر بن شراحيل

قال محمد :

أبو حفص عمر بن شراحيل المعافى ، أصله من أهل باجة ، ونزل
بقرطبة فى درب الفضل بن كامل .

ولاه الأمير عبد الرحمن بن معاوية - رحمه الله - القضاء
بقرطبة ، بعد معاوية بن صالح ، ثم عزله وأعاد معاوية بن صالح ،
فكانا جميعاً يتداولان القضاء ، عاماً معاوية وعاماً عمر ، وأقاما بذلك
مدة من الدهر .

قال : ولقد حدثنى محمد بن وضاح ، عمن أدرك أيامهما ، قال :

كان إذا أغفل الأمير - رحمه الله - عزله عند انقضاء العام ، رفع
بذكره بأمره .

وكان كل واحد منهما إذا عاقه شغل فى يوم من الأيام لم يقبض
لذلك اليوم رزقاً .

وأخبرنى من أثق به من أهل العلم ، قال : قال لى أبو مروان
عبيد الله بن يحيى :

كان الأمير عبد الرحمن بن معاوية - رحمه الله - يُدبّل بين معاوية بن
صالح ، وعمر بن شراحيل ، عاماً هذا وعاماً هذا ، فولى عمر بن شراحيل
عاماً من تلك الأعوام ، فلما انقضى العام أقره على القضاء ولم يحرّك ،

فكتب معاوية إلى الأمير عبد الرحمن يحركه في ولايته ويعلمه أن عام صاحبه قد انقضى ، فلما قرأ الأمير عبد الرحمن كتابه أنكره واستفظعه ، وأمر بإدخال معاوية على نفسه ، فلما دخل إليه قال : هذا كتابك ؟ قال : نعم ، قال : ومثلك يطلب ولاية القضاء ، وقد علمت ما جاء في ذلك من الأثر فيمن طلبها وكل^(١) إلى نفسه فيها ! فقال : أصلح الله الأمير ، وليتني القضاء في أول مرة ، وأنا كاره ، فتوليته ، فلما تولى رأس الشهر رزقتني رزقاً واسعاً توسعت به ، ثم استمر الرزق كل شهر حتى عزلتني عند رأس العام ، فاستقبلت العام الثاني ، الذي كنت فيه معزولاً ، بفضول من رزق العام الأول ، فانقضت تلك الفضول بانقضاء العام ، ثم وليتني فعاد على الرزق ، فكانت هذه حالتني إلى هذا الوقت ، وقد انقضت فضولي الباقية من رزق العام الأول ، وانقضى العام ، فانتظرت الولاية التي يكون بها الرزق ، فأبصأت عني ، فكتب إلى الأمير مذكراً ، مع أنه إن طلبت الولاية فقد طلبها من ظله في الأرض خير مني : يوسف ، عليه السلام ، قال : (اجعلني على خزائن الأرض إني حفيظ عليم)^(٢) . فقبل الأمير قوله منه ، وأمر بعزل عمر بن شراحيل ، وتولية معاوية .

قال محمد :

وقد تكررت الأمانة وقضاء الكفور في نسل عمر بن شراحيل ، وقد ولي منهم رجل يكنى بأبي سعيد ، واسمه محمد بن عمر ، قضاء جيان

(١) كذا .

(٢) يوسف : ٥٥ .

وإستجته^(١) ، وكان مقدا عند الخاصة ، رفيع الدرجة عند العامة ،
وعقبه كثير .

(١) استجه ، بالكسر ثم السكون وكسر التاء فوقها نقطتان
وجيم وهاء ، كذا قيدها ياقوت فى كتابه معجم البلدان (١ : ٢٤٢)
بالعبارة ، وضبط الجيم ضبط قلم بفتحة ، على حين ضبطت ضبط قلم
أىضا فى صفة جزيرة الأندلس (ص : ١٤) بالتشديد .

ذكر القاضى عبد الرحمن بن طريف اليحصبي

قال محمد : قال أحمد بن خالد :

كان من شأن الخلفاء - رحمهم الله - السؤال عن أخبار الناس ، والكشف عن أهل العلم والخير منهم ، والتعرف لأماكنهم من قرطبة ، أو غيرها من الكُتُور ، فكانوا إذا احتاجوا إلى رجل يصلح لخطبة من خطبهم ، استجلبوه ، واحتاج الأمير عبد الرحمن بن معاوية ، رحمه الله ، إلى تولية قاضى جماعة بقرطبة ، وكان قد بلغه عن رجل بما ردة^(١) ، صلاح وصلابة وورع ، فاستجلبه وولاه ، فسار فى القضاء بأفضل سيرة .

قال محمد بن عبد الملك بن أيمن :

ومن ولى القضاء لعبد الرحمن بن معاوية - رضى الله عنهما - عبد الرحمن بن طريف ، من ساكنى مدينة ماردة ، وكان رجلاً صالحاً ، محمود السيرة .

ولقد قرىء^(٢) على القاضى أحمد بن محمد بن زياد صك^(٣) فيه ذكر مال وقفه عبد الرحمن بن طريف لأم العباس ، وأم الأصبغ ، أختى

(١) ماردة ، بكسر الراء ودال مهملة : كورة واسعة من نواحي الأندلس ومعجم البلدان (٤ : ٣٨٩) .

(٢) مقروء ريبيرا : « قرأ » ، وعليه المطبوعتان المصريتان .

(٣) مقروء ريبيرا : « صكا » ، وعليه المطبوعتان المصريتان .

الأمير عبد الرحمن بن معاوية ، وكان في ذلك الكتاب ، عند ذكر التوقيف: إذ كان المتوفى فلان مولاها ، وجب^(١) لهما ميراثه ، وهما غائبتان في الشام .

قال محمد : قال خالد بن سعد : سمعت محمد بن إبراهيم بن الحباب يقول ، عن حدثه :

إن الأمير — رحمه الله — عبد الرحمن بن معاوية دخل عليه حبيب القرشي ، فشكا إليه القاضي عبد الرحمن بن طريف ، وذكر أنه يريد أن يسجل عليه في ضيعة أقيم^(٢) فيها عنده ، وادعى على حبيب فيها الغضب ، والعداء^(٣) ، فأرسل الأمير — رحمه الله — في القاضي ، وتكلم معه في ذلك ، وأمره بالتثبت ، ونهاه عن العجلة ، فخرج ابن طريف من فوره ، وأرسل في الفقهاء والعدول ، فنفذ القضية على حبيب ، وسجل وأشهد ، فدخل حبيب على الأمير فأغراه بالقاضي ، ووصفه بالبغض^(٤) له ، والاستخفاف به ، فغضب الأمير غضباً شديداً ، وأرسل إلى القاضي ابن طريف ، وأدخله على نفسه ، ثم قال له : من أقدمك أن تنفذ الحكم بعد أن أمرتك بالتثبت والأناة؟ فقال له ابن طريف : أقدمني الذي أقعدك هذا المقعد ، ولولاه ما قعدته ، فقال له الأمير : قولك هذا أعجب من فعلك ، ومن أقعدني هذا المقعد؟ فقال : رسول رب العالمين ، فأولا قرابتك منه ما قعدت

(١) مقروء ريبيرا : « ووجب » وعليه المطبوعتان المصريتان .

(٢) الأصول : « قيم » . والذي أثبتناه أحق . وأقيم : أى فوض .

(٣) العداء ، بفتحيتين : الاعتداء .

(٤) الأصول : « بالبغضة » ، والبغضة ، بالكسر : مصدر بغض

الشيء ، ككرم ، إذا كان كريها . وما أثبتنا مصدر : بغض فلان الشيء ،

بفتحيتين ، إذا كرهه ومقته .

هذا المقعد ، وإنما بُعث بالحق ليقضى على القريب والبعيد . ثم قال له القاضى : أيها الأمير ، ما الذى يملك على أن تتحمل لبعض رعيتك على بعض ، وأنت تجرد من ذلك وجهاً : أن تُرضى من تعنى به من مالك ؛ فقال له الأمير : فعلت الذين استحقوا الضيعة أن يبيعوها فأشترتها لحبيب من مالى ، وأرضيتهم فى ثمنها ، فقال له ابن طريف : إذن أرسل فى القوم وأخاطبهم فى ذلك ، فإن أجابوا إلى البيع وإلا فإن حكمتى قد نفذت^(١) .

فخرج القاضى ، فأرسل فى القوم ، وتكلم معهم فى الضيعة ، فأجابوا إلى البيع ، إن أجزل لهم الثمن .

فكان حبيب يقول ، بعد ذلك : جزى الله عنى ابن طريف خيراً ، كانت يدي ضيعة حرام فجعلها ابن طريف حلالاً .

قال محمد : وسمعت بعض أهل العلم ، يقول :

إن حبيباً كانت له مع ابن بشير قصة تشبه هذه القصة ، فكان حبيب يلقاه من بعد فيقول : يا بنى أنت ، أردنا أن نأكل الحرام فأيدت إلا أن تجعله حلالاً .

(١) مقروء ريبيرا « نقد » بالنال المهمة . وعنه المطبوعتان
المصريتان .

ذكر القاصي المصعب بن عمران الهمداني

قال محمد :

هو : المصعب بن عمران بن شفي^٣ بن كعب بن زيد بن عمرو بن امرئ القيس بن زيد الهمداني ، من العرب الشاميين ، ومكتبه في جند حمص ، دخل الأندلس قبل دخول الأمير عبد الرحمن بن معاوية — رضى الله عنهما — فنزل بسكورة جيان بقرية باذو^(١) ، ثم رحل إلى موضع من عمل قرطبة بجو في المدور^(٢) الإذني إليها ، وكان سكنه بقرية تعرف بغليار^(٣) في الجبل من إقليم المدور .

وكان أبوه عمران من جند هشام بن عبد الملك بالشام ، وكان قد تزوج امرأة من بني حاطب بن أبي بلتعة ، وتزوج الأمير عبد الرحمن أخت تلك المرأة . وولد له منها سليمان ، ابنه ، والسيدة ، ابنته ، وقد لحقت مع أبيه ، ودفنت بمقبرة الربض .

قال محمد : ورأيت في بعض الأخبار .

أن هشام بن عبد الرحمن — رحمه الله — لما أدرك ، وخرج من القصر إلى داره ، انتهى إليه زهد مصعب بن عمران ، وورعه ،

(١) كذا .

(٢) المدور ، ضبطت ضبط قلم في معجم البلدان (٤ : ٤٥٠) بفتح فضم ، وضبطت ضبط قلم أيضا في صفة جزيرة الأندلس (ص : ١٤٣) بضم ففتح فواو مشددة مفتوحة .

(٣) كذا

فاستجلبه إلى نفسه واستخلصه ، وجعله وزيره وسيره ، فلما احتاج
الأمير إلى قاضى جماعة ، أشار هشام بالمصعب ، فقبل ذلك منه
هنا (ص : ٦٩) .

وكان مسكنه بقرطبة ، إذولى قضاءها ، برحبة عبد الرحمن بن
معاوية ، رحمهم الله .

وكان كاتبه محمد بن بشير المعافى .

وكان مصعب فى قضاائه من أهل العدل ، والسيرة المحمودة ،
صلبا فى الحق ، منفذاله على الخاصة والعامه .

وكان ذلك أيام هشام — رحمه الله — ثم توفى هشام ، فأقره
الحكم بن هشام — رضى الله عنه — على قضاء الجماعة وعلى الصلاة ،
وكان يعرف صلابته وتنفيذه ، فكان يؤيده ولا يفتى فى عضده ،
ويجيز أفعاله ، وينفذ أحكامه ، وإن وقعت بغير المحبوب .

قال محمد :

ورأيت فى بعض الحكايات أن العباس بن عبد الله المروانى
غضب ضيعة من رجل ، بجيان ، وتوفى الرجل وترك أطفالا ، فلما
بلغوا وانتهى إليهم عدل مصعب بن عمران ، قدموا قرطبة وأنزوا
إليه مظالمهم ، وأثبتوها عنده ، فبعث القاضى فى العباس بن عبد الله
وأعلمه بما ذكر القوم ، وعرفه بالشهود عليه ، وأباح له المدفع ، وضرب
له أجلا بعد أجل ، فلما انصرفت الآجال ، وعجز عن المدفع ، أعلمه
أنه ينفذ الحكم عليه . فدخل العباس على الأمير الحكم — رحمه
الله — وسأله أن يوصى القاضى بالتخلى عن النظر ، وأن يكون
الأمير الناظر بينه وبين خصمه ، فدعا الأمير بنفى له ، يسمى : بزنت ،
وأرسله إلى مصعب بن عمران بأن يتخلى عن النظر ، فلما أدى الفتى

الوصية ، قال له مصعب : إن القوم قد أثبتوا حقهم ، ولزمهم في ذلك الأمير ، فدعا معصباً إلى القضاء ، فأباه^(١) ، على ما وصفته في صدر الكتاب في باب : من عرض عليه القضاء فأبى قبوله^(٢) ، وانصرف إلى منزله .

قال محمد : قال لي بعض رواة الأخبار :

فلما ولي الخلافة هشام بن عبد الرحمن — رحمه الله — أرسل في مصعب بن عمران إلى ضيعته ، فذكر أنه أتاه الرسول وزوجته تنسج في منسج لها ، والمصعب بين يدي المنسج يعمل لها الوشائع^(٣) ، ففتحت^(٤) المرأة بإصبعها في المنسج ، ثم قالت له : ترد القضاء أيضاً على هذا الأمير كما رددته دلي أبيه ، ثم ترجع إلى وشائع المنسج ؟

فلما قدم المصعب على هشام ، قال له : قد علمت أنه إنما منعك من قبول القضاء من أبي الأخلاق التي كانت له ، وقد عرفت أخلاقه ، فتول^(٥) القضاء ، فأبى عليه ، فعزم عليه هشام — رحمه الله — عزماً شديداً حتى ولي القضاء .

وكان يخطب بالناس ، ويصلي بهم ، إذا غاب الأمير هشام ، فاشتراط على الأمير هشام ، إذا قبل منه القضاء ، أن يأذن له في اطلاع^(٦) ضيعته كل يوم سبت ويوم أحد ، فرضى له بذلك .

-
- (١) الأصول : « فأبى منها » . والوجه ما أثبتنا .
(٢) الأصول : « من قبوله » . والوجه ما أثبتنا .
(٣) الوشائع : جمع وشيعة ، وهي المكوك ، وكل لفيفة من القطن المندوف .
(٤) كذا .
(٥) الأصول : « فتولى » .
(٦) اطلع اطلاعا ونظر .

عناء طويل ، ونصب شديد ، لبعدهم مكانهم ، وقد ثبتت دعواهم ،
ولست أتخلى عن النظر حتى أحكم لهم . فرجع الفتى وأدى ما قال إلى
الأمير — رحمه الله — فجعل العباس يغريه ، ويقول له : قد أعلنت
الأمير باستخفافه ، وأنه يرى أن الحكم له للأمير . فصرف
الأمير الحكم — رحمه الله — الفتى إليه ، يقول له : لا بد أن
تكف عن النظر بينهم ، وأن أكون أنا الناظر في ذلك . فلما عاد
الفتى إلى مصعب بذلك من عند الأمير ، أمره بالعودة ، ثم أخذ كتاباً
فعمد حكمه للقوم بالضيعة ، ثم نفذه بالإشهاد فيه ، ثم قال للفتى :
أذهب فأعلمه أنى قد أنفذت ما لزمنى إنفاذه من الحق ، فإن أراد أن
ينقضه فذلك إليه يتقلد منه ما شاء . فذهب الفتى فحرف كلام القاضى ،
ونقل عنه إلى الأمير أنه قال : قد حكمت بحكم العدل فينقضه
الأمير إن قدر . فأطرق الأمير الحكم — رحمه الله — وجعل
العباس يغريه ويوقد غضبه ، وثاب إلى الحكم من توفيق الله
وعصمته ، التى اكتنف^(١) بها خلفاءه ، ما صار به إلى ما هو أشبه
بخلافته ، وأليق بإمامته ، فقال للعباس : ما أشقاه من لطمه قلم القاضى !
ثم رجع إلى ما كان فيه ، ولم يعرض للقاضى ، ونفذ له حكمه .

وذكر بعض أهل العلم ، قال :

اعتل مصعب فى ضيعته . فكشف عنه الأمير الحكم — رحمه
الله — فذكرت له علتة ، فخرج متنزهاً إلى جهة المدون^(٢) ، فقصده إلى
داره ونزل عليه فى منزله ، فقال له مصعب : إن الأمير — أعزه

(١) اكتنف : أحاط .

(٢) انظر الحاشية (رقم : ٢ ، ص : ٦٧) .

الله — قد خرج للتروح ، فإن رأى (١) أن يكون صدره (٢) على
 فليفعل ، فاستعد له بطعام يصيبه ، فركب الحكيم ، رحمه الله — فقضى من
 تروحه وطرا ، ثم انصرف إليه ، فأحضر طعامه . ثم نظر الحكيم إلى
 خادم لمصعب تسمى : علة ، فاستسقاها ماء ، فقال لها مصعب : كفى
 يا علة ، ونادى بابنة له تسمى : ككوية ، فقال لها : اسقى مولاك ماء ،
 فقامت الصبية وسقته ، وتولت خدمته ، فقال له الحكيم — رحمه
 الله — : هذا لقب أو اسم ؟ فقال له : بل اسم جدتي ، أم حاطب بن
 أبي بلتعنة ، فسماها النساء به على عادتهن في الأسماء ، فقال له الأمير
 الحكيم — رضى الله عنه — : إن وهبني الله ابنة سميتها باسمها ، فولدت له
 ابنة ، فسماها بذلك الاسم ، وهو أول من سمى بهذا الاسم من الخلفاء ، رضى
 الله عنهم .

وتوفى مصعب من تلك العلة ، وترك ولدين ، وعقبه باق ، ولم
 تزل الخلفاء — رضى الله عنهم — على محافظه لهم .

قال محمد : وأخبرني بعض رواة الأخبار :

أنه توافى على باب الأمير الحكيم — رحمه الله — جملة من الناس
 شتى ، يذكرون كفايتهم في الخلة ، ويسألون الأمير أن يشتروا له
 من مواليتهم ، فأمر أن يسألوا عن أسماء مواليتهم ، فكان فيهم عبد لولد
 مصعب ، فأمر الحكيم — رحمه الله — بزجره ، وقال : من يختم ولد
 القاضى ، لومات لهم هذا العبد لأخلفت لهم مكانه ، فكيف أن
 أنزعه منهم ؟

(١) مقررٌ ربييرا « وائى » .

(٢) الصدر : الصدور ، وهو الرجوع .

قال محمد :

ولم يكن مصعب بالمتسع في علم السنن ، ولا في رواية الأخبار .
قال أحمد بن زياد : حدثني محمد بن وضاح ، قال : حدثني يحيى
ابن يحيى :

أن زياد بن عبد الرحمن أول من دخل الأندلس بالفقه والحلال
والحرام ، وهو أول من أظهر سنة تحويل الأردية في الاستسقاء ،
وصاحب الصلاة والحكومات يومئذ ابن شني ، فقال ، على الجهل
منه : هذا قدر نشرة (١) .

قال يحيى :

خُرِجَتْ مِنْ هَاهُنَا إِلَى الْمَشْرِقِ ، وَلَقِيتُ مَالِكَ بْنَ أَنَسٍ ، وَاللَيْثَ
ابْنَ سَعْدٍ ، وَمِنْ دُونَهُمَا ، فَوَجَدْتُ سُنَّةَ تَحْوِيلِ الرِّدَاءِ مَعْرُوفَةً فَاشِيَةً .
قال محمد : وذكر عبد الملك بن الحسن ، قال سمعت محمد بن بشير ،
يقول : سمعت مالك بن أنس ، يقول :
تسكاد أحاديث ابن عمران تكون سيرا .
قال محمد :

فلا أدري أي ابن عمران أراد ؟ إن كان مصعب بن عمران ،
لأزابن بشير كان كاتبه ، فلعله كان يحكي له أخباره ، أو أراد : محمد بن
عمران الطلحي قاضي المدينة ، والأقرب أن يكون المراد مصعب بن
عمران ، لمجالسة ابن بشير له ، وأنه كان كاتبه ، وأعرف الناس بأخباره .

(١) كذا .

ذكر القاضى محمد بن بشير المعافى

قال محمد :

كان محمد بن بشير بن شراحيل المعافى ، أصله من جند باجة ،
من عرب مصر .

قال أحمد بن خالد :

طلب محمد بن بشير القاضى العلم بقرطبة ، عند شيوخ أهلها ،
حتى أخذ منه بحظ وافر ، ثم كتب لأحد أولاد عبد الملك بن عمر
المروانى ، لمظالمه نالته ، على وجه الاعتصام به ، وتصرف معه
تصرفا لطيفا ، ثم انقبض عنه وخرج حاجًا .

قال محمد :

وكتب محمد بن بشير فى حديثه للقاضى مصعب بن عمران ، ثم
خرج حاجًا ، فلتى مالك بن أنس ، وجالسه وسمع معه ، وطلب العلم
أيضا بمصر ، ثم انصرف فلزم ضيعته فى باجة .

قال محمد : أخبرنى من أثق به من أهل العلم ، قال :

لماتوفى المصعب بن عمران شاور الحكم — رضى الله عنه —
العباس بن عبد الملك المروانى فىمن يوليه قضاء قرطبة ، فقال له
العباس : إن مصعب بن عمران ، وإن كان حكم على فأغضبى
فتأفرته ونابذته ، فليس ذلك بالذى يبلغنى إلى الطعن عليه فى فضله
وحسن اختياره .

وقد كان اختياره وقع على محمد بن بشير ، فاستكتبه ، معرفى أنا ببن
بشير إذ تولى الكتابة لأخى إبراهيم ، فقبل الأمير — رحمه الله —
رأى العباس ، وأمر باستقدام محمد بن بشير .

قال محمد : رأيت فى بعض الكتب :

أن محمد بن بشير ، لما أتى فيه رسول الأمير ، أتى وهو لا يعلم
ما يراد به ، فلما صار بسهل^(١) المدور ، مال إلى صديق له كان بها من
العباد فنزل عليه ، وتحدث معه فى أمر نفسه ، وذكر أنه يتوقع أن
يضم إلى الكتابة التى تخلى عنها ، فقال له صديقه العابد : ما أراك
إلا بعث فيك للقضاء ، لأن القاضى توفى بقرطبة ، وهى الآن بلا قاض .
فقال له ابن بشير : إذ قلت هذه المقالة ، وتوهمت هذه الحالة ، فأنا
أستشيرك فى ذلك ، وأسألك أن تنصح لى ، وتشير بالصواب على ،
فقال له العابد : أسألك عن أشياء ثلاثة فاصدقنى فيها ثم أشير عليك
بعد ذلك ، فقال له محمد بن بشير : ما هى ؟ قال له : كيف جبك لأكل
الطيب ، ولباس الثلين ، وركوب الفاره ؟ فقال له : والله ما أبالى
ما رددت به جوعتى ، وسرت به عورتى ، وحملت به^(٢) رجلى^(٣) ،
فقال له العابد : هذه واحدة ، ثم قال له : كيف للتمتع بالوجوه^(٤)
الحسان ، وما يشاكل ذلك من الشهوات ؟ فقال له محمد بن بشير : هذه
حالة والله ما استشرفت نفسى قط إليها ، ولا خطرت ببالى ، ولا اكترت
يفقدها . قال له العابد : هذه ثانية ، فكيف جبك لمدح الناس وثنائهم
عليك ، وكرامتك للعزل ، وحبك للولاية ؟ فقال له : والله ما أبالى فى

(١) الأصول : « بسهلة » .

(٢) كذا . يريد : ما تحاميت به واتقيت .

(٣) الرجل ، بالضم : أن تمشى راجلا ، ليس لك ما تركبه .

(٤) الأصول : « الوجوه » .

في الحق من مدحني أو من ذمني ، وما أسر بالولاية ، ولا استوحش
للعزل ، فقال له العابد : فاقبل القضاء ، فلا بأس عليك .

فقدم قرطبة ، فولاه الحكم ، رحمه الله ، قضاء الجماعة والصلاة .
قال محمد :

فن مستفيض الأخبار التي لا يتواطأ على مثلها ، أن محمد بن
بشير من عيون قضاة الأندلس ، ومن وجوه أهل القضاء بها ، كان
شديد الشكيمة ، ماضى العزيمة ، مؤثراً للصدق ، صلباً في الحق ،
لا هوادة عنده لأهل الحرم ، ولا مهادنة في أحكام السلطان ،
ولا يعبأ بجميع^(١) أهل الخدمة ، ولا بمن^(٢) لاذ بالخليفة من
جميع الطبقات .

قال أحمد بن خالد :

كان أول ما أنفذه محمد بن بشير من أحكامه التسجيل على الأمير
الحكم — رحمه الله — في أرحاء القنطرة ، إذ قام عنده فيها بعض
من قام ، فسمع من البيئته فيها ، ثم أعذر إلى الأمير — رحمه الله —
ثم سجل فيها وأشهد ، ثم ابتاعها للأمير الحكم بعد ذلك ابتياعاً
صحيحاً .

فكان الأمير الحكم بعد ذلك يقول : رحم الله محمد بن بشير ،
فقد أحسن فيما فعل بنا ، كان في أيدينا شيء مشتبه فصححه لنا ،
وصار حلالاً طيباً ، فطاب لنا ملكه .

قال محمد بن وضاح :

(١) الأصول : « على جميع » .
(٢) الأصول : « ولا على من » .

حكيم محمد بن بشير على ابن فطيس ، ولم يعرفه بالشهود ، فرجع ابن فطيس بذلك إلى الأمير الحكيم ، رحمه الله .

فأمضى^(١) الأمير إلى ابن بشير : إن ابن فطيس ذكر أنك حكمت عليه بشهادة قوم ولم تعرفه بهم ، وإن أهل العلم يقولون : إن ذلك له .

فكاتب إليه ابن بشير : ليس ابن فطيس ممن يعرف بمن شهد عليه ، لأنه إن لم يجد سبيلا إلى تجريحهم طلب أذاهم في غير ذلك ، حتى يجلبهم عن^(٢) أموالهم .

قال خالد بن سعد : أخبرني محمد بن فطيس ، قال : حدثنا يحيى بن يوسف بن يحيى المعافري : أنه سمع عبد الملك بن حبيب ، وذكر محمد بن بشير ، فقال :

كان من خيار المسلمين ، وذكر عدله .

قال عبد الملك : وكان يصلي بنا الجمعة وعليه قلنسوة خز .

قال محمد : ذكر بعض أهل العلم ، قال :

كان محمد بن بشير يقضى في سقيفة معلقة بقبلي مسجد أبي عثمان ، وكانت داره في الدرب الذي بقبلي ذلك المسجد ، وكان إذا قعد للقضاء جلس وحده ، لا يجلس معه أحد ، وخربطته بين يديه ، ويتولى أكثر الكتاب بيده ، فيتقدم المنصوم على كسب^(٣) ، فيقف الحصان على أقدامهما ، فيدليان بحجتهما ، ثم يفصل بينهما ، وينصرفان .

(١) مقروء ريبيرا : « فأوصى » وعليه المطبوعتان المصريتان .

(٢) مقروء ريبيرا : « من » ، وهذا الفعل يتعدى بالحرف : « عن » .

(٣) مقروء ريبيرا : « كتبه » وعليه المطبوعتان المصريتان .

وكان يقعد لسماع الخصومة من غدوة إلى قبل الظهر بساعة ، ثم يقعد بعد صلاة الظهر إلى العصر ، لا يكون نظره غير السماع من البيئات ، ولا يسمع من بينة في غير ذلك الوقت ، وكان لا يخاليه أحد في مجلس نظره ، ولا في داره ، ولا يقرأ كتاباً لأحد في سبب من أسباب الخصومة .

قال محمد بن وضاح :

ولما ولي القضاء محمد بن بشير طابع^(١) عشرة ، فلم تزل في خريبطته إلى أن مات ، كان إذا أتاه الرجل يسأل الطابع ، كاشفه عن^(٢) يجبه ، فإن كان قريباً بقرطبة أعطاه طابعا ، وأمر السكاتب برقم^(٣) اسمه ومسكنه ، وفيمن أخذ الصابع ، ويقول : إياك إن كنت ظالماً أن تقدم على أحد بطابعي ، ويعهد إليه بصرف الطابع بعينه ، وإن كان بعيداً أجل له بقدر ذلك .

فلم تزل تلك الطوابع تتردد على يديه حتى توفي .

وذكر بعض الرواة ، قال : شهد رجل من أكابر أهل زمانه مع رجل كان رقيقاً للقاضي ، في حجه ، وكان الناس يعدونه أثيراً عنده ، وأميناً لديه ، فقال للمشهد له : زدني بينة . وشاع ذلك في الناس ، وعلموا أن الشاهد الأول قبله ، وأن صديقه ورفيقه هو المردود الشهادة ، فقال له الخصم : يعرفني القاضي بمن قبل من شاهدي

(١) مقروء ريبيرا « طابع » وعليه المطبوعتان المصريتان .

(٢) مقروء ريبيرا : « كاشفه فيمن » وعليه المطبوعتان المصريتان .

(٣) مقروء ريبيرا : « بزم » وعليه المطبوعتان المصريتان .

وبمن لم يقبل ، لأعدله ، فقال له : الذى لم أقبل لا ينفحك تعديله
عندى ، وهو فلان ، صاحبي ورفيقي .

قال : فلما تكلم بذلك القاضى أتاه رفيقه ذلك فى مجلس انظر
على عيون الناس ، فقال له : أيها القاضى ، قد علمت أنى لا أقدر على
مخالاتك وسرالك عما أحب أن أسألك عنه ، إلا فى هذا الملاء ، وقد
رأيت أن أوقف نفسى بين يديك هذا الموقف ، وأسألك عن السبب
الذى أوجب ردك لشهادتى ، فقد علمت أنه جمعنى بك المنشأ ،
والحضار^(١) ، وطلب العلم ، وطريق الحج ، واطلعت من باطنى
على مثل ما اطلعت من باطنك ، فعرفنى السبب الذى أنكرت على^(٢)
لأعرفه وأعترف بخطئى فيه أمام هذه الجماعة ، فقال له ابن بشير :
صدقت ، قد جمعنى بك ما ذكرت ، وعرفتنى كما وصفت ، وما أعترت^(٣)
لك من خبره^(٣) فى دينك ، ولكن صدرنا عن الحج ونزلنا بمصر ،
وابتدأنا بالسماع من شيوخنا وعملنا على المقام بها ، فقلت لى : إن
الغربة قد أضرت بى ، وإنى أحببت ابتياع جارية ، فحسنت ذلك لك ،
واستعرضت الرقيق ، فقلت لى : إنى وجدت جارية تساوى على
وجهها كذا وكذا ، ويدها صنعة ، ويسأل بها صاحبها من أجل
صنعتها كذا وكذا ، أكثر مما تساويه بغير صنعة ، فقلت لك : لا حاجة
بك لى صناعتها ، وأما أن تبتاعها للمتعة فدعها وابتع غيرها ، فإنها
تقوم لك مقامها ، فلامعنى للزيادة فيها ، فأظهرت منى القبول ،

(١) الحضار : الغدو والرواح ، يريد زمن الصبا .

(٢) أعتره على الأمر : أطلعه عليه .

(٣) الخرية : الزلة والعيب .

ومضيت فابتعتها وزدت فيها على قدرها ، فلما رأيت الشهوة قد غلبتكم في ابتياع تلك الجارية ، وإتلافك المال في المغالاة فيها ، خشيت أن تكون مثل تلك الشهوة قادتك إلى الشهادة لمال تأخره ، أو ميل تميّله ، فاحتطت لديني ، ولم أجدني في سعة من قبول شهادتك .

قال محمد :

وشهد عنده رجل من إخوانه من أهل الخاصة به والتسكّر عليه ، يكنى بأبي اليسع ، فرد شهادته ، فبلغ الرجل ما كان منه ، فتصدى له وهو رافع إلى الجامع ماشياً ، فقال له : على خاصتك بك ، ومحبتى لك ، ترد شهادتى عندك ؟ فقال له محمد بن بشير : الورع يا أبا اليسع ! الورع يا أبا اليسع ! مرتين لم يزد على ذلك .

قال محمد بن أحمد الشيباني الزاهد : سمعت محمد بن وضاح ، يقول : أخبرني من كان يرى محمد بن بشير القاضي داخلا على باب المسجد الجامع يوم جمعة ، وعليه رداء معصفر ، وفي رجله حذاء يصر^(١) ، وعليه جمة مفرقة ، ثم يقوم فيخطب ويقضى ، وهو في هذا الزى ، وإذا رام أحد من دينه شيئاً وجده أبعد من الثريا .

قال محمد :

ومما يحكيه الناس ، ويدور على ألسنتهم من أخبار محمد بن بشير : أنه أتاه رجل لا يعرفه ، فلما نظر إلى زى الحدائث من الجمة المفرقة ، والرداء المعصفر ، وظهور الكحل ، والسواك ، وأثر الحناء في يديه ، لم يتوسم فيه^(٢) القضاء ، فقال لبعض من يجلس إليه : دلوني

(١) يصر : يصوت .

(٢) الأصول : « عليه » والوجه ما أثبتنا .

على القاضى ، فقيل له : هاهو ذا ، وأشير له إلى القاضى ، فقال لهم :
إني رجل غريب ، وأراكم تستهزئون بي ، وأنا أسألكم عن القاضى
وأتمت تدلوننى على زامر ، فزجر من كل ناحية . وقال له ابن بشير :
تقدم فاذا ذكر حاجتك . فلما أيقن الرجل أنه القاضى تذمم واعتذر ،
ثم ذكر حاجته ، فوجد من العدل والإنصاف فوق ظنه .

قال محمد :

وكان محمد بن عيسى كثير النادر ، كثير التطنيب ، فكان إذا رأى
الرجل من أصحاب محمد بن بشير قال له : متى رأيت عشر الدلال ، ومتى
تمضى إلى عشر الدلال ؟ فبلغ ذلك محمد بن بشير من قوله ، واستفاض
عنده ، فأحفظه ذلك ، فلما اجتمع معه عطف عليه محمد بن بشير ، فقال
له : أبا عبد الله ، إن الشر لا يعجز عنه أحد ، وكل من رضى به قدر
عليه ، وإن الخير لا يناله إلا أهل الصبر ، ومن يقوم على نفسه
بالرياضة المحمودة ، فأقصر عما بلغنى عنك ، فإنه أجمل بك .

قال محمد :

وهذا المعنى الذى أتى به محمد بن بشير قد قاله مالك بن أنس لبعض
الشعراء ، حدثنى به بعض أهل العلم بمدينة تونس ، قال :

اختصم رجلان إلى عامل المدينة ، أحدهما شادر ، فرفعهما إلى
مالك بن أنس ليفصل بينهما ، فتكلما عند مالك بن أنس وتناظرا ،
فحكّم مالك على الشاعر لصاحبه ، فقال الشاعر ، وقد أحفظته^(١)
فنيا مالك عليه : أتظن الأمير لم يكن يعرف هذا القضاء الذى قضيت به

(١) مقروء ريبيرا : « أحفظه » وعليه المطبوعتان المصريتان .

على؟ إنما صرفنا إليك لتصلح بيننا فلم تفعل، أما والله لأقطعن ظهرك هجاء، ثم خرج عنه، فأمر مالك بن أنس أن يُصرف إليه، فصرُف، فقال له: يا هذا، تدرى بأى شيء وصفت نفسك؟ بالسفه والدناءة، وهما اللذان لا يعجز عنهما أحد، ولكن عليك بما تنقطع الرقاب دونه، وهو الكرم والمروءة.

حدثني أحمد بن محمد بن عبد الملك بن أيمن، قال: حدثني أبي، عن أبيه، قال:

كان فيما يجاورنا شيخان من أهل العدل في ذلك الزمان، وكانا صديقين لمحمد بن بشير، متكررين عليه، يظن بهما خيراً، ويحسب عندهما فضلاً، كان أحدهما جد أحمد بن بشير، المعروف بابن الأغبس، فتوفي رجل من تجار قرطبة، عظيم النعمة، فقام مملوك له عند القاضي محمد بن بشير، يذكر أن مولاه المتوفى أعتقه، وأنه أنكحه ابنته، وأوصى إليه بماله، فدعاه بالبيثة على ما ادعاه، فأتاه بالشيخين، فشهدا عنده على مازعم المملوك، فأنفذ شهادتهما، وقضى للملوك بما قال، ثم لم يلبث أحد الشاهدين إلا مدة يسيرة، حتى حضرته الوفاة، فأوصل^(١) إلى القاضي: إني أريد أن أراك، وكان على القاضي حضور جنازة بمقبرة بلاط مغيث، فلما صدر عنها دخل عليه، فلما بصر به الشاهد، وهو في مرضه وكرهه يعالج الموت، جثا على ركبتيه وجعل ينجر^(٢) إليه، فقال له القاضي: ما شأنك؟ ما عرض لك؟ وظن به خبالاً من العلة التي به، فقال له الرجل: أنا في النار إن لم تنقذني منها،

(١) مقروء ريبيرا: « فأوصى » وعليه المطبوعتان المصريتان .

(٢) مقروء ريبيرا: « ينجز » وعليه المطبوعتان المصريتان .

وينجر اليه : ينجذب اليه .

قال له محمد بن بشير : يحيرك الله من النار ، إن شاء الله ، فما خبرك ؟ فقال له الرجل : الشهادة التي شهدت بها عندك لفلان المملوك ، مملوك فلان ، لم يكن شيء منها ، فأتق الله واطفئ الحكم ، وانقض ما انعقد منه ، فلم يزد محمد بن بشير على أن وضع يديه في ركبتيه ثم قام ، وجعل يقول : مضى الحكم وأنت إلى النار ، مضى الحكم وأنت إلى النار ، وخرج عنه .

قال خالد بن سعد : أخبرني محمد بن عبد الأعلى ، عن حدثه : أن محمد بن بشير ولى القضاء بقرطبة مرتين ، وأنه لما عزل المرة الأولى انصرف إلى بلده .

قال خالد بن سعد : سمعت أحمد بن بسّاق القاضي ، يقول : كان بعض إخوان محمد بن بشير^(١) يعاتبه في صلابته ، ويقول له : أخشى عليك العزل ، فكان يقول : ليته ، من قد رأى الشقراء - يعنى بغلته - تقطع بي الطريق إلى باجة .

فما مضى إلا سير حتى حدثت حادثة أظهر فيها ابن بشير صلابته ، فكانت سبباً لعزله كما يتمنى .

فلم يلبث إلا يسيراً حتى أتى فيه ركاض^(٢) من قبل الأمير -

(١) الأصول هنا ، وفيما سيأتى بعد قليل : « محمد بن سعيد ابن بشير » .

والمراجع التي ترجمت له ، مثل : بغية الملتبس للضبى (ت : ٦٩) والمغرب لابن سعيد (ت ٧٦) وتاريخ قضاة الأندلس للنباهى (ص : ٤٧) والتكملة لابن الأبار (ص : ٩٠) والنفح للمقرئ (١ : ٥٥١) على نه : محمد بن بشير .

(٢) ركاض ، أى عاد مسرع ، صفة مبالغة من الركض .

رحمه الله — فرفعه إلى قرطبة ، فلما كان ببعض الطريق عدل إلى صديق له من أهل الزهد ، فاجتمع معه ، وقال له : قد أرسل في الأمير أنه يريد إعادتي إلى القضاء مرة ثانية ، فما ترى ؟ فقال له صديقه الزاهد : إن كنت تعلم أنك تنفذ الحق على القريب والبعيد ، ولا تأخذك في الله لومة لائم ، فلست أرى لك أن تحرم الناس خيرك ، وإن كنت تخاف ألا تعدل فترك الولاية أفضل لك ؛ قال محمد بن (١) بشير : أما الحق فلست أبالي على من أدوته ، إذا ظهر لي من قريب أو بعيد ، فقال له صديقه الزاهد : لست أرى لك أن تمنع الناس خيرك .

فلما قدم أعاده الأمير إلى القضاء ، فعدل في ذلك .

قال خالد بن سعد : وأخبرني بعض أهل العلم ، قال :

لما منع محمد بن بشير من بعض الخاصة ، وقصرت يده عنه ، حلف بطلاق زوجته وبصدقة ما يملك على المساكين إن حكم بين اثنين ، فعزله الأمير الحكم ، فبما أراد رده إليها ثانية اعتذر إليه بتلك الأيمان رجاء أن يعافيه ، فأخرج إليه الأمير جنارية من جواريه ، ومالا عوضاً عن ماله ، فقبل القضاء ثانية .

أخبرني من أثق به ، عن أحمد بن زياد ، قال : [قال] (٢) محمد بن

وضاح : أخبرني قاسم بن هلال ، قال :

دخلنا على محمد بن بشير نعدل (٣) عنده رجلا ، فقال : احلفوا

(١) الأصول هنا : « محمد بن سعيد بن بشير » أنظر الحاشية

(رقم : ١ من الصفحة السابقة) .

(٢) تكملة يستقيم بها السند .

(٣) مقرر ريبيرا : « يعدل » وعليه المطبوعتان المصريتان .

بأنه الذى لا آله إلا هو أنه عدل رضى ، فقالوا : أيمن ؟ أصلحك الله !
فقال : والله لا كتبتها حتى تحلنوا .

قال قاسم بن هلال :

وكنت أحدث القوم سنًّا ، فنسلت .

فقال لابن وضاح : فما صنعوا ؟ قال : لا أدري .

قال محمد :

وكان محمد بن بشير إذا اختلف عليه العلماء ، وأشكل عليه الأمر ،
كتب إلى مصر ، إلى عبد الرحمن بن القاسم ، وإلى عبد الله بن وهب .
أخبرني عثمان بن محمد ، قال : أخبرني يزيد بن يحيى ، عن
أبيه ، قال :

حملني محمد بن بشير أن أسأل له ابن القاسم عن مسائل ، وحمل
أيضا ذلك محمد بن خالد ، فلما قدمت مصر سألت عنها ابن القاسم ،
فأجابني ، فكتبت عنه جوابه .

وقدم محمد بن خالد من المدينة ، فسأله عن تلك المسائل بأعيانها ،
فأجابه فيها ، وكتب عنه ، فاجتمعت مع محمد بن خالد فامتحننت ما أجابه
به ابن القاسم في مسائله ، فأصبتها مخالفه لما أجابني به ، فأثيت ابن القاسم
فأعلمته بذلك ، وقلت له : إن قدمنا البلد بأجوبة مخالفة أدركت كل
واحد منا التهمة في نقله عنك ، وأوقعت القاضى في شبهة وشك ،
فاحتاج أن يكتبك ثانية ، فقال : صدقت ، فأرسل في محمد بن خالد ،
فقال له : أجبك وقلبي مشغول ، ولكن رد الأجوبة إلى ما كتب
عنى يحيى ، ففعل ، وأتينا بأجوبة متفقة ، وكان محمد بن بشير جيد
الخطة حسن الإدراك .

قال لي بعض أهل العلم :

كان ربما قبل الشاهد على التوسم والفراسة ، وكان ربما كشف في السر عن البينة .

قال لي عثمان بن محمد ، قال : [قال] ^(١) لي عبيد الله بن يحيى ، قال : [قال] ^(١) يحيى لمحمد بن بشير القاضي : إن الحالات تتغير ، فإذا عدل عندك الرجل فحكمت به ، ثم تطاول أمره وشهد عندك ثانية ، فكلفه التعديل وأعد فيه الكشف ، فقبل ذلك ابن بشير ، فلما شعر الناس بذلك أخذوا منه حذرهم .

قال محمد :

وكان يحيى بن يحيى من أشد الناس تعظيما لمحمد بن بشير ، وأحسنهم عليه ثناء في حياته وبعد وفاته .

سئل ^(٢) يحيى بن يحيى عن لباس العمام ، فقال : هي لباس الناس ، وعليه كان أمرهم في القديم ، فقبل له : لو لبستها لا تبعك الناس في لباسها ؟ فقال : قد لبس ابن بشير الخنز فلم يتبعه الناس ، وكان ابن بشير أهلا أن يقتدى به ، فلعل لي لو لبست العمامة لتركني الناس ولم يتبعوني كما تركوا ابن بشير .

وكان يحيى بن يحيى كثيرا ما يحكي عن محمد بن بشير ، عن مالك ابن أنس .

ذكر بعض أهل العلم ، عن يحيى بن يحيى ، قال : تظلم حمدون بن

(١) تكملة يستقيم بها السند .

(٢) المطبوعتان المصريتان : « سؤال » .

فطيس من محمد بن بشير ، فى شىء حكم به عليه ، إلى الأمير الحكم ،
رضى الله عنه ، فقال لى : يا أبا محمد ، إني سألت الأمير أن يجلس لى
الفقهاء ، وقد سألته أن يجلسك مع من يجلس ، فقال له : إني لأعظم
أن أجلس المجلس الذى يتظلم فيه من مثل محمد بن بشير ، فإن كنتم لابد
فاعلمين فعليكم بشيخنا يحيى بن مضر القيسى ، واعلم أن محمد بن بشير
على السخط خير لك منى على الرضا .

قال : فاستحيا حمدون ، وكان حليها دمثا ، وكف عن جمع الفقهاء .

ومما حكاه محمد بن بشير ، عن مالك :

قال عبد الملك بن الحسن ، قال محمد بن بشير : سمعت مالكا
يقول : انظروا فى هذه السكتب ولا تخلطوها بغيرها .

قال محمد : أراه يعنى الموطأ .

قال عبد الملك بن الحسن : قال محمد بن بشير : سمعت مالكا يقول :
تسكاد أخبار ابن عمران أن تكون سيرا .

قال محمد : فلا أدري أى ابن عمران أراد مالك بن أنس : ابن
عمران الطلحى قاضى المدينة ، أو مصعب بن عمران قاضى الجماعة
بقرطبة ؟ وأخلق به أن يكون أراد المصعب ، لأن محمد بن بشير كان
كاتباً للمصعب ، وكان عالما بأخباره ، ثم جالس مالكا^(١) من بعد ، فلعنه
قص عليه من أخباره فأعجبه ، فقال فيه ما قال .

قال محمد : قال لى محمد بن عمر بن عبد العزيز : ذكر محمد بن عمر
ابن لباة ، ومحمد بن عبد الله بن القوق :

(١) مقروء ريبيرا : « جلس ملكا » .

أن محمد بن بشير سأل مالكا عن ابن الأتق ، فلم يره بأساً .

قال محمد : قال لي بعض رواة الأخبار :

أكثر موسى بن سماعة ، صاحب الخيل ، على الأمير الحكيم ، رضى الله عنه ، في محمد بن بشير ، وشكا إليه أنه يجور عليه ، فقال له الأمير : أنا أمتحن قولك الساعة ، اخرج من فورك هذا واقصد ابن بشير فاستأذن عليه ، فإن أذن لك عزلته ، وإن لم يأذن لك دون خصمك فليس بجائر ، وإنما مقصده الحق ، فخرج موسى بن سماعة من عند الأمير إلى دار ابن بشير ، ثم أمر الأمير ، رحمه الله ، من وثق به من الفتيان أن يقفوا^(١) أثره ، ويعرف ما يكون منه ، فلم يكن إلا ريثما بلغ ، ثم انصرف فجعل يحكي للأمير ، قال : لما خرج الأذن إلى موسى ثم انصرف وأعلم به القاضى ، خرج إليه ثانية فقال له : إن كانت لك حاجة فتقصد فيها إذا جلس القاضى فى مجلس القضاء ، فقال الأمير ، رحمه الله : قد أعلمته أن ابن بشير صاحب حق لا هوادة عنده فيه لاحد .

قال محمد : أخبرني من أثق به من أهل العلم ، قال :

كان محمد بن وضاح يحكى عن الأمير الحكيم — رحمه الله — حكائيتين ، إحداهما فى محمد بن بشير ، والثانية فى ذكر شيء من الحدثنان ، فكان محمد بن وضاح يقول عند فراغ الحكائيتين ، والله لو لم يكن للحكم غير هاتين لرجوت له الجنة .

وإحدى الحكائيتين التى فى ابن بشير : أنه ذكر عن بعض الخاصة أن كريمة من كرائم الحكم — رحمه الله — ذكرت أن الحكم قام

(١) الأصول : « يقفوا » .

عنها ليلا فساء به ظنّها ، على ما يتوهم النساء ، ويسبق إليهن من وجه الغيرة ، قالت : فقفوت أثره فوجدته في بعض الأماكن يصلي ويدعو .

قالت : فلما انصرف أعلمته بما ظننت ، وبما فعلت ، وبما رأيته عليه من الصلاة والدعاء ، قالت : فقال لي : كنت قد قلت محمد بن بشير القضاء بين المسلمين ، فكانت نفسي عليه طيبة ، وقلبي به واثقا ، وكنت مستريحا من أخبار الناس وظلامانهم ، لما علمت من عدله وثقته ، حتى أعلمت في هذه العشية أنه في السياق ، وأن الموت قد حضره ، فقلقت لذلك واغتممت ، وقت في هذه الساعة أدعو الله وأبتهل إليه أن يوفق لي رجلا يكون عوضاً منه ، تسكن إليه نفسي ، فأوليه القضاء ، قضاء المسلمين بعده .

ذكر القاضي سعيد بن محمد بن بشير المعافري

قال محمد :

سعيد بن محمد بن بشير بن شراحيل المعافري ، كان نبيلاً فاضلاً ، وكان معيناً لأبيه علي العدل ، ومؤيداً له في اتباع الحق ، وكانت بصيرته من بصيرة أبيه في جميل المذاهب ، واستقامة نظرائه .

قال محمد : ذكر خالد بن سعد ، قال : أخبرني بعض أهل العلم :

أن أهل إستانج^(١) رفعوا إلى الأمير — رحمه الله — يسألونه قاضياً يقضى بينهم ، فأخرج الأمير — رحمه الله — كتابهم إلى قاضي الجماعة محمد بن بشير ، وأمره أن يتخير من يراه .

قال خالد : فأخبرني أحمد بن يحيى ، قال : لما قرأ محمد بن بشير كتاب الأمير أقرأه ابنه سعيداً ، ثم قال له : أنت تعرف جميع من يختلف إلينا من الناس ، فما ترى أن تشير به علي الأمير ؟ فقال له : لست أعرف ، ولا أقلد أحداً من الناس ، فقال له محمد بن بشير : ما ترى في المردب الزاهد الذي يختلف إلينا من شتة مندة ؟ فقال : هو أمثل من يختلف إليك ، غير أني لست أشير به ولا أقلده^(٢) فقال له أبوه : فأنا أقلده^(٣) وأشير به ، ثم أخذ كتاباً وبدأ يكتب بنجر المؤدب إلى الأمير ،

(١) أنظر الحاشية (رقم : ١ : ص : ٦٣) .

(٢) الأصول : « أتقلده » .

(٣) الأصول : « أتقلده » .

إلى أن قرع عليهما الباب ، فقال له أبوه : اخرج واعرف من هو ؟
نخرج فوجد قوماً يسألون عن القاضي ، فقال لهم ابنه : هو بحال شغل ،
فبينما هو يتكلم معهم إذ أتى المذنب الزاهد فتعرض للدخول على
القاضي ، فقال له ابنه : هو مشغول بكتاب يخاطب فيه الأمير ، فقال :
لا بد من رؤيته لأمر أخشى فواته ، وذلك أنه ذكر لي أنه سأله الأمير
أن يشير بقاض لأهل إستجبه ، فأحبت أن يشير بي ، فدخل سعيد على
أبيه ، وهو يكتب ، فقال : ارفع يدك عن الكتاب ، فإن الرجل الذي
تخاطب فيه قد هدم نفسه ، وأعلمه الخبر ، فأسقط محمد بن بشير الكتابة
فيه ، وأشار بغيره .

قال محمد :

وكان السبب الذي من أجله ولى القضاء سعيد بن محمد ، قصة دارت
عليه في وديعة كانت في يديه .

قال خالد بن سعد^(١) : حدثني من أثق به من أهل العلم ، عن يحيى
ابن زكريا ، وكان من أثبت أصحاب محمد بن وضاح ، قال : أخبرني أصبغ
ابن خليل ، قال :

كنت جالسا عند يحيى بن يحيى ، حتى أتاه سعيد بن محمد بن بشير ،
فجلس ، فرآه يحيى مغموماً ، فقال له : ما دهاك ؟ فقال : هم طرأ عليّ ،
قال : وما هو ؟ فما عليك أذن ولا عين ، فقال : إن ربيع القومس^(٢)
أودعني مالا عظيماً ، وهذا الهاتق يهتف : من كان عنده لربيع مال
أو وديعة فلم يظهره بعد ثلاث سفكنا دمه ، وأنهبنا ماله ؛ فاستهول يحيى

(١) الأصول هنا : « خالد بن سعيد » ، تحريف .

(٢) القومس : السيد الشريف ، والمتولى الناحية من النواحي .

الخبر واستعظمه ، وأكب طويلاً ، ثم قال له : وما تريد أن تصنع ؟
أرى والله ألا تحفر أمانتك ، للحديث الذي أتى : إن الأمانة تزدى
إلى البر والفاجر ، والرحم توصل ، برة كانت أو فاجرة ، والعهد يوفى
به للبر والفاجر . فسمى^(١) الحديث وفشا حتى انتهى إلى الأمير ، فبعث
فيه بعد ثلاث ، فخرج إليه الآذن من عند الأمير ، فقال له : ما دعاك إلى
ستر ما أودعك ربيع ، وقد سمعت ما هتف عنا الهاتف ، وما أظهرنا من
العزيمة في ذلك ؟ فقال للآذن : أعلم^(٢) الأمير - أصلحه الله - عني أني
إنما فعلت ذلك للحديث الذي أتى ، ثم نص الحديث حتى انتهى إلى
قوله ، والأمانة تزدى إلى البر والفاجر ، ولا أجر من ربيعة . فأنبأ
الفتى ذلك إلى الأمير عنه ، فأوصى الأمير إلى الوزراء : هذا
رجل صالح فولوه القضاء .

فكان ذلك سبباً لولايته القضاء .

قال محمد :

وكان سعيد بن محمد بن بشير صاحباً ليحيى بن يحيى ، وكان يحيى له
على محافظة وإكرام .

أخبرني عثمان بن محمد ، قال : أخبرني أبو مروان عبيد الله ، قال :

قال يحيى بن يحيى : الحلم يزين الرجال ، جئت عبد الملك بن مغيث
يوم أربونة^(٣) في الغزو ، ومعنا سعيد بن محمد بن بشير ، فسكان يرسل
إلينا ويستشيرنا .

(١) نسي : شاع .

(٢) الأصول : « يعلم » .

(٣) أربونة ، بفتح أوله ويضم ثم السكون وضم الباء الموحدة
وسكون الواو ونون وهاء (معجم البلدان : ١ : ١٩٠) . وبالوجه الأول
ضبطت ضبط قلم في صفة جزيرة الأندلس (ص : ١١) .

قال يحيى : وكان ربما استخصني بالإرسال دون سعيد بن محمد ، فقلت لعبد الملك : لا تفعل ، فإن صاحبي سيسوءه ذلك ، فقبل مني ، وبعث يوماً إلى بصللة ثمانية دنانير ، وإلى سعيد بن محمد بمثلها ، فقلت له : أما أنا فستغن عنها ، ولكن اجمعها^(٢) وابعث بها إلى صاحبي ، فإنه محتاج . فلما غنم المسلمون ، وعظمت في أيديهم ، قسم ما هنالك برأينا ومحضرا ، فقلت له في بعض مدار بيني وبينه : أحب أن أكلك بشيء يرق^(٣) وجهي عنك فيه ، فقال له : يا أبا محمد ، كل ما بلغ بك الحشمة فضعه عن نفسك .

قال عبيد الله :

فكأن يحيى يعجب بهذا الجواب جدا .

قال : فلما قفلنا ، قال لي : يا أبا محمد ، أردت أن أكرمك أنت وصاحبك ، قلت له : بماذا ؟ قال : بأن أسمعك سماعاً حسناً ، قال : فقلت له : أنت والله تريد هواننا لا إكرامنا ، قال : فقال لي : يا أبا محمد ، لا تظن ذلك ، فوالله ما كان رأي من قبلك أن يباليخ في إكرامهم حتى يفعل ذلك بهم ، قال : فقلت له ، لا جزاءم الله خيراً عن أنفسهم ولا عنك ، فقد خانوا الله ورسوله .

قال يحيى ، فاحتشم وكف .

(١) حذروء ريبيرا : « اجمعنا » وعليه المطبوعتان المصريتان .

(٢) روق وجهة : استحميا .

ذكر القاضى الفرج بن كنانة الكنانى

قال محمد :

هو الفرج بن كنانة بن نزار بن عتيان بن مالك الكنانى ، نسبه فى كنانة ، ومكتبه فى جند فلسطين .

كان مسكنه بشدونة^(١) ، وكان من أهل العلم والتقيد ، وكانت له رحلة إلى المشرق ، وسمع فيها من عبد الرحمن بن القاسم ، ومن غيره من أهل العلم ، ولما قدم من رحلته استنصه الأمير الحكيم بن هشام — رحمه الله — واستقضاه قضاء الجماعة بقرطبة .

قال محمد :

ولم يزل القضاء متردداً فى ولده بشدونة فى أيام الخلفاء — رحمهم الله — إلى أن ولى أمير المؤمنين — أعزه الله — رجلاً من ولده ، يكتنى بأبى العباس ، قضاء شدونة ، وكان قد عنى بطلب العلم عند شيوخ الأندلس مع محمد بن عبد الملك بن أيمن ، وغيره من نظرائه .

قال محمد : ذكر خالد بن سعد ، قال : حدثنى بعض أهل العلم :

(١) شدونة ، بفتح أو له ويعدده الواو الساكنة . كذا ضبطها ياقوت فى كتابه بالعبارة (معجم البلدان : ٣ ٣١٧) ويمثله ضبطت ضبط قلم فى صفة جزيرة الأندلس (ص : ١١) .

أن رجلاً^(١) من أهل الزهراء ، من آل الفرّج بن كنانة ، اتهم^(٢) بالحرّكة في الهيج ، فتسور عليه [الأعوان]^(٣) ليقتلوه^(٤) ، فصرخ النساء ، فقال : ما هذا ؟ فقيل له : جارك فلان أتاه الأعوان فجموا عليه ليقتلوه^(٥) ، فخرج الفرّج إلى باب الدار فاجتمع مع الأعوان ، فقال : إن جرى هذا سليم الناحية ، وليس فيه مما تظنون شيئاً ، فقال له المرسل مع الأعوان ، وكان رئيسهم : ليس هذا من شأنك ولا مما عصب بك^(٦) ، انظر في أحباسك وأحكامك ، ودع ما لا يعينك . فغضب الفرّج بن كنانة عند ذلك ، فمضى إلى الأمير الحكيم — رضى الله عنه — واستؤذن له عليه ، فلما دخل سلم ، ثم قال : أيها الأمير ، أصلحك الله ، إن قریش حاربت النبي ، صلى الله عليه وسلم ، وناصبته العداوة ، ثم إنه صفح عنهم وأحسن إليهم ، وأنت أحق الناس بالاعتداء به ، لقرابتك منه ، ثم حكى له القصة وما عرض له ، فأمر بضرب الناظر في ذلك الشعب ، وعفا عن بقية أهل قرطبة ، وبسط الأمان لجماعتهم ، واستألفهم إلى أوطانهم .

قال محمد : ذكر محمد بن حفص ، قال :

قرأت في كتاب بخط أحمد بن فرّج ، فيه نبذ من أخبار الأندلس : أن الفرّج بن كنانة غزا معقودا له على جند شذونة من

(١) مقروء ريبيرا : « عن رجل » وعليه المطبوعتان المصريتان .

(٢) مقروء ريبيرا : « فاتهم » وعليه المطبوعتان المصريتان .

(٣) تكملة يستقيم بها الكلام .

(٤) الأصول : « ليقتل » .

(٥) الأصول : « ليقتل » .

(٦) عصب بك ، أى لزمك وارتبط بك .

الغرب ، مع عبد الكريم بن عبد الواحد ، إلى جليقية^(١) ، وأن عبد
الكريم قدمه من استرققة^(٢) إلى جمع للنصرانية ، ففضضهم وقتل فيهم
قتلا ذريعا .

قال : وترأت في هذا الكتاب : أن الأمير الحكيم — رضى الله
عنه — استقدم الفرج بن كنانة من شذونة وولاه القضاء بقرطبة ،
وأنه لما أدال عبد الرحمن ابنه من سرقسطة وولاهها عبد الرحمن بن
أبي عبدة ، استخف به عمارة ، رجل من العرب ، على موالاة له ،
فولى سرقسطة الفرج بن كنانة ، إذ هو منهم ، فلحق الفرج بالشعر ،
وكان فيه مدة .

ثم إن عمارة استمال قوماً من البربر وأدخلهم المدينة ، وثاروا على
الفرج بن كنانة ، فلما كوه ، ثم تداعى العرب ووجوه البربر على عمارة
ومن معه فقتلوه وأجلوهم عن المدينة ، فقبضوا^(٣) على عمارة وابنه
وفروا بهما^(٤) إلى الفرج بن كنانة ، وسأله العرب ووجوه البربر مخاطبة
الأمير الحكيم — رحمه الله — بما كان من قيامهم معه ، ونصرتهم له ،
فكتب لهم ، وسكنت حالهم .
قال محمد :

وقرأت في الديوان جواب الحكيم — رضى الله عنه — إلى الفرج
ابن كنانة ، بما يصدق هذا الحديث ، ونسخته :
أما بعد . فقد بلغنا كتابك تذكر الذى زاولت من صلاح ما قبلك ،

(١) جليقية ، بكسرتين واللام مشددة وياء ساكنة وقاف مكسورة
وياء مشددة وهاء (معجم البلدان : ٢ : ١٠٩) .

(٢) نفح الطيب (١ : ٢٦٥) .

(٣) الاصول : « فقبضوا » .

(٤) مقروء ريبيرا : « به » . وعليه المطبوعتان المصريتان .

وشغلك عن الكتاب إلبنا بأمر عمارة ، وما كان من أمره وأمر من خرج معه ، ونقض الذى اختلف عليك من أمر أهل المدينة ، بدخول من داخلهم من البربر ، وما كان من نفير من نفر إلبك من خيارهم ووجوههم وأهل الدعة والأصلاح منهم ، نصرة لك ومعرفة بما فى الطاعة من العافية والسعادة ، ووثوب من وثب عليك من شرارهم وأهل السفه منهم ، وحسن مراجعتهم بعد الذى كان منهم ، ومن تذمهم على ما فرط من فعلهم ، وزل من رأيهم ، وقد كان من استجماع كاة خيارهم ووجوههم وصالحهم على نصرتك ، ومدافعه من وثب إلبك من سوادهم ، ما عفى على ما ركب رعاهم ، ومن شذ من سفاهتهم ، ودعا ذلك إلى العفو عنهم ، وتصفح عن زلهم ، وإنا كاتبون إلى عامتهم مع رساك إلبنا بما سألته^(١) ، ومعجل ذلك إلبهم [وقد] أصبت رأيك فيما جمعت من كابة الثريقين ، وأصلحت من أمرهم ، وقد عرفنا حسن رأيك ، وصواب سياستك ، فيما حملناك من أماتهم ، وعصبنا بك من أمرهم ، ووقع لك منا موقع المعرفة ، والسلام .

وكتب إليه مدرجة^(٢) فيها :

قد كان من أمر عمارة وابنه ، واستجماع من قبلك من العرب على دفعهما إلبك ، ما قد عرفت ، ثقة بك وبنصيحتك ، وما بلوا من طاعتك ، فاحتفظ بهما فى ليلك ونهارك ، واحذر الضيعة فيها ، والغفلة عنهما ، إلى قدوم المغيرة ذلك الثغر ، إن شاء الله ، واعلم أنك ضامن لهما إن

(١) مكان هذه الكلمة كلمة أخرى استعصت قراءتها على القارىء فوضع مكانها نقطا . وبمثل ما أثبتنا يستقيم الكلام .
(٢) المدرجة : الورقة تكتب فيها رسالة .

فاتا من يدريك ، فانظر لنفسك بالاحتفاظ بهما أبلغ التحفظ ، إن كانت لك بما قبلنا حاجة ، ولا تلومنّ إلا نفسك إن ضيعت ، والسلام .

وكان الفرّج بن كنانة قد بعث عنه^(١) بكتابه بعض أهل الغناء^(٢) ، من العرب إلى الأمير الحكيم — رضى الله عنه — فأمر لهم بالكساء والصلوات ، وبعث إلى قومه مثل ذلك .

وقرأت جواب الحكيم — رضى الله عنه — إلى الفرّج في أمر من وجّه من العرب ، وما كان منه إليهم ، وهذه نسخته :

أما بعد . فقد قرأت كتابك بما ذكرت من حال عامة من قبلك من العرب ، في طاعتهم ومناحتهم ، وخاصة من سميت من أهل البلاء منهم ، وقد وقع ذلك لهم موقع جزاء ومعرفة ، وصرّفتنا إليك رسلك بجوابات كتبك وكتبهم ، وأجزناهم على وفادتهم بأوسع الجائزة ، والسلام .

وهذه نسخة كتاب الأمير الحكيم — رضى الله عنه — إلى حبيش ابن نوح ، ومن قبله من العرب :

أما بعد . فقد بلغنا كتابكم تذكرون أن الذى كان من صنع الله لنا فى ذلك الثغر بما قتم فيه وحاولتم ، من صلاح ما فسد منه ، وأخطرتهم^(٣) من دمائكم وأنفسكم فى نصره عاملكم وعزه ، ومجاهدة من نزع عنه ودافع أمره ، حتى أصلح الله الأمر ، وجمع الكلمة ، وقوم الطاعة ، وكل الذى كتبتم تذكرونه ، وتمنون به ، قد وقع منا بأفضل

(١) مكان هذه الكلمة « عنه » جاء متأخرا بعد قوله : « الغناء » .

(٢) الغناء ، بالفتح : الكفاية .

(٣) أخطر : بذل .

موقع ، في معرفته ، وحسن الجزاء به ، وجميل المكافأة عليه ، وقد
ولينا المفيرة بن الحكم أمر نغرم ، وعهدنا إليه أن يعرف حق
بلائكم . وحسن طاعتكم وغنائكم ، وأن يتسع لكم فيما جعلته إليه
بما أتم أهله ، في طاعتكم وصبركم ومناحتكم ، وفضل ما قنتم من
ذلك ، والله المستعان ، والسلام .

قال محمد :

ولم أجد عند رواة الأخبار للفرج بن كنانة بعد مقدمه من
الفرخ خيراً .

وقال عبد الملك بن أيمن :

عقب الفرج بن كنانة بشذوثة كثير ، وقد أدركت من ولده
أما العباس ، يطلب العلم معنا عند شيوخ بلدنا ، ثم ولاه أمير المؤمنين —
أعزه الله — قضاء شذوثة .

ذكر القاضى قطن بن جزء التميمى

قال محمد :

هو قطن بن جزء بن اللّسّلاج بن سعد بن سعيد بن محمد بن عطار بن
حاجب بن زرارة التميمى ، وكان من أهل جيسان ، وولاه الأمير الحكيم
ابن هشام - رضى الله عنهما - قضاء الجماعة بقرطبة .

ولم أجد له عند رواة الأخبار خبراً أقيده عنه ، ثم تلاه فى القضاء
بشر بن قطن ، ثم ولى بشر بن قطن بعد ذلك .

ذكر القاضي عبيد الله بن موسى الغافقي

قال محمد :

هو عبيد الله بن موسى بن إبراهيم بن مسلم بن عبد الله بن مسلم بن عبد الله بن خالد بن يزيد بن عمار بن عبيد الغافقي .

كان أصله من عرب الشام ، ثم من جند فلسطين ، سكن ناحية الجزيرة ، وسكن ولده لإشبيلية .

وبنو موسى الوزير يقولون : عبيد الله هذا ، القاضي المنسوب ، ولاء الحكم - رضى الله عنه - قضاء الجماعة بقرطبة . ولم تحفظ الرواة له خبراً يوضع بهذا الكتاب عنه . ثم تلاه محمد بن تليد بن حامد بن محمد الرعيني .

ذکر القاضی حامد بن محمد الرعینی

قال محمد :

هو حامد بن عبد اللطیف الرعینی ، كان من أهل شنونة ، ولاء
الأمیر - الحکم رضی الله عنه - قضاء الجماعة بقرطبة .
ولم یحفظ أهل العلم له شیئاً یحکونه عنه .

ذكر القاضي مسرور بن محمد بن بشير المعافري

قال محمد :

هو : مسرور بن محمد بن سعيد بن بشير بن شراحيل المعافري .
وقد تقدم في صدر هذا الكتاب ذكر أبيه : محمد بن بشير .

قال محمد :

ولاه الأمير عبد الرحمن بن الحكم - رحهما الله - قضاء الجماعة
بقرطبة ، وكان من الصالحين الفاضلين .

حدثني من وثقت به من أهل العلم ، قال : حدثني محمد بن أحمد بن
عبد الملك ، المعروف بابن الزرّاد ، قال :

كان عندنا بقرطبة قاض يعرف بمسرور ، وكان من الزهاد ،
استأذن من حضره من الخصوم يوماً في أن يقوم لحاجة يقضيها من
حوائج نفسه ، فأذّنوا له ، فقام عنهم ثم خرج عليهم وفي يده خبزة
عجين ، وهو يسير بها إلى الفرن ، فقال له بعض من حضر : أنا أكفيك
أيها القاضي حملها ، فقال له : وإذا عزلت عن القضاء أين أجلك كل
يوم تكنيني حملها ، بل الذي حملها قبل القضاء هو يحملها اليوم .
ثم تلاه في القضاء سعيد بن محمد بن بشير ، مرة ثانية .

ذكر القاضى يحيى بن معمر الألهانى

قال محمد :

هو يحيى بن معمر بن عمران بن منير بن عبيد بن أنيف الأطلومى^(١)
الألهانى^(٢) ، من العرب الشاميين ، وكان من أهل إشبيلية ، ومنزله بها
فى حارة^(٣) تسمى : مغرانة ، حارة من طرف الحاضرة ، عليها عمر
السابلة ، وكان فى وقته فقيه إشبيلية وفرضيا^(٤) .

وكانت له رحلة لقي فيها أشهب بن عبد العزيز ، وسمع منه ، ومن
غيره من أهل العلم .

وكان فى مذهبه ورعا زاهداً فاضلاً ، مقبلاً على إقامة ضيعته وإصلاح
شأنه .

قال لى محمد بن عمر بن عبد العزيز :

(١) كذا ، ولم يذكرها المغرب (١ : ١٤٧ - ١٤٨) ولا بغية
الملتصم (ت : ١٤٩٢) ولا تاريخ قضاء الأندلس للنبهاى (ص : ٤٤)
وهى المراجع التى ترجمت له .

(٢) الألهانى ، بفتح الألف وسكون اللام : نسبة الى الهان بن مالك ،
أخى همدان بن مالك بن زيد (الأنسب للسمعانى : ٤٨ ، والجمهرة
لابن حزم : ٢٩٩) .

(٣) تكملة يستقيم بها الكلام .

(٤) الفرضى ، بفتحيتين : نسبة الى الفريضة ، وهو العالم
بتقسيم الموارث .

لهج الناس بإشيلية أن يحيى بن معمر يُستقضى بقرطبة .

قال لى : فحكى رجل من أهل لإشيلية ، يعرف بمرة بن ديسم ، قال : كنت مع يحيى جالساً فى قريته فى بعض الأبنية ، حتى نظرت لى فارس يركض ، وهو مغذ فى السير ، مستقيم على المحجة العظمى .

قال : فأتبعته بصرى ، فلما بلغ لى الطريق الذى يعطف فيه لى منزل يحيى بن معمر ، وقف وقوف الجاهل بالمسكان ، المستدل .

قال : وظننت أنه رسول الخليفة من قرطبة فى يحيى بن معمر ليؤليه القضاء .

قال : فعطفت على يحيى ، فقلت : أبازكريا ، لهج الناس من أمرك بشيء ، وأحب أن أعرف الحقيقة مما تعتقده ، فقد أزعج الأمر ، تقبل القضاء أو لا تقبل ؟ قال : أقبل : قال : فقلت له : إذا كنت قاضى الجماعة بقرطبة ما يكون حظ صديقك ومحبك من ذلك ؟ قال : حظ وافر ، إن شاء الله ، قال : فقلت له : هذا رسول مقبل فىك من قرطبة .

قال : فإنا نقضى الكلام حتى وقف بنا الركاؤض^(١) المرسل فى يحيى ابن معمر .

قال : فلما صار يحيى لى قضاء الجماعة بقرطبة ، قصدت لى من لإشيلية ، فنزلت عليه ، فحيا وأكرم وأنزل ، فلما صرنا لى العشاء قدم من الإدام شيئاً مختصراً ، فقلت له : وما هذا ؟ وأين نعيم قرطبة وما فيها من ضروب الخيرات ، وأنت قاضى الجماعة ؟ ثم قلت : أخشى والله أن أئدم على رحلتى إليك ، قال : لا ، إن شاء الله .

(١) الركاؤض ، الراكض ، وهو العادى المسرع .

قال : فلما أصبح يحيى بن معمر وضع يده ، وأنا لا أشعر ، فكتب
إلى الأمير^(١) عبد الرحمن بن الحكم - رضى الله عنهما - يحكى له
القصة على وجهها ، وكيف كانت السعدة من يحيى ، وأن مرة بن ديسم
قدم عليه مستنجزاً ، ثم سأله أن يعقد له على قومه سنة كاملة ، وأن
يحملة^(٢) ويكسوه .

قال مرة بن ديسم : فما شعرت - وأنا قد استشعرت اليأس من خير
القاضى ، لما رأيت من زهده وما أخذه^(٣) فى نفسه - حتى أتت العقدة إلى
يحيى من عند الأمير ، مع صلة مائتى دينار ، وبغل حُمْلان^(٤) ، وثياب
كسوة ، وكتاب معها من الأمير ، يقول فيه : قد أنجزنا عنك عدتك
لمرة بن ديسم .

قال خالد بن سعد : أخبرنى أحمد بن خالد ، وعثمان بن عبد الرحمن
ابن عبد الحميد بن أبى زيد ، قال : أخبرنا محمد بن وضاح ، وأحدهما
يزيد على صاحبه ، قال :

صليت صلاة الكسوف مع ابن معمر فى الجامع بقرطبة سنة ثمان
عشرة ومائتين ، فصلى وأحسن الصلاة ، ولم يقم للصلاة^(٥) ، وطول
فى صلاته ، بدأ بالصلاة ضحى ، وقوم^(٦) فى القائلة^(٧) ، وقد تجملت
الشمس ، وكنا فى زمن الصيف .

-
- (١) الأصول : « أمير » .
(٢) يدمله : يعطيه ظهرا يركبه .
(٣) المأخذ : المنهج .
(٤) الحملان ، بالضم : ما تحمل عليه الهدايا من الدواب .
(٥) أقام للصلاة : نادى لها . وفى الأصول : « ولم يقم الصلاة » .
(٦) قوم وأقام ، بمعنى . وانظر الحاشية السابقة .
(٧) الأصول : « فى القابلة » . وظاهر أنها محرفة عما أثبتنا :
والقائلة : الظهيرة .

قال أحمد بن خالد ، وعثمان بن عبد الرحمن : أخبرنا محمد بن وضاح ، قال :

صليت الجمعة في ولاية ابن معمر أربع ركعات ، وابن أبي عيسى حاضر ، وسعيد بن حسان ، وعبد الملك بن زونان ، وحاتم بن أبي سعد ، وعبد الملك بن حبيب ، وصلّاها أكثر الناس في صحن المسجد ركعتين .
قال محمد :

وكان يحيى بن معمر إذا أشكل عليه الأمر ، واختلف عليه الفقهاء ، كتب إلى أصبغ بن الفرّج وغيره ، وكشفهم^(١) عن وجه ما يريد علمه .

وقد قرأت رسائل حسناً مما كتب بها أصبغ بن الفرّج إلى يحيى بن معمر ، قاضى الجماعة بقرطبة ، أجوبة في مسائل سأله عنها من أخبار القضاء طويلة مديدة ، هممت (بذكرها)^(٢) واجتلابها ، ثم رأيت ألا أخرج الكتاب عن حده ، ولا أصرفه عن وجهه .

قال محمد : ذكر خالد بن سعد ، قال : سمعت غير واحد من مشايخ أهل العلم يقول :

كان بين يحيى بن معمر وبين يحيى بن يحيى حداوة ، فسعى يحيى بن يحيى في عزل يحيى بن معمر القاضى عند الأمير عبد الرحمن — رحمه الله — وأقام عليه البيّنات من أهل العلم والعدل ، فشهدوا على يحيى بن معمر عند الوزراء بأحوال قبيحة نسبت إليه ، فرفع يحيى بن معمر إلى الأمير

(١) الأصول : « وكشفهم » .

(٢) مكان هذه الكلمة كلمة أخرى استعصت على القارىء فوضع

مكانها نقطا ، ولعلها هي ما اثبتنا .

عداوة يحيى ، وأنه هو ضم الفقهاء والعدول إلى الشهادة ، فطاعوا له بها .
فأخرج الأمير عبد الرحمن عهداً إلى الوزراء يأمرهم بأن يرسلوا
في وجوه التجار فيسألوهم عن يحيى بن معمر ، فأرسل الوزراء في غير
واحد ، فكان قول التجار من شاكلة الشهادات المتقدمة ، وذلك
لمطالبة من كان يطالبه من الفقهاء حينئذ ، فعزله الأمير عبد الرحمن
عند ذلك .

قال محمد :

كان يحيى بن معمر - فيما شهدت به أخباره وحكمه - آثار فعله .. قليل
المداراة لفقهاء قرطبة ، لا يلين لهم فيما يريدون ، ولا يصغى إليهم فيما
يجبون ، فنفروا بأجمعهم عنه ، وصاروا كلهم إلماً عليه ، وبلغ من تحامل
يحيى بن معمر عليهم أن سجل بالشحطة ^(١) على سبعة عشر رجلاً منهم ،
فرواه كلهم عن قوس واحدة ، وقالوا فيه بأجمعهم قول سوء .

حدثني عثمان بن محمد ، قال : حدثني أبو مروان عبيد الله بن يحيى ،
قال : قال يحيى بن يحيى :

لما قام الناس على يحيى بن معمر ، قاضى الجماعة بقرطبة ، أتانى
سعيد بن حسان ، فقال لى : ما ترى فى الشهادة عليه ؟ قال يحيى : فقلت
له : لا تقل ، وانظر أن تكون مشاوراً فيه ، فيكون رأيك فيه أنفذ
حينئذ من شهادتك .

(١) مقروء ريبيرا : « بالسخطة » وعليه المطبوعتان المصريتان .
تصديف ، صوابه ما أثبتنا : يقال : شحط فلان فى السوم ، اذا استقام
بسبعته متباعداً عن الحق مجاوزاً القدر ، والمصدر : شحوط ، وقد يكون
هنا على غير بابه ، أو هو للمرة .

قال : فغلبته شهوته فيه إلى أن ذهب فشهد عليه ، ثم أتاني فقال :
قد شهدت عليه .

قال يحيى : فلم ألبث أن أتاني كتاب الأمير عبد الرحمن بن الحكم -
رحمه الله - يقول فيه : قد تصفحت الشهادات على القاضي يحيى
ابن معمر ، فلم أرك فيها شهادة ، وقد وجهت إليك الشهادات عليه
فتصفحها واكتب برأيك فيها .

قال يحيى : فكتبت إلى الأمير : ما عندي من أخبار القاضي
علم ، لأنه لم يكن يحضرنى مجلسه ، ولا يشاورنى فى أحكامه ، وأما
الشهادات الواقعة عليه ، فقد تصفحتها ، ولو وقع مثلها على مالك
والليث مارفعا بعدها رأسا .

قال يحيى : فأسى ابن معمر معزولا عن القضاء .

قال محمد : قال خالد بن سعد : أخبرنى أحمد بن عبد الملك ، قال :
أخبرنى عثمان بن سعيد ، الرجل الصالح الفاضل ، قال :

لما عزل يحيى بن معمر عن القضاء بقرطبة بعث إليه أحد الوزراء ،
وكان من أخص إخوانه ، ابناً له بزوامل^(١) وأعوان ، وقال لابنه :
تذهب إلى القاضي^(٢) وتسأله أن يحمل على هذه الزوامل ثقلاته^(٣) وما
احتاج إليه ، فاما أتاه ابن الوزير برسالة أبيه ، وأحضره الزوامل ،

(١) الزوامل : جمع زاملة ، وهى ما يحمل عليه من الأبل وغيرها .
(٢) بعد هذه الكلمة فى الأصول : « رحمه الله » ولا مكان لهذه
الزيادة هنا .
(٣) الثقلة ، بالفتح : الثقل ، محركة ، وهو المتاع ، والشىء
النفيس الخطير .

قال له القاضى : ادخل حتى ترى ما عندنا من الثقلة . فدخل ، فإذا بببيت
القاضى ليس فيه إلا حصير وخاوية بدقيق ، وصحفة ، وقلة للماء ،
وقدح ، وسرير كان يرقد عليه ، فقال له ابن الوزير : وأين الثقلة ؟ فقال :
هذه ثقلتي أجمع ، ثم قال للغلام : فرق الدقيق على من بالبواب من
الضعفاء ، وامض فى بعض القومة (١) يقبضوا (٢) هذا الحصير
والأوانى ، ثم خرج وقال : جزى الله الوزير أباك خيراً ، تقرئه
سلامى . ثم توجه إلى إشبيلية .

قال محمد : ذكر بعض أهل العلم ، قال :

فوجىء ابن معمر بالصلاة فى بعض الأعياد ، فأتى المصلى ، وقد أخذ
أشراف الناس وخدم (٣) السلطان مواضعهم بقرب سترة الإمام ،
فلما نظر يحيى إلى ذلك أمر الخدم (٤) بتقديم السترة ، فبادر سواد الناس
حتى قربوا من الإمام ، وصار من كان متقدماً خلفهم متأخراً ، ثم قام
بخطبهم .

(١) القومة : من يقومون عن الوالى فى تنفيذ أوامره .

(٢) مقروء ريبيرا : « يفضوا » ، وعليه المطبوعتان المصريتان ،

وظاهر أنها محرفة عما أثبتنا .

(٣) الأصول : « خدمة » والمسموع ما أثبتنا .

(٤) الأصول : « الخدمة » والمسموع ما أثبتنا .

ذكر القاضي الأسوار بن عقبة النصرى

قال محمد :

هو أبو عقبة الأسوار بن عقبة بن حسان بن عبد الله النصرى ، كان من أهل جيتان ، ولاة الأمير عبد الرحمن - رضى الله عنه - قضاء الجماعة بقرطبة ، فكان من أهل التحرى والخير والتواضع وحسن السيرة ، كان يحمل خبزه إلى الفرن بنفسه ، ويتصرف فى مهنة أهله^(١) ، ولما عزله الأمير - رحمه الله - رأى بعد ذلك صرفه إلى القضاء ، فأبى ، فكلّم فى ذلك ، فقال : لى عيوب كثيرة : كبر ولى ، وضعف بدنى .

وكان له ولد يسمى : حسيناً ، فقليل له : أو تجعل كبر ولدك عيباً من عيوبك ؟ قال : من أشد العيوب .

قال أحمد بن محمد بن أيمن :

رأيت للأسوار بن عقبة حكماً فى حدود مقبرة الربض ، ومنتهى أقطارها ، وشهدت أحمد بن يقيّ ، وهو على القضاء يومئذ ، قد ركب إلى الموضع مع الفقهاء ، وذلك الحكم معه ، حتى امتحن الحدود ، واحتمل على^(٢) ما وجد فى الحكم .

(١) مهنة أهلة : خدمتهم .

(٢) احتمل على ، يريد : حمل على ، يعنى : عاب ولز .

قال محمد: أخبرني أصفغ بن عيسى الشقاق، قال: سميت أحمد
ابن بقي، يقول:

دخل محمد بن عيسى الأعشى يوماً على الأسوار بن عقبة، فقال له:
كيف أصبحت أبا عقبة؟ فأطرق أبو عقبة القاضي عن إجابته. ثم شهد
عنده الأعشى في ذلك المقام بشهادة، فقال له القاضي: أنت رجل يكثر
الهزل، ولست أدري إن كانت شهادتك هذه من جدك أو هزلك؟
فوقده^(١) بهذا الكلام.

(١) يقال: وقذ فلان فلانا، إذا ضربه حتى استرخى واشرف
على الموت.

ذكر القاضى يحيى بن معمر ثانية

قال محمد : قال لى محمد بن عمر بن عبد العزيز :

كان السبب الذى من أجله صرف يحيى بن معمر إلى القضاء ثانية أن الأمير عبد الرحمن بن الحسكـم - رضى الله عنهما - خرج فى زمان الخريف ، على ما كانت الخلفاء تلتزمه من التروح إلى إشبيلية وساحل البحر ، فنظر بعض خواص الأمير إلى ابن معمر وهو فى جنان له ويستقى الماء بخطارة^(١) ، ويستقى بقل الجنان ، فلما رأى ذلك دخل ذلك الرجل الناظر إلى يحيى بن معمر ، فى تلك الحال ، على الأمير وأعلمه بما رأى من يحيى بن معمر ، فقال الأمير ، عند ذلك : والله ما أشك فى فضل الرجل وورعه ، وإنى لأظن الرافعين عليه متبائنين بالباطل ، وأمر من ساعته تلك بتوجيهه إلى قرطبة قاضياً .

فلما قدم يحيى بن معمر إلى قرطبة قاضياً أقسم ألا يستفتى يحيى ابن يحيى ، ولا سعيد بن حسان ، ولا زونان ، فبقيت الأحكام معلقة إلى مقدم الأمير عبد الرحمن - رحمه الله - من وجهته ، وبلغ الخبر

(١) كذا . يريد رافعة ترفع الماء من النهر ثم تصبه على الأرض ، أشبه شىء بما يسمى فى مصر الشنادوف ، ويبدو أنها كانت من مستعمل أهل الاندلس لخطراتها ، أى اهتزازها .

إليه^(١) ، فأوصى إليه بإنكار ذلك ، فقال يحيى : قد أقسمت على ذلك ،
ويالبيرة^(٢) رجل من أهل العلم والتقدم يستغنى به عنهم ، يعنى عبد الملك
ابن حبيب ، فأمر باستقدامه ، فكان المنفرد بفتياه .

وحكى محمد بن عبد الملك بن أيمن ، عن عمه ، وكان خاصا بابن
معمر ، قال :

كنت عند ابن معمر القاضى يوماً فى بيته فى دولته الثانية ، فاستأذن
عليه عبد الملك ، فأذن له ، فلما أخذ مجلسه ، قال : قضية فلان أحب
إلى أن ينفذ الحكم فيها بما أشرت عليك ، فإنه الحق ، إن
شاء الله .

وكان ابن معمر يريد أن يحكم فى ذلك بقول ابن القاسم ، وكان
عبد الملك يريد أن يحكم فيها بقول أشهب . فقال له يحيى بن معمر : لا والله
لا أفعل ، ولا أفعل ، ولا أخالف ما وجدت عليه أهل البلد ، وإنما
وجدتهم يحتملون على^(٣) قول ابن القاسم ، وتريد أنت أن تصرفنى
إلى قول أشهب ؟ ثم ضرب له مثلاً بقوله العامة : سنة عكفص وسنة
بلوط^(٤) .

قال : فما زال التراجع بينهما بالكلام حتى قام ابن حبيب
عنه مغضباً .

(١) كذا : والصواب : وبلغه الخبر .

(٢) البيرة ، الألف فيها ألف قطع وليس بألف وصل ، بوزن :
أخرية (معجم البلدان : ١ : ٣٤٨) .

(٣) انظر الحاشية (رقم : ٢ ص : ١١٠) .

(٤) العفص ثمر البلوط . والبلوط من أهم شجر الأجر ، غليظ
الساق . يريد سنة ينتفع فيها بثمر البلوط وسنة ينتفع فيها بخشبه .

قال محمد بن أيمن : قال لي عمي :

فعدلته وقلت له : هذا الرجل أثبتته^(١) إلى^(٢) أعدائك ، كأنى أراه
قد صار في عددهم ، ثم يعزلونك ثانية ، فقال لي : بالعزل تخوفنى ؟
والله ليت بغلتي قد عجرت^(٣) بي في سهل^(٤) المدور^(٥) منصرفاً إلى
إشبيلية .

فكان يقول : فما أنسى قوله : قد عجرت بي .

قال خالد بن سعد : أخبرني أحمد بن عبد الملك ، قال : أخبرني عثمان
ابن سعيد الزاهد ، قال :

لما احتضر يحيى بن معمر ياشبيلية وأيقن بالموت ، قال لمولى له ،
كان قد صحبه ، من أهل الخير : خرجت عليك^(٦) بالله العظيم إلا إذا مت
فاذهب إلى قرطبة ثم قف بيحيى بن يحيى ، وقل له : يقول لك
يحيى بن معمر : (وسيعلم الذين ظلموا أى منقلب منقلبون)^(٧) .

قال : فلما مات يحيى بن معمر أتى مولاه إلى يحيى فبلغه ذلك .
قال : فبكى يحيى حتى أخضل لحيته ، ثم قال : (إن الله وإننا إليه
راجعون)^(٨) ، ما أظن الرجل إلا خلدنا فيه ، ووشى بيننا وبينه ، ثم
ترحم عليه واستغفر له .

-
- (١) أثابة : أرجعه وأعادته ، واللازم منه ، ثاب ، بمعنى : رجع وعاد .
 - (٢) الأصول : « على » . وهذا الفعل يتعدى بالحرف : إلى .
 - (٣) عجرت : قمصت .
 - (٤) الأصول : « سهلة » .
 - (٥) انظر الحاشية (رقم : ٢ ص : ٦٧) .
 - (٦) خرج على فلان : ضيق .
 - (٧) الشعراء : ٢٢٧ .
 - (٨) البقرة : ١٥٦ .

قال محمد :

وهذه الحكاية التي حكاها محمد بن سعيد ، تدل على أن يحيى بن
معمر عزل مرة ثانية ، ولم يمت قاضياً .

وله حكاية ثانية لم نسندها ، تدل على أن يحيى بن معمر مات قاضياً ،
سنذكرها في افتتاح أخبار القاضى : إبراهيم بن العباس .

ذكر القاضى ابراهيم بن العباس القرينى

قال محمد :

[هو]^(١) : إبراهيم بن العباس بن عيسى بن الوليد بن عبد الملك بن مروان ، رحمه الله .

قال محمد : قال خالد بن سعد :

لما توفي يحيى بن معمر القاضى بقى الناس بلا قاض نحو ستة أشهر ، فجعل الناس يتصدون للوزراء إذا ركبوا يسألونهم أن ينهوا إلى الأمير — رحمه الله — ذلك ، ففعلوا ، فعرض الأمير — رحمه الله — حينئذ القضاء على يحيى بن يحيى ، فأبى قبوله^(٢) .

وقد ذكرت الروايات فى ذلك ، وشرحت خبر يحيى شرحاً حسناً فى صدر الكتاب ، فى باب : من عرض عليه القضاء من علماء قرطبة فأبى قبوله^(٣) .

قال محمد :

كان إبراهيم بن العباس محموداً فى قضاءه ، عادلاً فى حكمه ، متواضعاً فى أموره ، غير متصنع ولا متهيب .

-
- (١) تكملة يستقيم بها الكلام .
 - (٢) الأصول : « من قبوله » .
 - (٣) الأصول : « من قبوله » .

أخبرني فرج بن سلمة بن زهير البلوي ، قال : قال محمد بن
عمر بن لبابه :

كان إبراهيم بن العباس ربما جلس يقضى في بيته بين الناس ،
وخادمه تنسج في ناحية البيت .

أخبرني من أثق به من أصحابنا ، عن أحمد بن زياد ، عن محمد بن
وضاح ، قال :

لما أبي يحيى بن يحيى قبول^(١) القضاء ، وأشار بإبراهيم بن العباس
أن يستقضى ، وأن يكون كاتبه زوزان ، فقبل منه الأمير رأيته في ذلك ،
وولى إبراهيم بن العباس القضاء ، فشهد عنده يوم يحيى بن يحيى في الماء
الذي كان بفرن بريل^(٢) ، الذي قام فيه بنو العباس ، وابن عيسى ،
فلما خرج تناوله بعض الخصوم ، فانصرف يحيى إلى القاضي ، فقال : إن
هذا تناولني فأدبه ، فقال : وما أدبه ؟ قال : أبعث به إلى السجن ،
فبعث به القاضي إلى السجن ، ثم خرج يحيى بن يحيى إلى باب الصومعة
فركب دابة ، ومضى نحو السويقة ، وانصرف ، فدخل على القاضي ،
فقال له : تأمر بإطلاق الذي حبست ، فني الذي كان منك أدبه .

وكانت ولايته هذه الأولى سنة أربع عشرة ، أو خمس عشرة ،
وما تين ، ثم عزل وولى غيره .

فلما كانت سنة ثلاث وعشرين ، على إثر سعيد بن سليمان ، ولى
القضاء أيضا .

قال محمد : قوله : على إثر سعيد بن سليمان ، يخيل إلى أنه غلط ،

(١) الأصول : « من قبول » .

(٢) بريل ، بالكسر ثم السكون وياء خفيفة ولام مشددة : مدينة

بالاندلس . (معجم البلدان : ١ : ٦٠١) .

لأن سعيد بن سليمان إنما ولى بعد محمد بن زياد ، وبعد موت يحيى بن يحيى ، وذلك كله بعد سنة أربع وثلاثين ومائتين ، ولم أر فى شيء من الروايات أن سعيد بن سليمان ولى ولايتين ، حاشى ما ذكر لى أحمد بن عبادة الرعيني ، فإنه قال لى : عزل سعيد بن سليمان ساعة من نهار ، ثم استدرك الأمير عبد الرحمن — رحمه الله — رأيه وأمره بإثباته ، فلما طلب ليعلم عن الأمير بالتمادى على القضاء ألنى قد ارتحل إلى بلده ، فأعلم بذلك الأمير ، فقال : إن هذا رجل صالح ، وازداد به غبطة ، وأمر أن يدرك ويصرف إلى قضائه ، فأدرك ورد كما كان قاضياً .

قال محمد :

فإن كان إبراهيم بن العباس ولى القضاء سنة ثلاث وعشرين ومائتين أمكن أن يكون بعد بعض القضاة ، غير سعيد بن سليمان .

قال محمد بن وضاح :

وفى ولاية إبراهيم بن العباس الثانية رفع إلى الأمير — رحمه الله — أن القاضى ليس يقبل من أهل قرطبة إلا من أشار يحيى بقبوله ، وإنما يعملون هذا الأمر لهذا القريشى ، فبعث الأمير عبد الرحمن فى عبد الملك بن حبيب ، فقال له : قد تعلم يدى عندك ، وإنى أريد أن أسألك عن شيء فاصدقنى فيه ، فقال : نعم ، لا تسألنى عن شيء إلا صدقتك ، فقال : إنه رفع إلينا عن يحيى بن يحيى ، وعن القاضى : أنهم يعملون علينا فى هذا الأمر ، فقال عبد الملك : قد علم الأمير ما بينى وبين يحيى بن يحيى ، ولمكنى لا أقول إلا الحق ، ليس يحيى من (٢) يحيى بن

(١) الأصول : « من عند يحيى » .

يجي إلا ما يجيء مني ، وكل مارفع عليه إليك فباطل ، وأما القاضي ،
فلا ينبغي للأمير أن يشركه في عدله من يشركه في نسبه .
فعله الأمير حينئذ عن القضاء .

قال محمد : وأخبرني بعض العلماء ، قال :

قدم موسى بن حدير من الحج فعرض عليه الأمير عبد الرحمن -
رحمه الله - ولاية الخزاعة ، فأبى قبولها (٢) ، وذهب إلى الانقباض عن
الخدمة ، فعافاه الأمير ، فلم يلبث موسى بن حدير إلا يسيراً حتى
استعدت عليه امرأة من جيرانه عند القاضي إبراهيم بن العباس ،
وذكرت أنه طلبها في دار لها تلاصقه ، فأرسل فيه إبراهيم بن العباس
فأحضره ، فقال له : إن هذه المرأة تقول كذا وكذا ، وتدعى عليك
بكذا وكذا ، فما تقول ؟ فقال له موسى : أؤكل من يخاصمها ، فقال له :
تقر أو تنسك ، ثم توكلّ بعد ذلك من شئت على الخصومة ، فقال له :
أؤكل من يقر عني أو ينسك ، فأبى إبراهيم أن يقبل ذلك منه ، واضطره
إلى أن يجيب المرأة في دعواها مقرأً أو منكرًا ، فلما لم يجد من ذلك
بدأ قال له : جميع ماتلعيه حق ، وهي المصدقة ، ثم انصرف عنه ، وقد
اعتقد له ضغناً عظيماً ، وأضمر له حقدًا شديدًا ، ثم وضع يده فكتب
إلى الأمير يسأله ولاية الخزاعة ، ويذكر أنه تعقب أمرها فاستسلمه من
أجل أنها أمانة ، يعطى الأموال كما يأخذها ، فأسغفه الأمير عبد الرحمن
- رحمه الله - بذلك ، وولاه الخزاعة ، فكان خازناً نحو الشهر ، ثم
كتب إلى الأمير يستأذنه للدخول عليه ، فأدخله على نفسه ، ثم قال

(١) الأصول : « من قبولها » .

له : أمر لا قرار عليه ، صح عندي أن القاضي إبراهيم بن العباس في مجلس قضائه يخاطب بأن يقال له : يا بن الخلائف ، فعزله عبد الرحمن بذلك .
قال محمد : وسمعت الأمير ولي عهد المسلمين ، الحكم ، أبقاه الله ، يقول : سمعت الحاجب موسى بن محمد بن حدير يقول : إن موسى بن حدير دستس امرأة من مواليه ، فوقفت للقاضي على طريقه ، ثم قالت له : يا بن الخلائف .

فكان ذلك سبباً لعزل إبراهيم .

قال أحمد بن أيمن ، أخبرني أبي :

أن عباساً القرشي ، جد بن العباس ، شكاه إلى الأمير ، في قصة دارت ، فقال : اذهب إليه ، فإن أذن لك مخلياً^(١) فقد عزلته .

فلما توجه عباس استأذن عليه ، فلم يأذن له ، وأوصل^(٢) إليه : إن كانت لك حاجة فاقعد في المسجد حتى أخرج إلى العامة ، فيسمعك ما يسعهم .

فاتصل ذلك بالأمير ، فازداد بذلك عنده رفعة ودرجة .

(١) مخلياً : خاليا بك .

(٢) الأصول : « وأوصى » .

ذكر القاضى يخامر بن عثمان الشعبانى

قال محمد :

هو : يخامر بن عثمان بن حسان بن يخامر بن عبيد بن أقنان بن وداعة بن عمرو .

ولى القضاء سنة عشرين ومائتين .

وهو أخو معاذ بن عثمان ، ومعاذ هذا ، والد سعد بن معاذ الفقيه ، وكانا من أهل جيان من قلعة الأشعث ، وكان اتسأبهما فى العرب إلى جذام ، فيما أحسب ، وكانا^(١) ، فيما قيل لى : من جند قنسرين .

ولى يخامر القضاء فعامل الناس بخلق صعب ، ومذهب وعر ، وصلابة جاوزت المقدار ، فلم تحتمل العامة له ذلك ، فتسلط عليه الألسن ، وكثرت فيه المقالة ، وانبرى له رجل من شعراء قرطبة ، فى ذلك الزمان ، وهو المعروف بالغزال^(٢) ، فكان يهجوّه ويصفه بالبله والجبل ، ومن بعض ما ذكره فيه قوله فى شعر له :

فسبحان من أعطاك بطشاً وقوة وسبحان من ولى القضاء يخامرا

(١) الأصول : « وكانوا » .

(٢) الغزال : بالتخفيف ، هو يحيى بن الحكم ، وكان مولده سنة ست وخمسين ومائة ، وكانت وفاته سنة خمسين ومائتين . (جذوة المقتبس : ت : ٨٨٨) .

قال محمد :

قال لى ولى العهد - أبقاه الله - يوماً ، وقد ذكر القضاة وأخبارهم : حدثنى محمد بن أبى عيسى ، قال : طرح ابن الشمر بين سحاء^(١) يخامر بن عثمان الشجبانى سحاة فيها مكتوب : يونس بن متى ، والمسيح بن مريم ، فخرجت السحاة إلى يخامر ، فأمر أن يدعى بهما ، فهتف الهاتف : يونس بن متى ، والمسيح بن مريم ، فصاح ابن الشمر : نزولهما من أشراط الساعة ، ثم أخذ سحاة فكتب فيها :

يخامر ماتنك تاتى بفضحة دعوت ابن متى والمسيح بن مريما بما قلت حيناً ثم ناداك صامح بأنهما^(٢) ليسا^(٣) على الأرض فاعلما قفك قفا حربا^(٤) ووجهه مظلم^(٥) وعقلك مايسوى من البعردرهما^(٦) فلاعشت مودوداً ولاعشت سالماً ولامت مفقودا ولامت مسلما

قال محمد :

وتألب الناس ، ورفعوا إلى الأمير - رحمه الله - يشكون يخامر القاضى ، فلما كثر ذلك على الأمير عبد الرحمن - رحمه الله - أمر الوزراء بسماع الشهادة والنظر فى أمر يخامر ، فذكرت عنه أشياء مدارها على قلة المدارة ، وترك حسن المعاملة .

(١) الأصول : « سديات » . والمسموع فى جمع « سحاة » : سحاء . والسحاة : القشرة من كل شىء ، يريد بها هنا : الورقة المنزوعة .

(٢) مقروء ريبيرا : « فانهما » وعليه المطبوعتان المصريتان .

(٣) الأصول : « بقى » .

(٤) مقروء ريبيرا : « حربا » بالخاء المعجمة ، وعليه المطبوعتان المصريتان ، تصحيف . وحربا ، مقصور : حرباء ، وهى دويبة على شكل سام أبرص مخططة الظهر تتلون ألوانا .

(٥) أسوى يسوى : عادل .

(٦) الأصول : « مظلما » .

وكان حينئذ بالمدينة شيخ أعجمي اللسان ، يسمى : ينير ، وكان مقدما
عند القضاة ، مقبول الشهادة ، مشهوراً في العامة بالخير وحسن المذهب ،
فأرسل فيه الوزراء ، وسألوه عن القاضي ، فقال بالعجمية : ما أعرفه ،
إلا أني سمعت الناس يقولون : إنه إنسان سوء ، وصغره باللفظ
العجمي .

فلما رفع قوله إلى الأمير — رحمه الله — عجب من لفظه ، وقال :
ما أخرج مثل هذه الكلمة من هذا الرجل الصالح إلا الصدق ، فعزله
عن القضاء حينئذ .

قال محمد : قال لي محمد بن عبد الملك بن أيمن :

فلما أتى الفتى إلى يخامر بعزلته ، من عند الأمير — رحمه الله —
قال له يخامر ، على رؤوس الناس : قل للأمير — أصلحه الله — إذ
وليتني أمرتني أن أتخفظ من السلسلة السوء ، واليوم تعزلي ببغايا علي .
فلما بلغ الفتى قوله إلى الأمير ، قال : قبحه الله ، ذكر أسرارنا
على رؤوس الناس .

ذكر القاضى على بن أبى بكر الكلابى

قال محمد :

ولما عزل الأمير عبد الرحمن بن الحكم - رضى الله عنهما - يخامر
عن القضاء ، ولى بعده رجلا من أهل قبرة^(١) ، يسمى : على بن أبى بكر
ابن عبيد بن على الكلابى ، وكان لقبه : يوانش ، ولا أحفظ له خيرا
أكثر من ذكره .

(١) قبرة ، بلفظ تأنيث : القبر ، أظنها أعجمية . (معجم البلدان :

٤ : ٢٩) .

ذكر القاضى معاذ بن عثمان الشعبانى

قال محمد :

ثم ولى الأمير عبد الرحمن بن الحكم - رضى الله عنهما - قضاء الجماعة معاذ بن عثمان الشعبانى ، وكان من أهل جيان ، قاضياً سبعة عشر شهراً ، ثم عزله من بعد .

ورأيت فى بعض الحكايات : أنه إنما عزله لأنه حفظت عليه فى تلك المدة سبعون قضية قضى بها ، فاستكثرت منه .
قال محمد :

وهى ، فيما أرى ، حكاية مدخولة ، لأنه لا يذكر تنفيذ الأفضية وكثرتها مع حضور الحق ، وانكشف الصدق .
قال محمد :

فكرت فى مخرج هذه الحكاية فاستربتها ، وذلك أن صاحبها الذى حكاها وكتب بها إلى ولى العهد - أبقاه الله - هو فلان بن فلان ، حكاها عن أبيه ، وأراه صادقاً على أبيه ، ولا تخلو هذه الحكاية من أن تكون صحيحة على أهل هذا الزمان الذى كان فيه معاذ قاضياً ، أو تكون غير صحيحة .

فإن كانت صحيحة فإنما طمس نور هذه الفضيلة ، وحجدها

أهل التفقه من أهل ذلك الزمان ، ولاسيما الذين كانوا يتساورون^(١) من تعجيل الأحكام وسرعة التنفيذ ، مما يضرهم من أهل الخصومات ، وينيلهم ما يحبون ، وكلما طالت الخصومات كان أنفع لهم ، وأهل العلم بهم يعلمون ما أقول .

وإن كانت غير صحيحة ، فهي من تشنيع فلان لثني^(٢) القضاة عن سرعة التنفيذ للذي أراغه^(٣) وكناه ، من المعنى الذي ذكرناه آنفاً ، فاعتبروا يا أولى الأبصار .

وكان معاذ ، فيما سمعت ، حسن السيرة ، لين العريكة ، خالق الناس بغير خلق أبيه ، وأحسن التخلص منهم .
وسمعت من يحيى أنه كانت معه صحة ، وسلامة قلب ، فكان لا يظن بأحد شراً .

وكان قد ولي أحباسه^(٤) بقرطبة رجلاً ظن به خيراً ، خالف ظنه فيه ، فقال في ذلك الغزّال :

يقول لى القاضى معاذ^٥ مشاوراً
وولىّ امرأً فيما يرى من ذوى الفضلِ
فديتك ماذا تحسب المرءَ صانعاً
فقلت وماذا يصنع الدُّبُّ بالنَّحلِ

(١) مقروء ريبيرا : « يشاورون » وعليه المطبوعتان المصريتان .
ويبدو أنها محرفة عما أثبتنا . والتساور : التواشب .
(٢) مقروء ريبيرا : « لتثبت » وعليه المطبوعتان المصريتان . ويبدو أنها محرفة عما أثبتنا . وتناه عن الأمر : صرفه عنه .
(٣) أراغه : أرادته وطلبه .
(٤) الأحباس : ما يقفه الحابس فلا يباع ولا يورث ، وإنما تملك غلته ومنفعته .

يدقق خلاياها ويأكل شهدها
ويترك للذباب ما كان من فضل

قال محمد :

كان معاذ قاضياً بقرطبة سنة اثنتين وثلاثين ومائتين ، وفي هذا التاريخ كان على سوق قرطبة إبراهيم بن حسين بن خالد ، وفيه فسح معاذ بن عثمان حكم إبراهيم عن بني قتيبة في الحوانيت التي هدمها عليهم إبراهيم ، وكان إبراهيم بن حسين بن خالد صاحب نظر ، خالف فقهاء زمانه : يحيى ، وعبد الملك ، وزونان ، فتظاهروا عليه وأبانوا خطاه ، وجاز قولهم عليه .

ذكر القاضى محمد بن زياد اللخمي

قال محمد :

ثم ولى الأمير عبد الرحمن بن الحكم - رحمه الله - قضاء الجماعة
محمد بن زياد بن عبد الرحمن بن زهير بن ناضرة بن لوذان بن حبس بن
حاطب بن حارثة بن راشد بن زيد حارثة بن جزيلة^(١) بن لحم
ابن عدى .

قال محمد :

ومحمد بن زياد هو والد القاضى الحبيب بن زياد .
فكان حسن السيرة ، محمود الولاية ، وكان من أهل الفضل والخير ،
وكان قد سمع من معاوية بن صالح الحضرمي سماعاً كثيراً .
قال محمد : وقال لى محمد بن عبد الله بن أبى عيسى :
لما احتضر يحيى بن يحيى أسند وصيته فى أداء دين ، وبيع مال ،
إلى محمد بن زياد ، وكان القاضى يومئذ ، فكان وصيه فى ذلك الوقت .

قال محمد : أخبرنى بعض رواة الأخبار ، قال .
لما وضعت جنازة يحيى بن يحيى ، قال عبيد الله بن يحيى ، وهو

(١) مقروء ريبيرا : « جديلة » وعليه المطبوعتان المصريتان . صوابه
ما أثبتنا . (انظر جمهرة أنساب العرب : ٤٢٢) .

يومئذ ابن سبع عشرة سنة ، للقاضي محمد بن زياد ، وتقدم إسحاق بن يحيى للصلاة على أبيه ، فكبر محمد بن زياد وكبر إسحاق ، حتى بلغوا إلى السلام ، فسلم محمد بن زياد ، وسلم إسحاق بن يحيى . هكذا كانت الصلاة على يحيى بن يحيى ، فلما انقضت الصلاة نظر محمد بن زياد إلى إسحاق بن يحيى ، ثم قال له : ومن أقدمك على هذا ؟ فقال له إسحاق : ومن قدمك أنت على أبي ؟ فقال له حكمم الصلاة عليه إلى دونك ، ومع هذا فإن أخاك قدمني ، وهو أرشد منك ، أما والله لو لاحظت هذا الميت لفعلت بك وفعلت .

قيل : فكان ثناء محمد بن زياد على عميد الله بن يحيى ذلك اليوم أول سرود عميد الله ، ثم كان له على إكرام ومبرة .
قال محمد :

حكيت هذه القصة لمحمد بن عبد الله بن أبي عيسى ، فلم يعرفها ، وقال : كان عميد الله من أشد الناس إعظاماً لأخيه إسحاق ، وكان يأخذ بركابه إذا أراد أن يركب ، فما أدري إن كان فعل مثل هذا في أبيه .

قال محمد : ذكر أحمد بن زياد ، عن ابن وضاح ، قال :

شهد شاهد عند محمد بن زياد بشهادة ، فقال غراب لمحمد بن زياد : ومن شهد علي ؟ لو كان الشاهد مثل الليث بن سعد ، فقال له محمد بن زياد : وما ذكر الليث بن سعد هاهنا ؟ فأمر به ، وذلك في المسجد وهو والى الشرطة ، فقمع^(١) أسواطاً

قال : فكان ذلك من فعله صواباً .

قال ابن وضاح :

(١) قمع : ضرب .

وابن القاسم يرى أن يعزر^(١) السلطان الرجل في المسجد بالسوط ،
وسخنون يأبى ذلك .

قال :

ولما ولي سخنون بن سعيد القضاء ، حمل الضرب على الذي
لا يريد غرم ماعليه ، وهو مليء ، بعد أن حبسه ، فقبل له : من أين
أخذت الضرب ؟ وإنما كنا نحبس حتى يغرم . قال : من حديث
النبي ، صلى الله عليه وسلم ، في قوله : مطل الغنى ظلم ، فإذا كان ظالماً ،
كما سماه رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، أدبته على ظلمه .

قال محمد بن وضاح : وقعت شهادات على بعض آل السلطان
عند القاضي محمد بن زياد ، فأرسل القاضي إلى المشهود عليه رجلين ،
يقولان له : إن فلانا وفلاننا شهدا عليك بكذا وكذا ، فإن كان عندك
مدفع فهاته ، ولم يمكنه من نسخة الكتاب ، فكتب بذلك المشهود عليه
إلى الأمير — رحمه الله — فأوصى الأمير إلى القاضي في ذلك ، فقال :
محمد بن زياد : إنى خفت أن يفرضها على الزبيغ والفجور فيعمل له
الحجج حتى تعطل الشهادات ، وقد عرفته بهذا ظاهراً .

قال محمد : ذكر لي بعض أهل العلم ، قال :

كان محمد بن زياد يوماً يمشى مع محمد بن عيسى الأعشى ، حتى
لقيا رجلاً يتهايد سكرأ ، فأمر القاضي محمد بن زياد بأخذه ليقيم عليه
الحد ، فأخذه أعوازه ، ثم مشوا^(٢) قليلاً ، فأتوا^(٣) إلى موضع ضيق ،

(١) يعزر : يعاقب بما هو دون الحد الشرعى .

(٢) الاصول : « مشى » .

(٣) الاصول : « فأتى » .

فتقدم القاضى وتأخر الأعشى ، ففي تأخره عن القاضى التفت إلى الذى كان يمسك السكران ، فقال : يقول لك القاضى : أطلقه ، فأطلقتهم افترقا جميعا .

ونزل القاضى ، ودعا بالسكران ، فقيل له : أمرنا عنك أبو عبد الله الفقيه أن نطلقه ، فقال : وفعل ؟ قيل^(١) له : نعم ، قال : أحسن .

قال محمد :

وما أتى عن القضاة فى هذا المعنى خاصة ، من الإغضاء عن السكرانى ، والتغافل لهم ، والرقعة عليهم ، فلا أعرف لذلك وجهاً من الوجوه يتسع لهم فيه القول ، ويقوم لهم به العذر ، إلا وجهاً واحداً ، وهو أن حدّ السكر من بين الحدود كلها لم ينص عليه^(٢) الكتاب المنزل ، ولا أتى فيه حديث ثابت عن الرسول ، صلى الله عليه وسلم ، وإنما ثبت أن النبى . صلى الله عليه وسلم ، أتى برجل قد شرب ، فأمر أصحابه أن يضربوه على معصيته ، فضرب بالنعمال وبأطراف الأردية ، ومات النبى ، صلى الله عليه وسلم ، ولم يحدّ فى ضرب السكران حداً يلحق بسائر الحدود ، فلما نظر أبو بكر - رضى الله عنه - فى ذلك بعد النبى ، صلى الله عليه وسلم ، واستشار أصحابه ، قال له على بن أبى طالب ، رضى الله عنه : من شرب سكر ، ومن سكر هذى ، ومن هذى افترى ، ومن افترى ، وجب عليه الحد ، أرى أن يضرب الشارب ثمانين ، فقبل ذلك منه الصحابة .

فذكر أهل الحديث أن أبا بكر عند موته ، قال : ماشىء فى نفسى

(١) الأصول : « قال » .

(٢) الأصول : « لم ينصه » وما أثبتنا أنسب .

منه شيء غير حد الخمر ، فإنه شيء لم يفعله رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، وإنما هو شيء رأيناه من بعده .

قال محمد :

كان السبب في عزل^(١) محمد بن زياد عن القضاء ما كان من أمر ابن أخى عجب ، وذلك أنه شهد عليه بلفظ نطق به عابثاً^(٢) في يوم غيث ، فأمر الأمير عبد الرحمن — رحمه الله — بحبسه ، فأبرمته عجب في إطلاقه ، وكانت مدلة عليه ، لمكانها من أبيه ، فقال لها : نكاشف^(٣) أهل العلم عما يجب عليه في لفظه ، ثم يكون الفصل في أمره . فأمر الأمير — رحمه الله — محمد بن السليم ، وهو يومئذ والى المدينة ، أن يحضر القاضي محمد بن زياد ، وفقهاء البلد ، لجمعهم في مجلس النشمة^(٤) فحضر حينئذ عبد الملك بن حبيب ، وأصبع بن خليل ، وعبد الأعلى ابن وهب ، وأبو زيد بن إبراهيم ، وأبان بن عيسى بن دينار ، فشاورهم في أمره ، وأخبرهم بما كان من لفظه ، فتوقف عن الإشارة بسفك دمه القاضي محمد بن زياد ، وأبو زيد ، وعبد الأعلى ، وأبان ، وأشار بقتله عبد الملك بن حبيب ، وأصبع بن خليل ، فأمرهم محمد بن السليم أن ينصوا^(٥) فتيانهم على وجهها في صك ، ليرفعها إلى الأمير — رحمه الله — ففعلوا ، فلما تصفح الأمير قولهم استحسنت قول عبد الملك ، وأصبع ، ورأى ما رأيا من قتله ، وأمر حسان نخرج عليهم ، فقال لصاحب المدينة : قد فهم الأمير — أكرمه الله — ما أفتى به القوم

(١) الأصول : « عزلة » .

(٢) الأصول : « متعيثاً » وهى غير واردة .

(٣) الأصول : « تكشف » .

(٤) كذا . والنشمة ، واحدة النشم ، وهو شجر من الفصيلة

الرزيفونية . ولعله يريد مكاناً فيه هذا الشجر .

(٥) نص الفتيا : رفعها وأسندها إلى من رويت عنه .

في أمر هذا الفاسق ، وهو يقول للقاضي : اذهب فقد عزلناك .
وأما أنت — يعنى : عبد الأعلى — فكان يحيى بن يحيى يشهد عليك
بالزندقه ، ومن كانت هذه حاله فخرى ألا نسمع فتياه ، وأما أنت
يا أبان بن عيسى ، فإننا أردنا أن نوليك القضاء بجيستان ، فرعمت أنك
لا تحسن القضاء ، فإن كنت صادقاً فما أن لك أن تتعلم الفتيا ، وإن
كنت كاذباً فالكاذب لا يكون أميناً .

وقال للآخر كلاماً أمسك عنه صاحب الجناية ، وأراه ذهب إلى
حفظ بعض ولده .

ثم قال حسان الفتى لصاحب المدينة : والأمير — أكرمه الله —
يأمرك أن تخرج الساعة مع هذين الشيخين : عبد الملك ، وأصبغ ،
وأمر لهما بأربعين غلاماً من الغلمان ينفذون تقماً في هذا
الفاسق مارأيا .

نخرج عبد الملك ، وهو يقول سبّ ربّ عبدناه إن لم نتصر له ،
إننا لعبيد سوء .

ثم أخرج المحبوس ، فوقفا حتى رفع في خشبته ، وهو يقول
لعبد الملك : أبا مروان : اتق الله في دمي ، فإنني أشهد أن لا إله إلا الله
وأن محمداً رسول الله . وعبد الملك يقول : (الآن وقد عصيت قبل)^(١) ،
حتى صلب ، وانصرفا .
قال محمد :

ولم ينقم على محمد بن زياد في ولايته شيء من الأشياء ، فيما ذكر
أهل العلم ، غير دالة كانت تظهر من امرأته عليه ، على ما يفعله الأزواج

(١) يونس : ٩٠ .

ببعولتهن ، والناس إلى تقفى المعايب سراع ، فكان ذلك مما يغمص^(١) به عليه فى ذلك الوقت .

وكانت تلك المرأة تسمى : كنفات .

قال أحمد بن أئمن : وأخبرنى أبى محمد بن عبد الملك بن أئمن ، قال : لما أفضت الخِلافة إلى محمد — رحمه الله — كُتِّمَ فى إعادة محمد بن زياد إلى القضاء والصلاة ، وكان له صنعة قبل ولايته ، فأبى وقال : ترانى أنسيت ما كان الناس يشنعون به فى أمر كنفات ، فصرفه إلى الصلاة وحدها .

قال محمد بن وضاح :

سمعت محمد بن زياد ، لما ولى الصلاة المرة الثانية ، فى أيام محمد الأمير — رحمه الله — يقول للقومة^(٢) ، وقد دعاهم : إنما بلغتنى عنكم (أشياء)^(٣) ، فاتقوا الله واستقيموا وأعينونى على الحق ، لئن وجدت أحدا منكم قد خلط لأجله نكالا .

ثم قال : انظروا إلى ، واجعلونى من بالسكم ، فإن رأيتمونى أخلط فأتم فى سعة من التخليط ، وإن رأيتمونى أريد الحق فأعينونى ، ولا تجمعوا إلى أنفسكم سبيلا .

(١) الأصول : « يغمص » بالضاد المعجمة ، تصديف • ويغمص :

• يعاب

(٢) القومة : الذين يقومون بأمر الناس من قبيل السلطان ، ولعلها

• جمع قائم

(٣) بمثل هذه الكلمة يتصل الكلام ، فمكانها كلمة أخرى استعصت

• قراءتها على القارىء .

ذكر القاضى سعيد بن سليمان الغافقى

قال محمد :

أبو خالد سعيد بن سليمان بن حبيب ، كان أصله من مدينة غارق .
ولى قضاء ماردة وغيرها قبل ولايته قضاء قرطبة ، ثم ولاة الأمير
عبد الرحمن بن الحكم -- رضى الله عنهما -- قضاء الجماعة بقرطبة .

قال محمد :

وسليمان بن سعيد ، غير سليمان بن أسود ، قاضى الجماعة بقرطبة .
قال محمد : وكان الفقيه أبو عثمان العراقى يحكى عن أبى عبد الله
محمد بن وضاح ، فيما أخبرنى فرج بن سلمة ، وذكره أيضاً خالد بن
سعد ، قال :

ولى القضاء أربعة ، فاتصل العدل بهم فى آفاق الأرض : رُحيم بن
اليتيم بالشام ، والحارث بن مسكين بمصر ، وسجنون بن سعيد بالقيروان ،
وأبو خالد سعيد بن سليمان بقرطبة .

قال محمد بن حارث :

فأما رُحيم بن عبد الرحمن بن إبراهيم فكان من أهل دمشق ،
وولاه قضاء الشام جعفر المتوكل . وكان وفاء رُحيم بن عبد الرحمن ،
المعروف بابن اليتيم ، بالرملة ، سنة خمس وأربعين ومائتين . ولم أعلم
بتاريخ ولايته القضاء متى كان .

وأما الحارث بن مسكين فإنه ولاة قضاء مصر جعفر المتوكل سنة سبع وثلاثين ومائتين ، جاءته ولاية القضاء وهو بالإسكندرية ، ثم حمل إلى مصر ، فكان قاضياً إلى أن عزل يوم الجمعة لسبع ليال بقين من شهر ربيع الآخر سنة خمس وأربعين ومائتين .

وأما سحنون بن سعيد التنوخي ، فإنه ولاة قضاء إفريقية محمد بن الأغلب التميمي سنة أربع وثلاثين ومائتين ، وتوفي سحنون قاضياً غير معزول يوم الثلاثاء لسبعة أيام مضت من رجب سنة أربعين ومائتين .
وأما سعيد بن سليمان ، فإنه ولاة قضاء الجماعة بقرطبة عبد الرحمن ابن الحكم — رحمه الله — فكان قاضيه حتى مات عبد الرحمن — رحمه الله — ثم أقره على القضاء محمد بن عبد الرحمن — رضى الله عنه — فقضى له نحو السنيتين ، ثم مات بقرطبة قاضياً غير معزول .

قال محمد :

ولم أسمع بتاريخ ولايته القضاء متى كان ، غير أنه كان بلاشك بعد سنة أربع وثلاثين ومائتين .

قال خالد بن سعد : أخبرني بعض أصحابنا من أهل العلم ، عن أحمد بن عبد الله بن أبي خالد :

أنه أدرك القاضي سعيد بن سليمان ورآه يقضى بين الناس ، وأنه لما أراد الأمير عبد الرحمن بن الحكم — رحمه الله — أن يوليه القضاء بقرطبة أرسل فيه رسولا ، فوافقه وهو يقف على أزواج له يحرثن بفحص البلوط في ضيعته ، فقال له الرسول : تركب إلى قرطبة ، فإن الأمير ذهب إلى توليتك القضاء ، قال له : دعنى حتى أبلغ إلى منزلى أتجهز بما أحتاج إليه ، فأبى الرسول أن يتركه ، وقال : كن هاهنا معى ، وأرسل إلى منزلك في دابتك وما تحتاج إليه من الزاد ، ففعل ،

فلما قدم قرطبة ولاة الأمير — رحمه الله — القضاء ، فجلس للحكم في المسجد ، وعليه جبة صوف بيضاء ، وفي رأسه أقروفي^(١) أبيض ، وغفارة^(٢) بيضاء من ذلك الجنس ، فلما نظر الخصوم إليه احتقروه ، فجاءوا في مغيبه عن المسجد بقنفة مملوءة من قشر البلوط فوضعوها تحت الحصير الذي كان يصلي عليه ، فلما أتى القاضي بعد ذلك ، وقام على الحصير ، أحس تحته شيئاً يتكسر ، فلما فرغ من الصلاة أخذ يرفع الحصير ، فنظر إلى قشر البلوط ، فقليل له : إن بعض الخصوم فعلوا ذلك ، وصح عنده ما قيل له فيهم ، فلما أتوه من بعد ذلك قال لهم : يامعشر الخصوم ، غيرتموني بأني بلوطي ، أنا أشهد على نفسي أنني بلوطي . عودته والله صليب لا تملوه^(٣) ، ثم حلف لهم بإثر كلامه هذا : ألا يتخاصموا^(٤) عنده سنة ، فمكاد أن يورثهم الفقر .

قال محمد : حدثني فرج بن سلمة البلوي ، قال : حدثنا سعدون ابن ناصر بن قيس ، وكان شيخاً من أهل الحركة :

أن أباه كيان وكيلا لسعيد بن سليمان ، وأنه قدم في بعض الأيام من فخص البلوط على القاضي سعيد بن سليمان ، فألقى بين يديه رجلا وزوجته .

قال ناصر بن قيس :

فلما دخلت على القاضي قام إلى مسلما ، ثم جلس ، فقال لمن

(١) كذا .

(٢) الغفارة ، بالكسر : خرقة يغطي بها الرأس ، ما قبل منه وما دبر ،

غير وسطه .

(٣) الأصول : « لا تفلوا فيه » والفعل متعد بنفسه ، يقال : فلأ ،

إذا كسره .

(٤) الأصول : « يخاصموا » ولا يستقيم بها المعنى .

حوله : هذا مقيتى ومقيت عيالى بحول الله ، ثم سألتنى عن رفعه فى ذلك العام ، فقلت له : رفع القاضى بسبعة أمداد^(١) من شعير وثلاثة أمداد من قمح . فحمد الله وأثنى عليه ، ثم عاد إلى التسكلم بين الرجل وزوجته اللذين ألفتيهما بين يديه ، فقال الرجل : يا قاضى ، تأمرها بالنهوض معى إلى منزلى . فلصقت بالأرض المرأة وتابت ألا تمشى معه فى الأرض شبرا ، ثم قالت للقاضى : بالله الذى لا إله هو ، لئن صرفتنى إليه لأقتلن نفسى ، وتكون المسئول عن دى .

قال ناصر :

فلما سمع القاضى كلام المرأة عطف على رجل إلى جنبه ، حسبته كان فقيها ، فقال له : ماترى ؟ قال له : إن كان القاضى ، وفقه الله ، لم يظهر له أن هذا الرجل يضر بزوجه فليجبرها على المسير معه ، أحبت أو كرهت ، إلا أن يشاء الرجل أن يفارقها بفدية أو غيرها ، فإن أبى إلا الفدية فذلك حلال له ، ويخلعها^(٢) ولو من قرطها ، إن لم يسكن له منه ضرر إليها ، فقال الزوج : والله ما لها مال ، قال له : فلو ذهبت إلى الافتداء منك أكنت تفارقها ؟ فقال له : كنت أسمح .

قال ناصر : فعاد على القاضى ، فقال ، هل جلبت من الطعام فى جيبتك هذه شيئا ؟ فقلت له : بلى . جلبت مدا من قمح ، ومدين من شعير .

قال ناصر : فرأيته يقلب أصابعه ، ثم قال : قوت تسعة أشهر كثير . ثم قال لزوج المرأة : خذ ما بقى من رفعى فى ضيعتى وأرحها

(١) أمداد : جمع مد ، بالضم ، ودى مكىال قديم .

(٢) يخلعها : يطلقها بفدية من مالها .

من نفسك ، وأرح نفسك منها ، فقال الزوج : كنت أفعل ، لو كان الطعام بقرطبة ، فقال له القاضي : أحسبك مغتما ، ثم وضع يديه في الأرض وقام ودخل الدار ، وأخرج شقة بيضاء من صوف ، فدفعا إليه ، وقال للزوج : هذه شقة عملت في بيتي لشتوتي ، وأنا ، إن شاء الله ، غنى عنها ، نغذها واستغن بشمها في جلب الطعام إلى نفسك ، فأخذها وبرأ زوجته ، وأمرني برفع الطعام إليه ، فأقبضته إياه .

قال خالد بن سعد : أخبرني بعض أصحابنا من أهل العلم ، عن رجل فاضل من خيار المسلمين أدرك سعيد بن سليمان القاضي ، قال :

قضى سعيد بن سليمان يوماً في المسجد إلى أن مضى صدر النهار ، ثم قام منصرفاً إلى داره ، فلما هم بدخول الدار ، فإذا بوالد نصر الفتى مقبلاً وأعوانه بين يديه ، وكان أعجمي اللسان ، فصاح على البعد بالعجمية : كلوا القاضي ، يثبت على أكلمه ، فقال القاضي : قولوا بالعجمية : إن القاضي قد أدركته الملائة والسامة من طول الجلوس للقضاء ، فإذا جلس بالعشى في المسجد للنظر بين الناس تعود إليه لينظر في حاجتك ، إن شاء الله ، ثم دخل القاضي داره ولم يقف عليه .

قال خالد بن سعد :

وكان محمد بن عمر بن لبابة يصف سعيد بن سليمان القاضي بالخير والفضل ، ويثنى عليه ، ويصفه بالتواضع .

قال محمد بن عمر بن لبابة . أخبرني محمد بن أحمد العتبي ، قال :

صلى بنا سعيد بن سليمان القاضي صلاة الجمعة في المسجد الجامع بقرطبة

ثم خرجنا معه ، فشى ولم يركب ، ومشينا معه حتى بلغ إلى الفرن الذي كان يطبخ فيه خبز ، فقال للفران : خبزتى مطبوخة ؟ فقال له : نعم . فقال له : هاتها ، فناولها له ، فأخذها فجعلها تحت عضده ، وأقبلنا نمشي حتى بلغنا الدار فدخل ، وانصرفنا عنه .

قال محمد : ذكر أهل بعض العلم ، قال :

كان سعيد بن سليمان القاضى يحكم فى المسجد الجامع ، ويأتى إليه ماشياً ، وأنه كان يوماً من الأيام مقبلاً ضحى ، فلما أتى باب اليهود التقى بسعيد بن حسان الفقيه ، وكان سعيد بن حسان منقبضاً عنه ، فقال له القاضى : أبا عثمان ، مالك تنقبض عنى فلا تأتيني ؟ فوالله ما أريد إلا الحق ، ولا أقصد غيره ، فقال له سعيد بن حسان : والله لو أعلم هذا ما قدمت عنك ، ولتجملت هذه الخريطة^(١) بين يديك .

ثم عاد سعيد إلى إتيانه .

قال محمد :

ولبت سعيد بن سليمان قاضياً إلى أن مات الأمير عبد الرحمن بن الحكم — رضى الله عنه — سنة ثمان وثمانين ومائتين .

فحكى محمد بن عبد الملك بن أيمن ، عن أخبره ، عن شهد البيعة للأمير محمد ، رحمه الله :

أنه لما دخل عليه القاضى سعيد بن سليمان ودنا منه ، قال له محمد الأمير : أيها القاضى ، امض على نظرك ، فتمادى قاضياً فى أول أيام الأمير محمد — رحمه الله — نحو عامين ، ثم مات غير معزول .

(١) الخريطة : وعاء من جلد لحفظ الأوراق ، يريد محافظة القاضى التى به أوراقه .

ولا أعلم له عقباً .

قال محمد :

وجدت في تسمية المستخرجة من ديوان القضاء : أنه تلا سعيد بن سليمان في القضاء محمد بن سعيد ، فلا أدري إن كان محمد بن سعيد بن سليمان ، أو غيره ، ولم أجد له خبراً ، ولا سمعت له عند من أدركت من العلماء ذكراً ، حاشى اسمه ، فإنه موضوع مع جملة أسماء قضاة الجماعة في التسمية المستخرجة من الديوان .

ذكر القاضى أحمد بن زياد اللخمي

قال محمد :

أحمد بن زياد بن عبد الرحمن ، أخو محمد بن زياد ، المتقدم ذكره من قبل ، وقع عليه اختيار الأمير محمد — رحمه الله — فاستقدمه من شذونه ، وولاه قضاء الجماعة ، فسار بخير سيرة وأجملها ، وكان رجلاً صالحاً ، صحيح المذهب ، حسن السيرة .

ويقال : إنه كانت فيه عجزية^(١) مع حسن حاله^(٢) ، واستقامة حاله .

قال محمد : قال لى بعض رواة الأخبار :

كان أحمد بن زياد شديد التهيب في قضائه ، لا يخاطب في شيء من أمر الخصوم إلا في مجلس نظره ، ولا يأذن لأحد بلقاه في طريق في مواكبه^(٣) ، ولا أن ينصرف معه ، ومن ألح فيما لا ينبغي من ذلك أمر بحبسه .

وذكر أنه لقيه محمد بن يوسف عند باب القنطرة يوماً من الأيام ، وقد أمر أحمد بن زياد بحبس رجل (أعرج)^(٤) اعترضه بكلام لا يصلح له أن يسكلمه به ، وكان الأعرج ضيق الخلق ، شديد الحرج ، فقال له حينئذ :

-
- (١) العجزية : العجرفة ، وهى الجفوة فى الكلام .
 - (٢) كذا ، ولعلها : « حسن سيرة » أسوة بما سيجىء بعد قليل .
 - (٣) المواكبة : المبادرة .
 - (٤) تكلمة يستقيم بها الكلام .

هيبة الجبارين ، ومذهب المتكبرين ، لا يكلم على الطريق ، فأمر أحمد ابن زياد بحبس الأعرج ، واتصل الخبر بأهل الجامع لقرب الموضوع ، وكان في تلك الساعة في الجامع صاحب الشرطة محمد بن عبد الرحمن ابن إبراهيم ، فخرج إلى أحمد بن زياد ، فعاب عليه ، وكسر رأيه ، فانصرف القاضي عن رأيه ، وأمر بترك محمد بن يوسف .

قال محمد :

وكان أحمد بن زياد قاضياً تسعة أعوام وأشهرآ ، إلى أن أحدث بعض أولاده بشذونه حدثاً ، فاتصل ذلك بالأمير محمد — رحمه الله — فوجه لامتحان ذلك ولدأ لمحمد بن موسى الوزير ، يسمى بموسى ، وكان لقتناً ذكياً ، من أهل النظر والحركة ، فقدم بتصحيح ذلك الحديث ، فدارت على القاضي فيه غضاضة ، ونالته منه ذلة .

قال محمد : أخبرني أحمد بن محمد بن عمر بن لبابة :

أن هاشم بن عبد العزيز أراد القاضي أحمد بن زياد على أن يبيع داراً كانت بالمدينة للأيتام من بعض أولاد الأمير محمد — رحمه الله — فأبى وبلج ، وقال : لا أبيعها ، وكان كاتبه يومئذ عمرو بن عبد الله ، فعمد لنفسه في القضاء مع هاشم بن عبد العزيز ، ثم زين لأحمد بن زياد أن يكتب إلى الأمير يستعفيه عن القضاء ، فأطاعه أحمد بن زياد وكتب بذلك ، فلما خرج الكتاب من حكمه دخل عليه من خاصته رجل ، فقال له : أنت قصير ، وأنا قصير ، فاحذر أن يغلبك ويغلبني كياتبك عمرو ، فما الذي أشار به عليك ؟ قال : بأن أستعفى وأكتب بذلك إلى الأمير ، وقد فعلت ، قال : أنت والله معزول .

قال : فحكى ذلك الرجل ، قال :

فأبرحت من بين يديه، حتى أتى صاحب الرسائل ، فقال له : يقول
لك الأمير - أصلح- الله - : تبرأ بالديوان إلى قاضينا عمرو بن عبد الله .

وحكى بعض أهل العلم ، قال :

لما نالت أحمد بن زياد الكسرة ، وأدركته الغضاضة فيما أحدث
ولده بشذوفاً ، شاور كتابه عمرو بن عبد الله في أمر نفسه ، وما يحمل
عليه في السبب الذي دار عليه ، فقال له عمرو : أرى أن تكتب إلى
الأمير تستعفيه ، فإن الملوك من شأنهم إذ استعفوا أن يلجوا ، فيكون
إقراره لك بعد الاستعفاء ولاية مجددة ، فأصغى أحمد بن زياد إلى
ذلك ، وكتب بطاقة وجرها عن رأيه ، وكان على أحباس أحمد بن
زياد ، أى ذلك الوقت ، رجل من أكياس الناس ودهاتهم ، يعرف بزيد
الغافق ، فدخل زيد على أحمد بن زياد ، وعمرو بن عبد الله خارج عنه ،
وقد أحكم البطاقة ، فلما دخل عليه زيد ، قال له : أيها القاضي ، إن هذا
اخارج عنك - يعنى عمراً - قصير وأنا قصير ، وليس فينا خير ، فقال
له زيد : وإنه خدعك ، فوالله لئن رفعت إلى الأمير تستعفيه ليغتنمها
منك^(١) بسبب ما دار عليك . فعصاه القاضي ، وأمضى البطاقة على وجهها ،
فغزله الأمير ، رحمه الله .

فسكان محمد بن أيمن يحكى عن زيد ، قال :

بينما أنا في السوق إذ ضرب عليّ شرطى ، فقال : أجب القاضي ،
فقلت : أى قاض ؟ فقال : عمرو بن عبد الله ، فأثبته فوجدته في
الجامع قاعداً .

(١) الأصول : « منها » ولا يستقيم بها المعنى .

وكان زبدي يحكي قصة طويلة عرضت له مع عمرو في ذلك :
قال خالد بن سعد ، أخبرني بعض أصحابنا ، قال : أخبرني يحيى
ابن زكريا ، قال :

لما ولي عمرو بن عبد الله القضاء أبقى أن يقبض الديوان إلا من
أحمد بن زياد ، فبعث فيه عمرو ، وعزم عليه أن يأتيه بالديوان بنفسه ،
لا يسكل ذلك إلى أحد سواه ، وأتاه به إلى الجامع ، فدفعه إليه ، فلما قدم
أحمد أخذ بعضده ثم قال له : يا عمرو ، لقد فتحت على القضاء باباً
لا يخطئك شره .^١

ذكر القاضي عمرو بن عبد الله بن لبث القبعة

قال محمد :

هو : مولى ابنة عبد الرحمن بن معاوية .

وهو : عمرو بن عبد الله ، كان مولى ، وهو أول من ولى قضاء الجماعة للخلفاء من الموالى ، فشق ذلك على العرب . . . (١) وتكلموا فيه ، فبلغ ذلك الأمير محمداً — رحمه الله — فقال : وجدت فيه ما لم أجد فيهم ، فقال العرب : أما القضاء فإننا لا نعترض فيه ، لأنه من سلطانه ، وأما الصلاة فإننا لا نصلى وراءه ، فولى الأمير — رحمه الله — الصلاة النميرى عبد الله بن الفرج .

وكان عمرو بن عبد الله صنيعة للأمير محمد — رحمه الله — من قبل أن يلى الخلافة ، وكان عارفاً بفضله وعقله وأدبه ، فقدمه على تجربة ، وولاه عن خبرة ، وقلده قضاء الجماعة سنة خمسين ومائتين .

قال محمد :

ومن قبل أن يكتب عمرو بن عبد الله لأحمد بن زياد القاضي كان قاضياً على كورة إستجه (٢) .

فأخبرنى من أثق به ، قال :

(١) مكان هذه النقط كلمة استعصت على القارىء .
(٢) استجة ، مر الكلام على ضبطها . (انظر: فهرست هذا الكتاب)

أتاه عيسى بن فطيس متظلماً من ابن عائشة القرشي ، فقال وشكا وأكثر ، فسكت عنه عمرو بن عبد الله ولم يجبه بحرف ، واستمر ابن فطيس في الشكوى ، فلما بلغ عمرو إلى دار سكنناه دخل من الباب وحول وجهه إلى ابن فطيس ، وألقى إليه كلاماً فصلاً ، قليل اللفظ ، كثير المعاني ، عجيب الحكم ، قال له : الغالب في القرية هو الغالب عندي ، فلقنها عنه ابن فطيس ، فجمع عبيده ، ومن لا فـ^(١) به من سلطانه ، على خصمه فغلبه ، ثم اجتمعا عند القاضي من بعد ، فأذكر ابن فطيس جميع ما ادعى به عليه خصمه ، وانصرف غير محكوم عليه ، وكلف ابن عائشة البيعة على دعواه ، فغاب ابن فطيس في الظاهر كما غلب في الباطن .

قال محمد :

وجملة القول في وصف عمرو بن عبد الله : أنه كان جميل الرأي ، حسن السميت ، طويل الصمت ، قليل الحركات ، إذا نطق كأنما ينطق من صدع صخرة ، مع الهيبة الشديدة ، والمروءة الظاهرة ، لا ينظر إلا للحأ ، ولا ينطق إلا تبسماً ، حكى في ولايته الأولى محمد بن بشير ، في صحة الأمور ، وشدة النقاوة ، وحسن السيرة ، وإيثار العدل . وكان إذا قعد لا يتقرب منه خصم ، ولا يدنو منه أحد ، وكذلك كان إذا ركب لا يصحبه صاحب ، ولا يصير إلى جانبه راكب ، مع قوة الشكيمه^(٢) ، والصلابة الشديدة ، والتنفيذ الوشيك ، وقلة المداراة لمن لصق بالخليفة من وجوه خاصته ، وعيون رجاله .

أخبرني بعض رواة الأخبار ، قال :

حكم عمرو بن عبد الله على هاشم بن عبد العزيز في مجشر^(٣) ، كان في

(١) الأصول : « لا فـ »

(٢) المطبوعتان المصريتان : « السكينة » .

(٣) مجشر ، كنبر : مرعى للدواب .

يده بجانب جيان ، بعلبه ، بلايينة ولا إعدار ، وسجل ، وأشهد ونفذ .
وذكر أهل العلم ، قال : حدثني بعض شيوخ مسجد أبي عثمان ،
قال :

التقى عمرو بن عبد الله بهاشم بن عبد العزيز ، فلم يزد القاضي على أن
سلم على هاشم ، فلوى لم يثن معه عنانا ، ولا وقف عليه فواقاً (١) .
قال خالد بن سعد :

كان محمد بن مسور يذكر أنه توجه ذات يوم إلى القاضي عمرو بن
عبد الله ، وذلك قبل الظهر ، قال : فوجدت الناس ينتظرون خروجه
إلى المسجد ، فخرج وبين يديه رجل يحمل خريطته بكتب ، وشيخ
يمشي إلى جنبه ، فإذا همّ رجل أن يدنو من القاضي ليكلمه في مسيره
إلى المسجد دفعه عنه ، وقال : اذهب حتى يجلس القاضي في مجلس
القضاء .

قال محمد : وذكر بعض أهل العلم ، قال :

مات ابن عمرو بن عبد الله فمشت قريش في جنازته ، في حفل لم
يشهد أحد أخف منه منظراً ، ولا أكثر عدداً .

قال محمد :

وكان عمرو بن عبد الله حليماً وقوراً ، ضابطاً لنفسه عند ساعه الغضب ،
ومعانيته المكروه .

حكى أحمد بن محمد بن عبد الملك في كتابه ، قال :

(١) الفواق ، بفتحيتين : الوقت بين الحلبتين ، يريد وقتاً قصيراً

كان عمرو بن عبد الله يلقب بالقبعة^(١) ، وذلك أنه كان دحداً قصيراً ، يكاد يخفى إذا قعد .

وكان إذا قعد مقعد القضاء أمر من كانت له عنده خصومة أن يكتب اسمه في رقعة ، ثم يجمع الرقاع ويخلطها بين يديه ، ويدعو بأصحابها : الأول فالأول ، على ما يخرج إلى يده من الرقاع ، فأتى رجل إلى مؤمن بن سعيد الشاعر ، وكان كثيراً ما يلزم المسجد الذي كان يجلس فيه عمرو بن عبد الله ، لقرب جواره منه ، فسأله أن يوقع له اسمه في رقعة ، فقال له : ما اسمك ؟ فقال له : عقبة ، فكتب له مؤمن بن سعيد رقعة ، فأخذها الرجل فقذفها بين الرقاع ، فلما خرجت إلى يد القاضى شعر^(٢) به ، وجعل يثرخها حتى انقضت الرقاع ، فقال القاضى ، لما خف الناس عنه : من عقبة ؟ فتقدم إليه الرجل ، فقال له : من كتب اسمك ؟ فوصف له صفة مؤمن ، فقال له : إياك أن تقعد إليه ثانية .

قال لى عثمان بن محمد : أخبرنى أبى ، قال :

شهدت مجلس عمرو بن عبد الله يوماً من الأيام فى المسجد المجاور لداره ، فرأيتة جالساً يحكم بين الناس ، وعليه ثوب ، وهو جالس فى ركن المسجد ، مع من جلس إليه من أهل الحوامج والخصومات ، وفى الركن الثانى الذى يقابله مؤمن بن سعيد ، قد جلس مع من جلس إليه من الأحداث من رواة الشعر وطلاب الأدب ، قال : فتلاحى حدثان من جلاس مؤمن فى شىء ، فرفع أحدهما يده بخف فضرب صاحبه

(١) القبعة ، بضم ففتح : طوير أصغر من العصفور .
(١) الأصول : « شعر له » . وشعر له : قال له شعراً ، وما أثبتناه يتفق والسياق ، وشعر به : أحس .

فأصابه ، ثم سقط الخنق بعد الضربة في مجلس القاضى ، وظن من حضر أنه ستكون منه صولة ، فآزاد أن قال : لقد آذانا هؤلاء الأحداث .
 قال : فرأيت الأحداث يتسللون لو إذا فرقا من القاضى ، وحشمة^(١) مما أتى من جهتهم .
 قال :

ثم لم أبرح من المجلس حتى قام عمرو بن عبد الله متوجهاً إلى داره ، وقام الناس معه ، فلما بلغ باب الدار وقف ، وحول وجهه ، واتكأ على عصاه ، ثم قال : من كانت له حاجة فليتكلم فيها ، فتمكلم الناس ، ثم قال عمرو : أين رسول الأمير أبى إسحاق ، حفظه الله ؟ فدنا رجل فقال : أنا هو . فقال : أبلغ الأمير ، أكرمه الله ، السلام ، يعنى أخا الأمير ، رحهما الله ، وقل له : ظلمت وأسأت فيما فعلت ، عمدت إلى رجل قد أخذه حكى فآوئته وسترته ، تريد أن تمنع الحق من أن ينفذ عليه ، إن لم تخرجه وتبرزه ، ليؤدى ما عليه ، وبصير فيه إلى الواجب ، وإلا أرسلت إليك من يسمر^(٢) أبواب دارك ، ثم دخل إلى داره .

قال محمد : بعض أهل العلم يحكى ، قال :

اختصم رجلان إلى عمرو بن عبد الله ، فأظهر أحدهما وثيقة ، ثم صار إلى سترها ، فقال له عمرو : أظهر الوثيقة ، فأبى ، فعزم عليه عمرو واشتد ، فأخرجها الرجل ، وهو مغضب ، من كفه ، فرمى بها القاضى ، فأصاب وجهه ، فاصفر وجه عمرو حتى امتقع لونه^(٣) ، وظن

(١) الحشمة ، بالكسرة : الحياء .

(٢) يسمر : يدق بالمسمار .

(٣) امتقع لونه ، بالبناء المجهول : اصار . وفى الأصول : « انتقع » .

تحريف .

الناس أنه سيأمر به ، فأدركه حلمه وأعرض عن ذلك ، ونظر في الوثيقة ،
ثم قال للرجل : أليس هذا أحسن ؟

وكان سليمان بن عمران ، قاضى القيروان ، يكتب إلى عمرو بن
عبد الله :

من سليمان بن عمران ، قاضى القيروان ، إلى عمرو بن عبد الله .
فكان عمرو يسوغه ذلك ، ولا يذكره عليه ، ويكتب إليه
الجواب بتقديم ، سليمان بن عمران وتأخير نفسه .

فلما ولى سليمان بن أسود ، عامله سليمان بن عمران تلك المعاملة ،
فلم يحتملها سليمان بن أسود ، فجأوبه بتقديم نفسه ، فكان سليمان بن
عمران يقول : يا عجبا ، يعزل مثل عمرو بن عبد الله عن القضاء ويلى
مثل سليمان بن أسود ، ذلك الجلف الجاني !

قال محمد بن عبد الملك بن أيمن :

كان مژمن بن سعيد الشاعر يوماً جالساً عند عمرو بن عبد الله ، وكان
في مژمن من الهزل والنادر ما قد عرف وحفظ ، فقال : هذا أبو زيد
الحدري اتخذ غلماناً لخدمته ، فقال الناس : كيت وكيت ، فعرض بالشيخ ،
فاستغرب كل من حضر ضحكا ، فلم يزد عمرو على أن وضع يديه على
فمه وأشار إلى التبسم^(١) .

قال خالد بن سعد : أخبرني وليد بن إبراهيم ، قال :

أرسلني أبى إبراهيم بن لبيب ذات يوم في حاجة إلى عمرو بن
عبد الله القاضى ، وكان صديقاً لأبى ، فدخلت عليه في المسجد ، وهو

(١) كذا .

يقضى بين الناس ، إذ أتاه رجل ضعيف ، عليه أظفار ، فشكا إليه بعض عمال الأمير محمد — رحمه الله — وكان ذلك العامل عظيم الشأن والقدر ، مرشحاً في وقته للمدينة ، ثم صار إثر ذلك إلى ولاية المدينة ، فقال له : يا قاضى المسلمين ، إن فلانا غصبنى داراً ، فقال له عمرو بن عبد الله القاضى : خذ فيه طابعا^(٢) ، فقال له الرجل الضعيف : مثلى يسير إلى مثله بطابع ، لست آمنه على نفسى ، فقال له القاضى : خذ فيه طابعا كما أمرك ، فأخذ الرجل طابعه ، ثم توجه إليه به .

قال وليد : فقلت فى نفسى : لأفعلن حتى أعلم كيف تكون صلابته فى أمره ، فلم تكن إلا ساعة إذ رجع الرجل الضعيف ، فقال له : يا قاضى . إنى عرضت عليه الطابع عن بعد ثم هربت إليك ، فقال له عمرو : اجلس ، سيقبل .

قال وليد بن إبراهيم : فلم أنشب أن أتى الرجل فى ركب عظيم ، وبين يديه الفرسان والرجال ، فثنى رجليه ونزل ، ثم دخل المسجد ، فسلم على القاضى وعلى جميع جلسائه ، ثم تمادى كما هو ، وأسند ظهره إلى حائط المسجد ، فقال له القاضى عمرو بن عبد الله : قم هاهنا فاجلس بين يدي مع خصمك ، فقال له : أصلح الله القاضى ، إنما هو مسجد ، والمجالس فيه واحدة ، لا فضل لبعضها على بعض ، فقال له عمرو : قم هاهنا كما أمرتك واجلس بين يدي مع خصمك ، فلما رأى - زم القاضى فى ذلك قام بجلوس بين يديه ، وأشار القاضى إلى الرجل الضعيف أن يقعد مع صاحبه بين يديه ، فقال عمرو للرجل الضعيف : ما تقول ؟ فقال : أقول : غصبنى داراً لى . فقال القاضى للبدعى عليه : ما تقول ؟ فقال :

(١) طابع : كتاب مختوم بخاتم القاضى .

أقول: إن لي عليه الأدب فيما نسب إلى من الغضب، فقال القاضى : لو قال ذلك لرجل صالح كان عليه الأدب ، كما ذكرت ، فأما من كان معروفاً بالغضب فلا . ثم قال لجماعة من الأعوان ، ممن كانوا^(١) بين يديه : امضوا معه ، وتوكلوا به ، فإن رد إلى الرجل داره وإلا فردوه إلى حتى أخطب الأمير — أصلحه الله — فى أمره ، وأصف له ظلمه وتطاوله .

نخرج مع الأعوان ، فلم تكن إلا ساعة حتى انصرف الرجل الضعيف والأعوان ، فقال الرجل للقاضى : جزاك الله عنى خيراً ، قد صرف إلى دارى . فقال له القاضى : اذهب فى عافية .

قال محمد بن وليد :

لم يزل عمرو بن عبد الله فى ولايته الأولى عظيم القدر ، ظاهر الفضل ، معروف العدل ، تضرب به الأمثال ، ويهدد به الظالم ، لا يعدل به أحد فى جميل مذاهبه ، إلى أن أقيم^(٢) عنده على بقى بن مخلد ، بتلك الأسباب الناجمة ، وتشاهد^(٣) عليه بياض البلد^(٤) ، وشيوخ المصر ، عازمين على سفك دمه ، وقطع أثره ، وشنعوا عند الأمير — رحمه الله — من ذلك شنعاً^(٥) عظم اهتمام الأمير به^(٦) ، فشاور الأمير فى ذلك هاشماً ، وقال : قد شهد شيوخ البلد ووجوهه على هذا الرجل بما شهدوا به ، فإن أردت أن أرد شهادتهم ، وأسقط مقالتهم ، صعب

-
- (١) الأصول : « كان » ولا يستقيم بها الكلام .
 (٢) الأصول : « قيم » ولا يستقيم بها الكلام . وأقيم على : فوض .
 (٣) كذا . يريد شهد ، وهى غير واردة .
 (٤) بياض البلد ، يريد : المتميزين من أهل البلد .
 (٥) شنع به شنعا ، كفرح فرحا : استنكره واستقبحه .
 (٦) الأصول : « بها » .

ذلك على ، وإن أوقعت بالرجل على زهده وخيره ، فعلت عظيماً ،
فاترى؟ قال له هاشم : أرى أن تعزل القاضى الذى قام هذا السبب
عنده ، فإنك إذا عزلته سكن القوم وانكسر حدهم ، وصعب عليهم
استئاف الخبر عند الوالى بعده .

فعزل الأمير محمد عمرو بن عبد الله لهذا السبب .

ذكر القاضي سليمان بن أسود الغافقي

قال محمد :

سليمان بن أسود بن يعيش بن جشيب ، من مدينة غافق ، ولى
كورة ماردة وقت ولاية عمه سعيد بن سليمان قضاء الجماعة بقرطبة ،
وولى خالد بن سعيد هذا ، قضاء فخص البلوط .

قال محمد :

وبمدينة ماردة كان تزوج سليمان بن أسود أخت سليمان بن
سليمان بن هاشم المعافى .

ولاه الأمير محمد بن عبد الرحمن — رضى الله عنهما — قضاء
الجماعة بقرطبة ، إذ عزل عن القضاء عمرو بن عبد الله ، وكان السبب
الذى قدمه عند الأمير ، وأحله بقلبه محل الجلالة أمرين :

أحدهما: أن الأمير محمداً — رحمه الله — إذ كان بماردة ، فى حياة
الأمير عبد الرحمن — رضى الله عنه — تطاول بعض أعوانه فانتزع
من رجل ابنته ، وكان سليمان بن أسود حينئذ قاضياً بماردة ، فليجأ
الرجل المظلوم إلى سليمان القاضي فاستغاثه ، فكتب إلى الأمير محمد
يعلمه بالخبر ، فأبطأ عليه الجواب بما أحب منه من الإنصاف ، فركب
دابته ووقف بباب القصر بماردة ، وكتب إلى الأمير — رحمه الله —
هذه طريقى إلى أريك إن لم تغير على أعوانك ما صنعوا ، فبلغه الأمير
محمد إلى ما أحب من الإنصاف .

فلما ولي محمد - رضى الله عنه - قيل لسليمان : اخرج الأرض
وادخل فيها ، فقد علمت ما قدمت إلى الأمير محمد ، إذ كان بماردة ،
فلم تر^(١) منه مكروها .

وكان حظيا عنده ، مقدماً لديه ، وكان أحد الأربعة الداخلين على
الأمير محمد - رحمه الله - فيما يحتاج من إسهاد واستفتاء .

والثانية : أنه لما عزل سليمان عن قضاء ماردة ، وافى باب القصر
بقرطبة ، وكتب إلى الأمير محمد ، رحمه الله :

إن ييدى ما لا تجمع من أرزاقى ، وجب على صرفه إلى بيت المال ،
وهو مما حاسبت فيه نفسى من أيام الجمع وأوقات الأشغال ، والأحيان
التي وجب على فيها النظر ، فلم أنظر .

نخرج إليه الجواب من عند الأمير : هو لك صلة من عندنا .
فأبى أن يقبله حتى يقبض منه .

وأما القصة الأولى ، فشهوة مستفيضة عند العامة والخاصة .
وأما القصة الثانية فأخبرنى بها فرج بن سلامة البلوى ، عن محمد بن
عمر بن لبابة .
قال محمد :

وبلغنى أن سليمان بن أسود كان له حظ من علم الأدب ، وربما
صنع الأبيات من الشعر نخطب بها الخلفاء والخاصة من الإخوان .

قال خالد بن سعد : أخبرنى وليد بن إبراهيم بن ليث ، قال :
أخبرنى سليمان ابن [بنت]^(٢) سليمان بن أسود ، قال :

(١) الاصول : « فلم ير » ولا يستقيم بها الكلام .

(٢) تكملة يقتضيهما السياق .

حضرتُ ختنى^(١) سليمان بن أسود ، إذ ولى القضاء وعزل عمرو بن عبد الله ، وكانا جميعا فى ذلك الحين مجتمعين فى الجامع ، فخرجا جميعا فى وقت واحد : الوالى والمعزول ، فلما أتيا باب العطارين ، وخرجا مع سليمان من المدينة ، افترقا ، فقال الناس كلهم مع سليمان بن أسود ، ومال عمرو بن عبد الله وحده إلى داره ، ليس معه أحد ، وكان من قبل ذلك بياغة^(٢) قاضياً .

قال سليمان^(٣) :

فهمت أن أميل مع عمرو بن عبد الله مما استعديت ، وعجبت من غدر الناس وقلة وفائهم ، فلم يمنعنى من ذلك إلا مخافة أن يعدو على ختنى سليمان بن أسود .

قال : وأخبرنى بعض أصحابنا من أهل العلم ، عن يحيى بن زكريا ، وكان من كبار أصحاب محمد بن وضاح ، قال :

حضر سليمان بن أسود صنيعاً عند بعض الوزراء فى يوم جمعة ، فسأله الوزير أن يطعم وحده ، فاعتذر إليه بأنه صائم ، فدعاه بغالية ليغلفه بها ، فأبى ذلك^(٤) وقال : إن هذا يوم جمعة ، ولا بد من الاختسال فيه ، فيصير هذا الطيب إلى الذهاب والتلف . فتوقف الوزير عما كان أمر به من ذلك ، فلما خرج سليمان بن أسود من عنده ، قال لبعض إخوانه : كرهت والله أن أكون خطيب المسلمين اليوم وواعظهم ، وعلى طيب فيه ما فيه .

قال محمد : أخبرنى غير واحد من أهل العلم ، قال :

(١) السنن ، محرركة : كل من كان من قبل المرأة ، كأبيها وأخيها .

(٢) بياغة : مدينة بالأندلس من كورة البيرة (معجم البلدان : ١ : ٤٧٤)

(٣) هو سليمان بن أسود .

(٤) الأصمولى : « من ذلك » ، والفعل يتعدى بنفسه .

كان سليمان بن أسود فيه ذكورة^(١) وصلابة وتحامل على حاشية
السلطان ، وقلة مداراة لمن لاذ^(٢) بالخليفة من وجوه رجاله ، وأكابر
وزرائه .

قال لي بعض رواة الأخبار ، قال هاشم بن عبد العزيز :
كتب القاضي سليمان بن أسود إلى الأمير كتاباً عرض فيه على
السيف ، وعزل أمية بن عيسى عن المدينة ، وحبس ابن أبي أيوب
القرشي في الحبس .

وكان المعنى في ذلك الكتاب أنه قال للأمير ، فيما خاطبه فيه : إن
ابن أبي أيوب خرج نهاراً بالسيف مشتهراً^(٣) ، فجرح به رجلاً وأخاف
آخرين ، وقد كانت لفعلة هذه نظائر كتبت فيها إلى صاحب المدينة ،
فلم يجمعه عن شره ، ولا أخذ فنه على يده ، ومن قبل ذلك ما كتبت
إليه في عبيد الله بن عبد العزيز ، إذ ظهرت دعارته^(٤) وشره ، فتهاون
بذلك حتى أحدث ما أحدث ، واضطر فيه الأمير إلى ما اضطر .

فذكر الأمير - رحمه الله - بقصة أخي هاشم ، وفيها من
الغضاضة والتوبيخ لهاشم ما فيها ، وشهد بالتقصير على أمية صاحب
المدينة ، وحكى فعل ابن أبي أيوب القرشي ، فأمر الأمير بحبسه .
قال محمد :

ذكر لي أن هاشم بن عبد العزيز كما يد سليمان بن أسود ورام

(١) الذكورة ، بكسر ففتح : الذكورة •

(٢) الأصول : « لاث » •

(٣) مشتهراً : شاهراً •

(٤) الأصول : « دعارته » بالذال المعجمة ، تصحيف ، والدعارة :

الشراصة والسوء •

خديعته في تركة القومس ، ابن أثنين ، فلم ينفذ له عليه من ذلك ما أحب .

وذلك أن هاشم بن عبد العزيز كان محله من الأمير — رحمه الله — محلاً لطيفاً ، فكان الناهض بأعباء الخلافة ، والمتصرف في وجوه النظر ، والمستولى على أسباب التدبير ، لا تنفذ العقود إلا به ، ولا يحكم الأمير إلا على يده ، وكان لا يجد معارضا^(١) ، ولا يعرف لنفسه ملاحياً ، فلما نجم القومس ، ابن أثنين ، وظهر فضل أدبه ، وتولى الكتابة ، واضطلع بالأثقال ، وخاطب ، وفيه ، وعارض في الأمور ، ودسس^(٢) بالرفع^(٣) ، ولم يرض أن يكون تابعاً لغيره ، ولا محتدياً^(٤) لسواه . اشتغل به قلب هاشم ، ونفس^(٥) علمية مكآته ، ورد فكره إلى ضره ومطالبته ، فلما أحس بذلك القومس استشعر الخذر ، فخلق بالحزم .

فبلغ من حذره وحزمه أن محمد بن يوسف بن مطروح كان له صديقاً ، وبه خاصاً ، فطرقه ليلاً ، نخرج إليه قومس ، فخاطبه من وراء الباب ، فقال له : افتح ، فقال : لست بالله أفعل ، ولكن قل حاجتك ، فقال له محمد بن يوسف : إنها من الحوامج التي لا تقال من وراء الباب . قال له القومس : فأخرها إلى الصباح .

فانصرف عنه مغموماً ، إذ أقامه ذلك المقام ، فلم ينم محمد بن

(١) الأصول : « معاوضا » تحريف .

(٢) دسس : دس .

(٣) بالرفع ، أى بما كان يرفعه الى الأمير من أخبار .

(٤) الأصول : « مستحديا » ولا يستقيم بها المعنى ، فالاستحذاء :

طلب العطاء .

(٥) الأصول : « ولبس » ويبدو أنها محرفة عما أثبتنا .

يوسف باقى ليلته ، فلما صلى الصبح غدا إليه ، فأعظمه القومس وأكرمه
وبجمله ، فقال له محمد بن يوسف : الآن ، تكرمنى ، وإذ أتيتك
البارحة لم ترنى أهلاً أن تفتح بابك ؟ فقال له : اعذرنى ، فإننى رجل
مطلوب ، وأنت تعرف من يطلبنى ، وقد أخذت نفسى من الحزم
بما رأيت ، ورأيت أن أجعل تحفظى منك حجة فى التحفظ بمن هو
دونك ، فلا تلبنى . فذكر له حاجته .

فلما مات القومس ، ابن أثنين ، طالب هاشم ورثته بتركته^(١) ،
وأثار الشهادات من كل جانب ، وأقام محتسباً تقدم إلى القاضى سليمان بن
أسود ، فقال له : إن القومس ، ابن أثنين ، مات على النصرانية ، فماله
ليبت المال .

ورفع هاشم أيضاً بذلك إلى الأمير ، وقال له : أنت أحق بماله من
ورثته ، ولكن تأمر القاضى بالنظر فى ذلك .

فأمر الأمير محمد — رحمه الله — سليمان بن أسود ، بالنظر فيه ،
فوقعت عند سليمان شهادات عظيمة كثيرة من وجوه الناس ، وأعلام
العسول : أن قومساً مات على النصرانية ، ولم يتخلف عن الشهادة
بذلك من بياض الناس وفقهائهم إلا الأخص الأقل ، منهم : محمد بن
يوسف بن مطروح ، فإنه كان إذا قعد فى الجامع ، قال على رموس
الناس : من مثل القومس ، السجاد العباد ، حمامة هذا المسجد ، يقال
فيه : مات على النصرانية ؟

ثم ترجع^(٢) .

(١) الأصول : « وتركته » ويبدو أنها محرقة عما أثبتنا .

(٢) ترجع : قال : انا لله وأنا اليه راجعون .

وتعجب النَّاسُ مَنْ شَهِدَ عَلَيْهِ بِذَلِكَ ، وَاتَّصَلَ ذَلِكَ كَاهُ بِالْأَمِيرِ مُحَمَّدٍ — رَحِمَهُ اللَّهُ — فَأَوْصَى إِلَى الْوُزَرَاءِ أَنْ يَبْعَثُوا فِي الْقَاضِي سَلِيمَانَ ابْنَ أَسُودٍ وَيَسْأَلُوهُ عَمَّا ثَبِتَ عِنْدَهُ عَلَى الْقَوْمِ ابْنِ أَتْنِيَانِ ، فَخَضَرَ سَلِيمَانُ بْنُ أَسُودٍ ، فَقَالَ لَهُ الْوُزَرَاءُ : إِنَّ الْأَمِيرَ — أَبَقَاهُ اللَّهُ — أَمَرَ بِالْإِرْسَالِ فِيكَ ، وَأَنْ يَكْشِفَكَ (١) عَمَّا أَقِيمَ (٢) بِهِ عِنْدَكَ مِنْ أَمْرِ الْقَوْمِ ، فَأَخْرَجَ سَلِيمَانَ طُومَارًا (٣) مِنْ كَمِّهِ ، ثُمَّ قَالَ : هَذَا مَا شَهِدَ بِهِ عِنْدِي فِي أَمْرِهِ ، وَلَسْكَنَ يَرْسَلُ إِلَى الْأَمِيرِ فَيَتَصَفَّحُهُ ، ثُمَّ يَأْمُرُ فِيهِ بِمَا يَرَاهُ .

فَأَرَادَ هَاشِمٌ أَنْ يَعْتَرِضَهُ ، فَقَالَ لَهُ : يَا قَاضِي ، الطُّومَارُ كَبِيرٌ ، وَالشَّهَادَاتُ كَثِيرَةٌ ، وَلَيْسَ كُلُّ النَّاسِ يَعْرِفُهُمُ الْأَمِيرُ ، وَلَكِنْ أَقْصِدْ إِلَى أَسْمَاءِ الشُّهُودِ الَّذِينَ قَبْلَتَهُمْ فَادْكُرْهُمْ وَادْكُرْ شَهَادَاتِهِمْ .

كَفَظَنَ سَلِيمَانُ لِمَذْهَبِهِ ، فَقَالَ لَهُ : لَسْتُ أَفْعَلُ ، وَلَا بَدَأَ أَنْ يَرَى الْأَمِيرَ الشَّهَادَاتِ عَلَى وَجْهِهَا .

فَأَرْسَلَ بِالطُّومَارِ بِجَمِيعِ مَا فِيهِ ، فَلَمْ يَسْكَنْ إِلَّا قَلِيلًا حَتَّى خَرَجَ الْفَتَى مِنْ عِنْدِ الْأَمِيرِ ، فَقَالَ لِلْقَاضِي : يَقُولُ لَكَ الْأَمِيرُ : دَعْنِي مِنْ الشَّهَادَاتِ وَطَوْلِهَا ، وَأَخْبِرْنِي بِمَا ثَبِتَ عِنْدَكَ مِنْهَا ، فَقَالَ لِلْفَتَى : قُلْ لِلْأَمِيرِ — أَبَقَاهُ اللَّهُ — لَمْ يَثْبُتْ عِنْدِي عَلَى الْقَوْمِ شَيْءٌ مِنَ الْمَسْكُورِ ، وَجَمِيعَ الشَّهَادَاتِ الْوَاقِعَةِ فِيهِ مَعْلُومَةٌ ، لَمْ يُرِدْ اللَّهُ بِشَيْءٍ مِنْهَا ، فَقَالَ لَهُ هَاشِمٌ : سَبَّحَانَ اللَّهِ يَا قَاضِي ! شَهِدَ عِنْدَكَ ابْنُ قَلْزَمٍ ، وَفُلَانٌ وَفُلَانٌ !

فَقَالَ : الَّذِي صَحَّ عِنْدِي قَدْ أَعْلَمْتُ بِهِ الْأَمِيرَ .

(١) الأصول : « يكشفك » ويبدو أنها محرفة عما أثبتنا .

(٢) الأصول : « قيم » ويبدو أنها محرفة عما أثبتنا .

(٣) الطومار : الصحيفة .

نُجِرَ التَّوْقِيعُ إِلَى الْقَاضِي : اِقْسَمَ مَالُ الْقَوْمِ بَيْنَ وَرَثَتِهِ . فِقْسَمَهُ الْقَاضِي ، وَكَانَ مَالًا عَظِيمًا .

قَالَ مُحَمَّدٌ : ذَكَرَ خَالِدُ بْنُ سَعْدٍ ، قَالَ : أَخْبَرَنِي مُحَمَّدُ بْنُ قَاسِمٍ ، قَالَ : أَخْبَرَنِي عُمَرُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ بَزِيعِ الْقَيْمِيِّ ، قَالَ :

حَضَرْتُ عِنْدَ سَلِيمَانَ بْنِ أَسْوَدٍ ، وَقَدْ أَتَاهُ رَجُلٌ فَتَظَلَّمَ عِنْدَهُ مِنْ سَاحِبِ الْمَدِينَةِ ، فَأَمَرَ سَلِيمَانُ شَيْخًا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنْ أَعْوَانِهِ ، وَذَلِكَ بِالْعَشِيِّ ، فَقَالَ : تَغْدُو فَتَكُونُ فِي طَرِيقِ سَاحِبِ الْمَدِينَةِ ، عِنْدَ مَوْضِعِ جُلُوسِ الْحُرَّاسِ (١) ، فَإِذَا أَقْبَلَ لِلنَّزُولِ نَحْنُ بَعْنَانَهُ ، وَتَأْمُرُهُ عَنِّي أَنْ يَرْتَفِعَ إِلَى ، فَإِنَّهُ تَظَلَّمَ مِنْهُ عِنْدِي ، فَإِنْ رَجَعَ طَوْعًا وَإِلَّا فَاحْمِلِ الْعِصَا عَلَى دَابَّتِهِ حَتَّى تَرُدَّهَا إِلَيَّ كَرهًا .

قَالَ : عُمَرُ بْنُ بَزِيعٍ :

فَغَدَوْتُ مَعَ الشَّيْخِ الْمَأْمُورِ ، فَوَقَفْتُ مَعَهُ فِي طَرِيقِ سَاحِبِ الْمَدِينَةِ حَتَّى أَتَى ، وَمَعَهُ جَمَلٌ (٢) مِنْ النَّاسِ ، قَدْ رَكِبَ رَاكِبًا مَعَهُ ، فَأَخَذَ الرَّسُولُ بَعْنَانَهُ ، فَذَهَبَ سَاحِبُ الْمَدِينَةِ أَنْ يَأْمُرَ بِزَجْرِهِ ، فَقَالَ لَهُ الرَّسُولُ : الْقَاضِي أَرْسَلَنِي فِيكَ بِسَبَبِ رَجُلٍ تَظَلَّمَ عِنْدَهُ مِنْكَ ، فَارْتَفِعْ إِلَيْهِ ، إِنْ شِئْتَ طَوْعًا وَإِنْ شِئْتَ كَرهًا ، فَقَالَ سَاحِبُ الْمَدِينَةِ : بَلِ طَوْعًا . فَانصَرَفَ حَتَّى أَتَى الْقَاضِيَّ وَنَزَلَ عَلَيْهِ ، فَنَظَرَ (٣) فِيمَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الرَّجُلِ الْمُدْعَى عَلَيْهِ بِالْحَقِّ ، فَقَضَى بَيْنَهُمَا بِالَّذِي ظَهَرَ لَهُ ، ثُمَّ انصَرَفَ عَنْهُ .

قَالَ : أَخْبَرَنِي مُحَمَّدُ بْنُ عَمْرٍو بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ ، قَالَ :

-
- (١) الأصول : « الخزان » . ويبدو أنها محرفة عما أثبتنا .
(٢) الجمل ، بضم الجيم : الجماعة .
(٣) الأصول : « ونظر إليه » صوابه ما أثبتنا .

لماعزل يوسف بن بسيل عن شذونة ، قام عليه بعض أهلها في مال
ادعاه في يديه ، فبحث فيه بطابع ، فلما وقف إليه بطابع القاضى زجره
وأمر بضربه ، فجمع سليمان الأعوان ثم بعثهم في يوسف ، فترصدوه ،
فلما خرج أتوا به على عنف ، فلما صار إليه وقفه موقف الحق
بالإقرار والإنكار ، فأبى الاستجابة^(١) إلى ذلك ، فأمر بامتهانه ، فلما
رأى العزيمة من القاضى تسكلم .

قال خالد بن سعد : وأخبرنى ثقة من أصحابنا ، عن رجل فاضل
قديم ، كان اسمه أحمد بن خالد ، وكان قد أدرك القاضى سليمان
ابن أسود :

أن رجلا طالب رجلا عند سليمان بن أسود ، وهو عبد الملك بن
العباس القرشى ، فوقفه سليمان موقف الإقرار والإنكار ، فأبى
ذلك^(٢) ، فعزم القاضى على امتهانه ، فقام الناس إلى عبد الملك من كل
جانب ، وقالوا : اتق الله على نفسك وشرفك ، وصن عرضك ، فإنك
إن لم تفعل نفذ فيك ما أمر به ، فكانت سبة عليك وعلى عقبك . فلما
رأى ذلك قال : اشترت ، قال له القاضى : أثبت عندى أنك اشترت .
قال محمد :

وهذا قول بعض أهل الفتيا في العمال المعروفين بالغصب
والتعدى .

قال محمد : أخبرنى من أثق به من أهل العلم ، قال : سمعت الوزير
أبا مروان عبد الملك بن جهور يحكى ، قال :

(١) الأصول : « من الاجابة » ويبدو أنها محرقة عما أثبتنا .

(٢) الأصول : « من ذلك » والفعل يتعدى بنفسه .

كانَ الفقيه ابن الملون يعنىَ بأسباب الوثائق ، وكان حسنَ الفطنة فيها ، لطيف الحيلة في أبوابها ، وشنع عليه أرباب الفجور والتدليس فيما يعقد منها ، فطلبه سليمان بن أسود ، نخافه ابن ملون على نفسه ، فتواري عنه ، وقصد الوزير محمد بن جمهور ، فسكنفه وآواه .

قال : ثم أرسل الوزير محمد بن جمهور أخاه إلى القاضى يسأله فيه ، ويذكر له ما انعقد بينه وبين ابن الملون من الأذمة^(١) الموجبة للطلب إلى القاضى ، فكان جواب القاضى أن قال : لا بدَّ من تنفيذ الحقِّ عليه فيما بلغنى عنه ، وقد بلغنى أنه في دار الوزير محتف منسى ، ولم يصحَّ ذلك عندى ، فتى صحَّ أرسلت من يدخل داره ويخرجه منها .
قال : فشغل بنفسه ، وكان لا يطمئن أن يدهه في داره حتى ينقل عنها إلى بعض مواضعه الخارجة عن الدار .

قال محمد : قال لى ابن عمر بن عبد العزيز :

أخبرنى شيخٌ من أهل إشبيلية ، يسمى ، هاشم بن رزين ، قال : كنت يوماً في موكب^(٢) محمد بن موسى الوزير ، وهو يومئذ أعظم وزراء الأمير محمد وأقربهم محلاً منه ، فلما حاذى الجامع خرج إليه ابن عمِّه زوج ابنته ، فقال له : القاضى جالسٌ في المسجد ، وهذا طابعه ، وهو يأمرُك بالنزول إليه ، فقال : سمعاً وطاعةً ، وثنى رجلاً ونزل ، فلما توسط باب المسجد بدر إليه من حضر من القومة^(٣) ، فقال لهم : تمقدوا إلى أحد الخصوم ، واستقبل القبلة فركع ركعتين ، فلما سلَّم وجد

(١) الأذمة : جمع ذمام ، وهو العهد .

(٢) الأصول : « فى مركب » تحريف .

(٣) القومة : هم الذين يقومون بتنفيذ أمر السلطان ، ولعلها جمع

قائم .

القَوَمَةَ قَدْ أَحْضَرُوهُ رَجُلًا^(١) مِنَ الْخِصُومِ ، فَقَالَ : أَنَا أَشْهَدُكُمْ أَنِّي قَدْ وَكَلْتَهُ عَلَى مَنَازِرَةِ ابْنِ عَمِّي ، فَفَلَجَ ابْنُ عَمِّهِ فِي تَقْدِيمِهِ إِلَى الْقَاضِي ، وَأَنْ يُوقِفَهُ مَوْقِفَ الْإِقْرَارِ وَالْإِنْكَارِ ، فَوَبَّخَهُ النَّاسُ وَقَالُوا : قَدْ أَنْصَفَكَ إِذْ وَكَلْتَ مِنْ يَنَظُرُكَ ، فَانْكَسَرَ ، وَخَرَجَ الْوَزِيرُ فَرَكَبَ .

قال محمد بن سعد : ذكر خالد بن سعد ، قال : كان محمد بن عمر بن لبابة يحدث ، قال :

كنتُ جالساً عند القاضي سليمان بن أسود ، فجاءه رجل يخاصم ختنته ، زوج ابنته ، وكانت الابنة في ولاية الأب ، وكان الزوج ساكناً معها في دارها ، فطلب الأب من الزوج أن يرحل الابنة من دارها ، وأن يسكرها فتنفع بكراتها^(٢) ، فقال سليمان بن أسود للزوج : ألك دار ؟ فقال لا : وصدقة أبو الجارية ، فقال القاضي لأبي الجارية : ولا كرامة لك أن تخرج ابنتك من دارها إلى دار مع زوجها ، فتمشى بفراشها إلى عنتقها من دار إلى دار ، فتهتك سترها ، ليس هذا من حسن النظر لها .

فكان ابن لبابة يعجب به ذلك من قضاء سليمان .

قال :

وكان محمد بن عمر بن لبابة يقول : حضرت سليمان بن أسود يقضي بها ، على الاستحسان لها من قضاء سليمان .
ومن ذلك : أن أحمد بن خالد ، أخبرني : أنه سمع محمد بن عمر بن لبابة ، يقول :

(١) الأصول : « أحضروه برجل » وهذا الفعل مما يتعدى الى اثنين .
(٢) الكراء ، بالكسر : أجر المستأجر .

حضرت وقد خاصمَ إليه رجلٌ في فُرنٍ بناه صاحبه، فأضَرَ الدُّخانُ به وبالجيران — وهذه المسألة يقول ابنُ قاسمٍ: إن ذلك من الضرر الذي يجب قطعه ولا يُباح اتّخاذه — فقضى سليمانُ بنُ أسودٍ بغير ذلك. أن يجعل أنبوباً في أعلى الفُرنِ، فيخرج الدُّخان من أعلاه، فلا يضُرُّ ذلك بمن جاوره .

فكان محمد بن عمر يُفتي بهذا، ويحمل الناس عليه، فيما أخبرني أحمدُ ابنُ خالد .

قال محمد :

أحسبُ سليمانَ بنَ أسودٍ رأى تلك الصَّنعةَ، أو بلغتُه عن أفران المشرقِ، فإنَّها مصنوعةٌ على تلك الشَّاكلة التي ذُكرَ، فاستحسن ذلك، فأمر بامتثالِه بالأندلس .

قال خالدُ بنُ سعدٍ، وأخبرني بعضُ مشايخنا من أهل العلم :

أن القاضي سليمانَ بنَ أسودٍ أرسل في عبد الله بن خالدٍ ليشهدهُ في كُتُبِ الأمير — رحمه الله — فأبى ابنُ خالدٍ أن يقومَ إلى القاضي، فكُتِبَ سليمانُ بنُ أسودٍ إلى الأمير — رحمه الله — يُكثِرُ على عبد الله ابنِ خالدٍ ويصفُ ثنائُقله، وكتبَ عبدُ الله بنُ خالدٍ إلى الأمير محمد في سببِ القاضي سليمان، فوَقَّعَ الأمير في بطاقة سليمانَ بنَ أسودٍ: نحنُ أحقُّ من عظيمِ العلمِ وأهله، فإذا أردتَ أن يشهدَ في كُتُبِنَا فأجلسْ إلى الفقيه عبد الله بن خالد .

قال محمدُ: وذكر لي غير واحد من أهل العلم :

أن سليمانَ بنَ أسودٍ كانت فيه دُعابةٌ تليقُ به، وتحسنُ منه، وحوكوا عنه في ذلك حِكَاية حُفِظت عنه في مجلسِ حُكْمه، وذلك أنه كان في وقتِه

رجل من العدول ، يعرف بابن عمار ، كان يختلف إلى مجلس القاضى ويلتزمه ، ولا يقوم عنه إلا بقيامه ، وكانت لابن عمار بعة^(١) هزيلة^(٢) تلوك لجامها طول النهار على باب المسجد ، قد أنضاهها^(١) الجهد ، وغيرها الجوع ، فتقدمت امرأة^(٣) إلى القاضى ، فقالت له بالعجمية : يا قاضى ، انظر لشقيتك هذه ، فقال لها بالعجمية : لست أنت شقيتى ، إنما شقيتى بعة ابن عمار التى تلوك لجامها على باب المسجد طول النهار .

قال محمد^(٤) ، قال محمد بن عبد الملك بن أيمن :

كان بعضُ فقهاء البلد ، وهو فلان بن فلان ، وذكر رجلا عظيم القدر ، قد أخذ من رجل هدية ، على حسن المعونة ، جبة خضراء ، ف شعر بذلك^(٥) خصم المهدي ، فأعلم سليمان بالقصة ، وجعل الشيخ الفقيه ، بصحة المذهب ، وسلامة الضمير ، يلبسها فى المحافل ، فقال سليمان لخصم الرجل صاحب الجبة : إذا رأيت الشيخ وعليه الجبة واقف^(٦) عليك ، فقل : يا قاضى ، ليس الشيخ يكلمك إنما تكلمك الجبة التى عليه ، فإنك إذا فعلت ذلك خرجت عليك وأمرت بسجنك ، فلا يلينك ذلك عن قولك .

فجعل انهم ما أمره به القاضى ، فاستجيا الشيخ وانقلب خجلا .

قال لى أحمد بن عبادة الرُّعينيُّ :

أخبرنى من سمع سليمان بن أسود القاضى ، وهو يقول لمؤذنى الجامع : إذا حضر وقت الصلاة فلا تؤخروها عن وقتها ، وإن أحسستم أنى نزلت عند باب الصومعة فلا تنتظرونى . وأقيموا الصلاة وصلوا .

(١) أنضاهها : أكدها وهزلها .

(٢) الأصول : « لذلك » ، والمعنى به يختلف ، يقال : شعر له ، اذا قال شعرا . وشعر به اذا أحس .

(٣) الأصول : « وأفتى » ويبدو أنها محرفة عما أثبتنا .

قال محمد:

ثم عزل الأمير محمد بن عبد الرحمن قاضيه سليمان بن أسود عن القضاء ، وأعاد عمرو بن عبد الله .

قال محمد: قال لي أحمد بن عباد ، قال لي أبو صالح بن سليمان :

أول من شاورني من القضاة سليمان بن أسود .

قال محمد :

واختلف في عزلة^(١) سليمان بن أسود الأولى كيف دارت ؟ ولأى شيء كانت ؟

فأما خالد بن سعد ، فذكر أن عبد الله بن يونس أخيره :

أنَّ الأمير — رحمه الله — أمر بعض الوزراء بالإرسال في القاضي سليمان بن أسود ، وأن يتكلمَّ معه في دار كانت ليقيم ، كان في نظر القضاة^(٢) ، أحبها الأمير لبعض ولده ، فأرسل الوزير من نظر إلى الدار وقومها ، ثم بعث في سليمان بن أسود ، وأعلمه بما أحب الأمير من شراء تلك الدار ، بما قومها المقومون ، فقال له سليمان : لست أبيع نقضها^(٣) بهذا الثمن فكيف الدار جميعا ؟ وسأل القاضي للقيم أضعاف تلك القيمة ، فأنهى ذلك الوزير إلى الأمير ، فأمر الأمير — رحمه الله — بالكف عن شراء تلك الدار .

وكان ذلك الوزير يشنأ سليمان ويلوم^(٤) عليه عند الأمير من قبل ، فلا يضره بكبير شيء ، فلما امتنع من بيع الدار ، أمكنته الفرصة ،

(١) الأصول : « على في عزلة » .

(٢) في نظر القضاة ، أي في طلب الحكم .

(٣) النقض ، بالكسر : ما نقض من البناء وهدم .

(٤) الأصول : « ويكدم » ويبدو أنها محرفة عما اثبتنا .

فجعل يذكر للأمير تقيصته^(٥) ، ويذكره بما كان يصفه له ، فلم يزل بذلك حتى ثقل على نفس الأمير ، فأمر بعزله .

وحكى أحمد بن عبد الملك ، قال :

لم يزل سليمان قاضياً في الدولة الأولى ، إلى أن خرج الأمير غازياً سنة ستين ، فخرج القرشي عمرو بن عيص مشيعاً له ، وشاكياً سليمان بن أسود في كل محلة ، حتى انتهى [إلى]^(٢) قلعة رباح^(٣) ، فكتب الأمير محمد - رحمه الله - إلى أمية بن عيسى ، صاحب المدينة يومئذ ، يأمره بعزل سليمان عن القضاء ، وأن يبعث إليه أربعة من عدول قرطبة يقبضون الديوان منه ، ثم يجعله في بيت الوزراء ، فنعل ذلك أمية ابن عيسى .

فلما قدم الأمير - رحمه الله - صرف عمرو بن عبد الله إلى القضاء .

(١) الأصول : « بغضته » ويبدو أنها محرقة عما أثبتنا .

(٢) تكملة يقتضيها السياق .

(٣) رباح ، بفتح أوله وآخره حاء (معجم البلدان : ٢ : ٧٤٧) .

ذكر القاضي
عمرو بن عبد الله
للمرة الثانية
وكان ذلك في سنة ستين ومائتين

قال محمد :

ذكر أبو عبد الله محمد بن عبد الملك بن أيمن ، فيما حكى
ابنه عنه :

أنه لما عزل سليمان بن أسود خاض الناس فيمن يلي بعده .
قال : فأخبرني من سمع عمرو بن عبد الله يقول في تلك الفترة ، وهو
قاعد على باب داره : القضاء ! القضاء ! قل لمن شاء الله يليه ، والله
لا أفلح فيه .

قال : ثم ولاه الأمير محمد - رضى الله عنه - القضاء .

فأخبرني بعض أهل العلم ، قال :

لما ولي عمرو بن عبد الله المرة الثانية ، استخرج^(١) إلى سليمان بن
أسود ، وتعقب عليه بعض أقضية ، ونظر عليه نظراً وقعه به موقف
الضيق ، فنصح عمر آ في ذلك بعض إخوانه ، ونهاه عن الاستفساد^(٢)
مع سليمان ، فأبى ، وتمادى عليه ، ثم انقضت تلك الأمور ، وخلص
سليمان من مضايقة عمرو بن عبد الله .

(١) كذا .

(٢) الاستفساد : العمل على الفساد .

وأخبرني من أثق به من أهل العلم ، قال :
لما ولى عمروُ المرَّةَ الثانيةً ، تنكرت أحواله وتغيرت سيرته ، وكان
السبب في ذلك أن كبر بنوه ، وغلب عليه ولده ، المسكنيُّ بأبي عمرو ،
فحشت إليه التحف ، ودخلت عليه الهدايا .

حكى لي بعض رواة الأخبار ، قال :

جلس أبو عمرو - ولد القاضى عمرو بن عبد الله - يوماً في مجلس
أبيه في حفل من الناس ، فقال لبعض أهل السوق ، ممن كان في المجلس :
أحببت أن أشتري لزمة^(١) محببة حسنة لفرس اكتسبته ، فانظر لي فيها .

قال : فما أمسى الليل من ذلك النهار ، إلا وفي بيته سبع عشرة لزمة^(١) ،
هدايا كلها .

وكثرت القالة في ولده أبي عمرو ، ونسب إليه تدليس في الديوان في
مال مستودع ، سنذكره مفسراً ، إن شاء الله ، على ما ذكره
الواصف له .

وقال في ذلك الوقت مـ من بن سعيد الشاعر :

لَعَمْرِي لَتَقْدَ أُرْزَى بَعْمَرٍ وَأَبُو عَمْرٍو
وَمِثْلُ أَبِي عَمْرٍو بَوَالِدِهِ مُبْزَرِي
وَقَدْ كَانَ عَمْرُؤُ مَيْسَتَضَاءُ بُشُورِهِ
فَأَضْحَى أَبُو عَمْرٍو كَسُوفاً عَلَى السَّبْدِ
وَمَا عُرِفَتْ مِنْ عَمْرٍو النَّدْبِ سَوْمَةٌ
سِوَاهَا وَهَلْ تَنْجُرُ الْعِتَاقُ مِنَ النَّعْشِ

(١) كذا .

قال محمد :

واختلف الناس في السبب الذي عزل به عمرو مرة الثانية ،
ف قيل لى :

إن هذه الثلاثة الأبيات ، التي قالها مؤمن ، لما سمعها الأمير - رحمه
الله - قال : قد أكثر الناس في عمرو ، وفي ولده ، فعزله حينئذ .

وقيل : إن هاشماً كان يستثقله ، بسبب ما تقدم له من التحامل على
بقي بن مخلد ، فسعى في عزله .

وذكر أحمد بن عبد الملك : أن عمروا كان قاضياً في المرة الثانية ،
من سنة ستين ، إلى أن غزا وليد بن هاشم في سنة ثلاث وستين ، إلى
أرض الحرب ، الغزاة التي تعرف بغزاة البربر ، فغزا القاضى عمرو تلك
الغزاة ، فلما قدم لم يؤمر بالنظر ، وكان الرّسم حينئذ إذا غزا القاضى ثم
قدم ، لم ينظر حتى يعهد إليه بالنظر ، فأقام الناس يومئذ نحواً من ستة
أشهر ، لا قاضى لهم ، ثم أعاد الأمير - رحمه الله - سليمان بن أسود إلى
القضاء ثانية ، وذلك في سنة ثلاث وستين ومائتين .

ذكر القاضى
سليمان بن أسود
المرّة الثانية
وكانت ولايته هذه في سنة ثلاث وستين ومائتين

قال محمد :

ثم ولى سليمان بن أسود المرّة الثانية ، فتعقب على عمرو بن عبد الله ، وكافاه بمثل ما فعل به عمرو من قبل ، وتصفح الديوان فأصاب فيه ذكر مال عظيم ، نحو عشرة آلاف دينار ، وكان ثلثاً أوصى بتفرقة رجل من التجار ، يعرف بابن القضيبي ، وكان موقوفا على يدى بعض العدول ، فأرسل سليمان فى الرجل العدل . الموقوف على يديه المال ، فقال له : أحضرنى المال . فقال له الرجل العدل : كان المال على يدى وقتاً طويلاً ، ثم قبضه منى القاضى عمرو بن عبد الله ، إذ كان قاضياً ، وأبرأنى منه ، فقال له سليمان : أقم البينة على ماتقول . فأتاه بصحيفة فيها براءة من عمرو بن عبد الله ، إذ كان قاضياً ، للرجل من المال ، وأقام عليه ستة عشر شاهداً من الناس . فكاشف^(١) عمرو بن عبد الله عن ذلك ، فأنكر القبض ، وكذب الشهود ، وزعم أنها حيلة احتيلت فيه ، ودائرة أدبرت عليه ، ووقف^(٢) سليمان على الحكم عليه بالمال ، فاستعاذ عمرو بالأمير محمد - رحمه الله - ورفع إليه فى ذلك متنصلاً بما قذف به .

(١) الأصول : « فكشف » .

(٢) كذا : ولعلها ووافق .

فـيـكـي لى بعض أهل العلم ، قال : أخبرنى رجل كان خاصاً بعمرو بن عبد الله ، قال :

إني لقيت مع عمرو ، حين أتاه من لدن الأمير محمد فتى من أصحاب الرسائل ، فسأله أن يدخل معه في بيته ، فقام معه عمرو وأدخله إلى بيته ، فأقام معه ساعة ، ثم خرج الفتى عن عمرو ، فلما خرج استأذنت على عمرو ، فأذن لى ، فدخلت عليه ، فوجدته واجماً مطرقاً ، فقلت له : ما الذى أتاك به الفتى ؟ قال : فسكت عنى ساعة ، ثم أنشأ يقول :

تَضْحَى عَلَى وَجَلٍ تَمْسَى عَلَى وَجَلٍ
مُكَلِّ الشَّرَابِ وَلَا تَعْمَلُ كَهْمِ عَمَلًا

ثم قال : أتانى الفتى بمصحف فى كفه ، وأمرنى أن أحلف لى بربى من المال ، خلقت .

قال : فأبرأه الأمير محمد - رحمه الله - من أمره ، وأمر أن يعرّم ورثه القصيبى ثلثاً ثانياً بما فى أيديهم من المال ، فعرّموه بعد أن كانوا أنفقوه .

فقل لى : إنه كان سبب فقرهم .

قال محمد : وذكر أحمد بن محمد بن عبد الملك :

أنه كان فى الديوان مال عظيم ، موقف عند بعض العدول ، فمات ذلك العدل ، فعامل أولاده أبا عمرو - ولد عمرو بن عبد الله - على أن يقسموا ذلك المال ، ويأخذ أبو عمرو أكثره ، على أن يقتلعه من الديوان ، وكان الديوان يومئذ لاشهود عليه ، إنما ذكره فى دفتر مطلق ، فاققسموا المال ، وغفل أبو عمرو عن قلعه حتى عزل عمرئو ، فوجده سليمان فى الديوان مذكوراً ، فدارت بين القاضيين : سليمان ، وعمرو ، أحوال

شنيعة^١ ، ثم آل الحال في ذلك إلى أن شاور الأمير - رحمه الله - الفقهاء ، فأشاروا بتحليف عمرو ، غير بقی بن مخلد ، فإنه قال : إن اتصل ببنی العباس أنا نختلف قضائنا كان ذلك من أعظم ما نعاب به عندهم . فاستحسن الأمير قول بقی بن مخلد ، وأوصل^(١) إلى عمرو أن يكتب إليه بيمينه في السر ، ففعل .

قال : وكان بما يحتج به عمرو على سليمان ، عند اجتماعهما بمحضر الوزراء ، أن يقول : لو دلت في هذا المال لما أبقيت ذكره في الديوان ، فكان سليمان يقول : بخذلان الله تركته .

وكان عمرو ، فيما يقول أهل العلم والمعرفة في الزمان ، مبرأ من ذلك منزهاً ، سيما أنه لم يزل النعم يسرى في قلبه ، ويعمل في نفسه ، حتى أخذه ذهول أخرجه عن حده ، حتى إنه لقد كان يخرج إلى الزقاق حاسراً ، بعد تلك المروءة الكاملة ، والنزاهة العظيمة .

قال خالد بن سعد : حدثني أبو العباس وليد بن إبراهيم بن لبيب ، قال :

أتيت عمرو بن عبد الله ، وقد عزل عن القضاء ، وكان الذي سعى في عزله هاشم بن عبد العزيز ، من أجل بقی بن مخلد ، إذ كانت الشهادات على بقی عنده ، وكانت له شهوة في إنفاذ ما شهد به على بقی ، فلما عزل ولّد عليه هاشم أشياء غمته ، فخولط في عقله من أجل ذلك .

قال وليد :

قال لي عمرو بن عبد الله ، قبل استنحكام ذلك الذهول فيه : يا بني ، ما يتمنى منه الموت ، أشد من الموت ، ولوددت أني قد مت .

(١) الأصول : « وأوصى » .

قال خالد بن سعد :

سمعت أسلم بن عبد العزيز ، وقد نزل من القصر بالعشي ، فأتاه بقی بن مخلد ، فخرج عليه هاشم وعنفه . وقال له : مه ، والله ما كانت بيني وبين عمرو حالة موجبة لعداوة ، ولا سعيت في عزله عند الأمير ، إلا من سببك ، ولما أراه يفعل (١) بك ، فعلت ذلك لله ، عز وجل ، فأنتيت أنت اليوم فأنتيت في أمره بفتيا هدمت علينا ما كنا بنينا في أمره ، وخالفت جميع أصحابك من الفقهاء .

قال أسلم :

وكان هاشم قد أرسل في الفقهاء قبل ذلك واستفتاهم في مسأله ، فأوجبوا فيها اليمين على عمرو بن عبد الله في مقطع الحق ، من أجل مال يتيم كان قد أودعه عند بعض من أودعه ، وقال : لست أحفظ عند من أودعته ، فأقى أهل العلم أن يحلف في ذلك ، ولم يرسل أخى هاشم في بقی بن مخلد ، من أجل ثقته به ، وظن أنه لا يخالف أصحابه في الفتوى ، لاسيما أن الحاجة كانت لبقی ، إذ كان عمرو بن عبد الله عدوه ، فاجتمع الفقهاء في بيت الوزراء فأفتوا باليمين ، وأتى بقی بن مخلد في آخرهم ، فقال : لا يمين عليه ، لأن القضاة أمرهم على السلامة حتى يثبت عليهم غير ذلك ، والأمير ، إذ قدمه ، إنما قدمه وهو عنده من أهل العدل .

فلما رفعت الآراء إلى الأمير محمد أمر أن يؤخذ في أمر عمرو بفتيا بقی بن مخلد .

فلما عدد أخى على بقی فعله ذلك بحضرتي ، قال له : أصلحك الله ، كنت ترضى لشيخ مثل أن يفتي على عدوه بغير ما يعتقد من الحق ، والله ما أفتيته في أمره إلا بما اعتقدت أنه الحق ، فلا تلبنى .

(١) الأصول : « أن يفعل » .

قال أسـلم :

ومكث أخى هاشم بعد ذلك عاتباً على بقی بن مخلد نحو الشهرين ، ثم أسقط معاتبته في ذلك .

قال محمد :

ثم استمر سليمان بن أسود على القضاء ، بعد عمرو بن عبد الله في المرة الثانية ، حتى أخذت منه السن وظهر فيه الهرم^(١) ، فرفعت بطاقة إلى الأمير محمد - رحمه الله - على لسان عمرو بن عبد الله ، يقال فيها : إن سليمان بن أسود كبرت سنه ، وضعف بدنه ، ولا طاقة له على القضاء .

فأمر الأمير - رحمه الله - الوزراء أن يعشوا في سليمان ، وعمرو ، ويسأل عمرو عن البطاقة ، إن كان هو^(٢) رافعها ؟ ويسأل سليمان عما يحدث في بدنه من القوة على القضاء .

فأحضر الوزراء إلى أنفسهم الرجلين ، جلسا ، وكان عمرو بن عبد الله وقوراً ساكناً متشاقلاً ، وكان سليمان في ضد هذه الصفة ، كانت به هشاشة وحركة ، وخفة بدن ، فأخرج الوزراء البطاقة ، ثم قرئت على عمرو ، وقيل له : أنت رافعها إلى الأمير ؟ فقال : أعوذ بالله ، ولا والله ما كتبتها ، فقال له سليمان : إن كنت لم تكتبها أبا عبد الله فقد أملتها ، فقال : لا والله ، ولا أملتها ، ولا علمت بها ، فقال له سليمان : إن كنت صادقاً في نفسك فصاحب البطاقة ولدك أبو عمرو ، واستطال عليه سليمان في اللفظ ، فأطرق عمرو بن عبد الله ، واستعمل الحلم ، والأخذ بالفضل ، فقال له سليمان : وتتغافل أيضاً وتتحم كآنا لا نعرفك ؟ فقال عمرو :

(١) الأصول : « الهدم » ويبدو أنها محرقة عما أثبتنا .

(٢) الأصول : « هذا » .

حسبنا الله ! حسبنا الله ! ثم وضع يديه جميعاً في الأرض ليقوم ، فوثب سليمان إلى عمرو بخفة بدنه وهشاشته ، فمدَّ يده إليه ، ثم قال له : هات يدك أبا عبد الله لتقيمك ، فنظر إليه عمرو ثم رجع واستوى جالساً ، وقال : الله المستعان ، الله المستعان ، الله المستعان ، ثم افترقا .

قال محمد : قال لي أبو عبد الله محمد بن عبد الملك بن أيمن :

مرض سليمان بن أسود مرضة أشنى فيها على الموت ، وكان حينئذ صاحب الصلاة ، وكان إبراهيم بن قلزم مترشحاً^(١) للصلاة ، وكانت له ناحية من هاشم^(٢) ، فأتاه يوم خميس ، فقال له : قد تعلم ما فيه سليمان ، وغداً الجمعة ، فكتب هاشم إلى سليمان بن أسود يسأله إن كانت به نهضة للصلاة بالناس ، وإلا فيعلم بذلك لينظر فيمن يقوم بالخطبة والصلاة ، فكتب سليمان إلى هاشم : أنا متخفف ، وفي أكثر من نهضة ، فلما كان من الغد تحامل ، وأتى يتهادى بين اثنين حتى خطب بكلمات مختصرة .

قال محمد :

وسمعت بعض رواة الأخبار يحكي عن سليمان وابن قلزم في الصلاة حكاية مستطرفة ، قال :

كان سليمان بن أسود يعلم شدة شهوة ابن قلزم في الصلاة ، وترشحه لها ، فلم يشعر سليمان يوماً من أيام الجمعة في ضحى النهار حتى استأذن عليه ابن قلزم للدخول عليه ، فحضرت لسليمان فيه حيلة^٣ ، فقال لغلامه : أخرج إليه وأنت تبكي ، وقل له : مولاي في الموت ، ثم أدخله عليّ من بعد ، ثم اضطجع سليمان ، وسجى على نفسه ، وجعل يسوق النفس ،

(١) مترشحاً : متهيئاً .

(٢) كذا . ولعله يريد أنه كان مقرباً إلى هاشم .

كما يفعل من احتضر ، فدخل ابن قلزم ، فتوجع واستعبر ، ثم خرج من فوره ذلك إلى هاشم ، وقال : سليمان يحشرج للموت^(١) ، وما أظنه يبلغ وقت الجمعة حتى يموت ، فتدارك بالكتاب إلى الأمير - أبقاه الله - فإن المقام في ضيق الوقت صعب ، فقال له هاشم : أنت رأيته بهذه الحال ؟ فقال : نعم ، هذا خروجي من عنده إليك ، فقال هاشم : ما بعد هذا شيء ، ثم وضع يده فكتب إلى الأمير يخبره أن ابن قلزم أتاه وحكى له أنه دخل على القاضى سليمان وهو يحشرج ، وقد ضاق الوقت ، فليستظر الأمير - أبقاه الله - في ذلك ، ففكر الأمير - رحمه الله - سادة ، وكان من الكمال بحيث ما عرفت الخاصة والعامة ، فوقف على أن ابن قلزم كان يشتهى الصلاة ، ولم يسمع لسليمان قبل تلك الساعة بعلة ولا مرض ، فأدرك بنظره ما لم يدرك هاشم ، وعلم أن في الخبر دخلاً^(٢) ، فقال لفتى من وجوه فتياه : اذهب الساعة وادخل على القاضى وانظر حالته وما هو عليه ، فإن وجدته يتكلم ويبين عن نفسه ، فأسأله إن كانت به طاقة على الخطبة والصلاة اليوم ؟

فأتى الفتى فدخل على سليمان ، فوجده جالساً جلوس الصحة ، فذكر له الأمر وأعلمه ببعض الخبر ، فقام سليمان من مقعده ذلك في حضرة الفتى وجلس على كرسي ، وأمر أن يوثق بالماء يتوضأ ، فتوضأ ، ولبس ثيابه ، وخرج مع الفتى راجلاً إلى الجامع ، ورجع الفتى إلى الأمير ، فأدله بالقصة على وجهها .

فقال له الأمير - رحمه الله : لقد طيب^(٣) سليمان في ابن قلزم ، ولعب به كيف شاء ، ثم ضحك على ذلك ضحكا عظيماً .

(١) الأصول : « الموت » ولا يستقيم بها الكلام .

(٢) الدخل ، محركة : الفساد والعييب .

(٣) كذا ، يريد وقع فيه .

قال محمد :

وكان سليمان قويًّا جلدًا ، حديد النفس ، مع كبرة السنِّ ، وكان يروح إلى الجامع راجلا من داره .

قال محمد بن عبد الملك بن أيمن : أخبرني بكر بن حماد القسام ، وكان جارا لسليمان ، قال :

خطرت عليه آخر جمعة عاشها ، فركبته للرواح معي إلى الجامع ماشيا ، ثم انصرفنا ، وذلك في دولة الأمير عبد الله - رحمه الله - والقاضي حينئذ النضر بن سلبية .

قال محمد :

وأقام سليمان في قضائه الثاني عشرة أعوام ، من سنة ثلاث وستين إلى سنة ثلاث وسبعين ، وتوفي في ذلك العام الأمير محمد - رضوان الله عليه ورحمته - وكان الناس يذكرون موت الأمير من غير أن يصح ذلك عنه عندهم ، حتى خطب سليمان بن أسود ، فلما بلغ ذكر الدعاء له خنقته العبرة ، فنعاه بذلك إلى الناس ، فأيقنوا بموته .

ثم ولى الأمير المنذر - رحمه الله - فأقر سليمان بن أسود على القضاء .

قال لي أبو محمد قاسم بن أصبغ البياني :

أقام سليمان بن أسود قاضيا في خلافة المنذر نحو أربعين يوما ، ثم عزله المنذر ، وولى أبا معاوية .

قال محمد :

وما أحسب أنه كانت لعزل^(١) سليمان المرة الثانية عن القضاء علة غير كبر السنِّ ، وظهور الهرم^(٢) .

(١) الأصول : « لعزلة » .

(٢) الأصول : « الهرم » تحريف .

قال بعض أهل العلم :

كان سليمان بن أسود ، صنيعاً للأمير عبد الله - رحمه الله - قبل ولايته ، فكان سليمان يستبطئ تيام دولته طمعاً في العودة ، فلما ولي وأغفله ، جعل سليمان ينشد في بعض مداخله عليه مع جملة الفقهاء للاشهاد :

لَمَّا بَلَّغْنَا السَّيِّ كُنْتَا نُرْمَلُمَا

صِرْنَا مُشْهُوداً [كَأَنَّا] (٣) مِثْلُ غِيَابِ

قال محمد : أخبرني بعض أهل العلم ، قال :

دخل ناسٌ على سليمان بن أسود ، في الشهر الذي مات فيه ، فسألوه عن عمره ، فسكت عنهم ساعة ، ثم دعا خادماً له ، فأتته ، فأمرها أن تأتية بنفليجة (٢) كانت عنده ، فأتته بها ، فاستخرج منها صحيفة ، فرماها إلى القوم ، وقال : اقرءوا ، فقرأ القوم الصحيفة ، فإذا فيها كتاب من عند الأمير هشام بن عبد الرحمن إلى قاضيه على جهة الجوف ، فخص البلوط وما يليه من تلك الجهات ، أسود بن سليمان ، يأمره فيه بقبض الصدقات عند وجوبها ، وتفريقها على وجوبها ، على ما فسر في ذلك الكتاب .

وفي آخر الكتاب مكتوب بخط القاضي أسود بن سليمان : ولد سليمان ابن أسود - أمتع الله به - يوم كذا ، من شهر كذا .

فعد القوم ، من وقت المولد الذي ولد فيه إلى وقتهم الذي كانوا فيه ، تسعة وتسعين عاماً وعشرة أشهر .

فقال لهم سليمان : إن عشت شهرين أتممت مائة عام .

فمات في ذلك الشهر قبل أن يتم المائة العام (٣) .

(١) بمثل هذه التكملة يستقيم الوزن .

(٢) كذا . ويبدو أنها من مستعمل أهل الأندلس ، ومعناها في

الترجمة الأسبانية : محفظة للخرطوش .

(٣) الأصول : « عام » .

ذكر القاضى عامر بن معاوية اللخمي

قال محمد :

لماولى المنذر الخلافة - رحمه الله - رأى الاستبدال بسليمان ، فاستشار الوزراء ، فأشاروا بزياد بن محمد بن زياد ، فعرض المنذر القضاء على بقی بن مخلد ، فلم يقبله ، فاستشاره فى زياد بن محمد بن زياد ، فقال له : نعم الحديث ، فسأله أن يشير عليه ، فأشار عليه بأبى معاوية اللخمي ، وهو عامر بن معاوية بن عبد المسلم بن زياد بن عبد الرحمن بن زهير بن ناشرة بن لوذان اللخمي ، فقبل المنذر - رحمه الله - منه ، وولاه قضاء الجماعة بقرطبة .

فقال (١) :

حدثنا خالد بن سعد ، قال : سمعت عبد الله بن يونس ، يقول : كان الحبيب بن زياد خاصة لبقى بن مخلد ، وكان رجاً فى أيام الأمير المنذر - رحمه الله - أن يشير به لقضاء قرطبة ، فلما شاوره الأمير ، وأشار عليه بأبى معاوية ، أتى الحبيب بن زياد إلى بقى بن مخلد فعاتبه فى ذلك ، فقال له بقى : لا تلنى فيما فعلت ، فإنى إنما أشرت بمن هو عندى أفضل منك ، فسكت عنه الحبيب بن زياد .

قال محمد : قال لى أبو عبد الله محمد بن عبد المالك بن أيمن :

(١) فقال : يعنى محمداً .

كان أبو معاوية اللخمي من بني زياد ، وكان مسكنه برية^(١) ، وكانت له رحلة في أيام عبد الرحمن بن الحكم — رحمهما الله — سمع فيها من سحنون بالقيروان ، ومن أصبغ بمصر ، ومن غيرهما ، وكان من أهل الرواية ، لا بأس به ، وقد سمعت منه وكتبت عنه .
قال محمد :

وعنه كانت تروى في ذلك الزمان : آداب القضاة ، من تأليف أصبغ .
وذكر بعض أهل العلم أن روايته اختلطت عليه ، فترك .
قال محمد : وقال لي ابن أيمن :

قدم أبو معاوية قرطبة في آخر أيام الأمير المنذر ، حتى مات المنذر ، رحمه الله .

قال خالد بن سعد : أخبرني أبو عمر صاحبه^(٢) ، قال : أخبرني أبو يحيى ابن خيس :

أنه لما ولي عامر بن معاوية القضاء ، وقعد في الجامع ، رأى سليمان بن أسود أتاه بالديوان ، فلما سلم قال : الحمد لله الذي جعل على أئمة مثلك . فلما خرج من عنده سليمان بن أسود ، تلقاه رجل من قريش ، من كان يخاصم عنده ، قبل أن يعزل ، فلبَّسه^(٣) بردائه ، وقال : الحمد لله الذي جلا الظلمة ، وأخذ الجور ، أجبنى إلى القاضي .
فانصرف معه إلى عامر بن معاوية ، فقال له سليمان : إني معزول ، وأنت وال ، وما فعلت في اليوم ستكافأ غداً بمثله .

(١) برية ، بفتح أوله وتشديد ثانيه . (معجم البلدان : ٢ : ٨٩٢) .

(٢) كذا .

(٣) لبيه : جمع ثيابه عند نحره ثم جره . والذي في الأصول :

« لبه . واللب : ضرب اللببة ، وهي موضع القلادة من العنق . »

فخرج عامر بن معاوية على القرشي ، ودفعه عنه .

قال أحمد بن محمد بن عبد الملك :

حكى أبو معاوية لأيدون الفتى بالفدان المعروف بفدان أجل ، بعدوة الوادى ، بعد خصومة طويلة دارت فيه عند سليمان بن أسود ، كان متوليها محمد بن غالب بن الصفار ، فأبى سليمان الحكم فيها ، فقال يوماً لابن الصفار : إن هذا الرجل قد ألح على أن أحكم له ، ولا أجد سبباً إلى هذا ، إذ لم يتضح لي ما أحكم به ، والله لا يأتيني من أمر أكرهه إلا أخرجت به .

فضم ابن الصفار الفتى إلى الأمساك^(١) ، حتى عزل سليمان ، وولى أبو معاوية ، فقام عنده ، وكان يلزم مجلسه ، فإذا رآه أبو معاوية قال له : من أنت ؟ يرحمك الله ! فيقول له : أنا محمد بن غالب المعروف ، يسأله كل يوم بسلامة قلب كانت في أبي معاوية .

فلم يزل محمد بن غالب متردداً عليه في تلك الخصومة حتى قضى له بالفدان ، وأشهد له على القضية ، ثم صار الفدان بعد ذلك إلى محمد بن غالب .

ولم يزل أبو معاوية قاضياً ، وصاحب الصلاة ، حتى مات المنذر — رحمه الله .

قال محمد بن عبد الملك بن أيمن :

سمعت القاضي أبا معاوية يخطب على الناس في الاستسقاء بخطبة أزميا ،

(١) كذا ، ولعل المراد : الأحباس ، وهى فى الترجمة الأسبانية بمعنى : القضاء الملى .

التي قام بها في بني إسرائيل ، وكانت فيه رقة تستميل القلوب وتبكي
العيون .

قال خالد بن سعد :

وكان أحمد بن خالد ، ومحمد بن مسور ، يصفان أبا معاوية بالخير
والفضل ، غير أن أحمد بن خالد كان يذكر عنه طرفه .

ذكر أنه أتاه يسأله أن يسمعه سماع أصبغ بن الفرج ، وأن يجعل
له فيه دولة ، فلما أتى إلى السماع أخرج إليه الشيخ كتب أصول العلم من
تأليف أصبغ ، فظن أن الأصول والسماع شيء واحد .

ذكر القاضي النضر بن سلمة الكلابي

قال محمد :

النضر بن سلمة بن وليد بن أبي بكر محمد بن علي بن عبيد الكلابي ، كان أصله من قنبرة ، وولى قضاء كورة شدونة ، والأمير عبد الله بن محمد — رحمهما الله — بها ، فأدخله وقربه من خاصته ، وكان النضر من أهل الذكاء والنبل واليقظة .

ولما ولى عبد الله بن محمد — رحمهما الله — الخلافة ، ولى النضر بن سلمة قضاء الجماعة والصلاة معاً ، فأحسن السياسة ، وخالق الناس بخلق حسن ، وخطب فأبلغ في الخطابة .

وأمره الأمير — رحمه الله — بالتزام خطبة استحسناها منه ، وهي مشهورة في الناس ، فالتزمها طول ولايته الأولى ، وكانت ولايته نحواً من عشرة أعوام ، حتى حفظت عنه ، وصارت مسطرة لولاية القضاء ، يحتذون عليها في أول مقاماتهم ، ومبتدأ ولايتهم .

وكانت له خطبة أخرى في الأعياد حسنة مہذبة ، مشتملة على السنة .

قال محمد : وذكر أحمد بن محمد ، قال :

كان النضر بن سلمة يتصرف للأمير — رحمه الله — في كل الأسباب تصرفاً كاملاً .

أخبرني من أثق به :

أن الأمير - رحمه الله - كان في الساباط يوم جمعة منتظراً للصلاة ، صلاة العصر ، فورده كتاب حرك منه ساكناً ، فالتمس عبد الله بن محمد الزجاليّ ليكتب الجواب ، فألني غائباً ، ففهم بالإرسال فيه ، فقال له النضر ، وكان بحضرته : ما الأمر الذي حرك من الأمير - أصلحه الله - ما أرى؟ فأخبره الخبر ، ورمى إليه الكتاب ، فعرض عليه نفسه في المجاوبة^(١) ، فأذن له الأمير - رحمه الله - بجواب^(٢) وأحسن ، وكتب فأبلغ ، فأعجب الأمير - رحمه الله - بيقظته ، وشكر له فضل منته .

قال محمد :

وكان النضر عالماً بعلل الوثائق ، ومدركاً بموضع الزلل منها ، والإغلال فيها ، يوقف الفقهاء على ذلك فيقرون له بالإصابة ، ويعترفون له بفضل الإدراك .

والنضر بن سلمة أول من شاور في الأحكام محمد بن عبد الملك ابن أيمن .

قال محمد : قال لي أحمد بن عبادة الرعيني :

كان النضر بن سلمة حسن المذهب ، ظاهر الحلم ، حضرته يوماً في مجلس قضائه ، دخل عليه رجل فوقف بين يديه ، ثم قال له : يا قاضي ، ظلمتني ، وتحاملت علي ، حسبك الله !

قال : فسكت عنه حتى فرغ من كلامه ، ثم قال له النضر : أما لولا أن سبك لم يجاوزنا إلى غيرنا لأحسنت حسن الجواب . وأعطى الرجل^(٣)

(١) كذا . والمجاوبة : أن يرد كل واحد من المتكلمين على الآخر .

(٢) المناسب : أجاب : (أنظر الحاشية السابقة) .

(٣) الأصول : « رحلاً » .

من الصدقة فأرضاه ، فشكر له الرجل ، فأخذ بركابه ، وأعاد القول بمدحه . فقال النضر : (فإن أعطوا منها رضوا وإن لم يعطوا منها إذا هم يسخطون)^(١) .

قال خالد بن سعد : سمعت محمد بن مسور ، يقول :

سمعت القاضي يقول ، وهو النضر بن سلية ، وقيل له : إن محمد بن أسباط يقع فيك ويتناولك ، يجب لك أن تهدمه ، فقال النضر : لا والله لا أتعرض لذلك ، ولا أهدم من بناه الله .

قال محمد : أخبرني بعض الشيوخ ، قال :

كان عندنا بقرطبة رجل يعرف بابن رحمون ، وكان كثير النادرة^(٢) والتطبيب^(٣) ، فنذر^(٤) في مجلس النضر على خصم كان يخاصم عنده يناديه^(٥) أضحك منها^(٦) الحاضرين ، فما زاد النضر على أن ضحك ، ولم تكن له عليه صولة ، وذلك أن خصم ابن رحمون قال للنضر : إن خصمى هذا إذا خرج من بين يديك لا يقلع عن شتمى ، وذكر أمى ، فقال النضر^(٧) : ما أحب أن أعطيه شيئاً ، ولا آخذ منك شيئاً ، فقال ابن رحمون للقاضى : يا قاضى ، اقبوا منى على ما أفعل به كذا^(٨) ، وكذا

(١) التوبة : ٥٩ .

(٢) لأصول : « النادر » وما أثبتناه أولى .

(٣) المسموع : الاطناب ، وهو المبالغة والاكثار فى الكلام أو الوصف أو الأمر .

(٤) المسموع : أنذر ، أى أتى بالنادر .

(٥) الأصول : « بنادر » .

(٦) الأصول : « منه » .

(٧) الأصول : « فقال خصمه » ولا يستقيم بها المعنى .

(٨) الأصول : « وكذا » .

بأمه (١) في النادرة (٢) ، فلا أرضى أن أفديه (٣) بأربعين درهما .
فضحك ، وضحك من حضر ، واحتملها له النضر .

قال محمد :

وكان النضر بن سلمة متصرفاً في علم الأدب ، وكان - فيما بلغني -
ربما قال من الشعر شيئاً يخاطب به الأمير ، ومن كاتبه من طبقة الخاصة .
وسمعت بعض رواة الأخبار يحكي ، قال :

مات وزير من بني شهيد ، وترك ابناً ، فرثاه رجل بشعر ، وأتى به
النضر فعرضه عليه ، فسمع النضر شعراً سخيلاً بعيد المعاني ، فقال له :
إن ابن المتوفى نبيل كيس ، فاذهب بهذا الشعر إليه ، فلعله أن يفتن
أنك أردت أن ترثي أباه ، فيشكر لك ذلك (٤) .

قال محمد :

وكان النضر قاضياً إلى أن أمره الأمير - رحمه الله - بالنظر في المال
الموقف بالجامع ، فنظر في ذلك ، وجمع أهل العلم فاستشارهم ، فاختلفوا
عليه ، فأبى النضر أن يحكم بصرفه إلى بيت المال إلا بإجماع (٥) أهل
العلم ، فكان فعله ذلك سبباً لكثرة القول فيه عند الأمير ، فحرف
معناه ، وصرف القول في ذلك إلى أسوأ الوجوه ، فعزله الأمير -
رحمه الله - حينئذ .

(١) الأصول : « من أمه » .

(٢) الأصول : « فى المنادى » .

(٣) الأصول : « فلا يرضى أن يفديه » .

(٤) الأصول : « بذلك » .

(٥) الأصول : « باجتماع » .

ذكر القاضى

موسى بن محمد بن زياد الجذامى

قال محمد :

ولما عزل الأمير - رحمه الله - نضراً عن القضاء استقضى بعده موسى بن محمد بن زياد بن يزيد بن زياد بن كثير بن يزيد بن حبيب الجذامى ، وهو من العرب الشاميين ، من جند فاسطين ، وكان أصله بالأندلس ، من كورة شدونة ، وواه الأمير - رحمه الله - الشرطة والرد ، ونقله إلى الشرطة العليا ، ثم ولى القضاء فصلى بالناس جمعة ، واستعفى فى الثانية .

قال خالد بن سعد :

سمعت محمد بن عمر بن لبابة يذكر موسى بن محمد ، فكان لا يوفيه (١) ، ولا يحسن الثناء عليه ، غير أنه كان يصفه بالحلم .
ذكر أنه شهده ، وقد أرسل فى رجل ، فلما أتاه وكل به الأعوان ، وأمر ألا يفارقوه حتى يحضر بوثيقة كانت عنده ، فتوكل به الأعوان ، ومضوا معه ، ثم عادوا بالرجل والوثيقة معه ، فرمى بالوثيقة ف ضرب صدر القاضى موسى بن محمد ، وكانت الوثيقة كبيرة ، فأوجعه بها .

قال ابن لبابة : فلم أشك أنه سيؤدبه على ذلك ، فما زاد على أن قرأ

(١) الأصول : « يستوفيه » ولا يستقيم بها الكلام .

الوثيقة وصرها إلى الرجل ، وقال له : خذ وثيقتك يا جاني ، لم يزد
على ذلك .

وهذه قصة محفوظة لموسى يحكيها الفقهاء عنه .
قال محمد :

ولما صار موسى بن محمد إلى القضاء حكم في المال الموقوف بما بلغه
إليه اختياره ، مما اختلف فيه أهل العلم من قبل ذلك على النضر
ابن سلمة .

قال محمد :

وسمعت من يحيى من العلماء :

أن موسى بن زياد كان حسن السميت ، أديباً ، ظاهر المروءة ،
بادى الوقار ، إلا أنه كان جاهلاً عيباً .

حكى أنه ذكر يوماً محمد بن غالب بن الصفر ، فقال^(١) : صام
رمضان كله إلى يوم العرفة ثم يوماً .

فأخطأ خطأين بشعين^(٢) : توهم أن في رمضان يوم عرفة ، كما في ذى
الحجة ، وأدخل الألف واللام في : يوم عرفة :

وسمعت من يحيى اسم « مرة » بالألف ، واسم « أسماء » بالهاء .
قال محمد :

وتصرف موسى بن زياد للأمير - رحمه الله - في خطط حجة ،
منها : الكتابة ، والوزارة ، وغير ذلك ، واستأذن للحج ثم انصرف .

(١) الأصول : « فقام » وظاهر أنها محرفة عما أثبتنا .

(٢) الأصول : « بشيعين » وهى غير واردة .

وتوفى الأمير - رحمه الله - وموسى بن زياد حامل ، وذلك أنه
نظر فيما لا يعنيه ، وتكلم فيما لم يستشرف فيه ، من مهمات الأمور ،
وعظيماات الأشياء ، مما تنبى به الخلافة ، وتقوم به الإمارة ، وأبطن
من ذلك شيئاً ، فأعقبه الله فى ذلك بشر عقى ، وولاه من ذلك
ما تولى .

ذكر القاضى محمد بن سلمة

قال محمد^١ :

ولماعزل الأمير — رحمه الله — موسى بن زيادٍ عن القضاء ،
استقضى بعده محمد بن سلمة الكلابى ، وهو أخو النضر بن سلمة .

وكان رجلاً صالحاً فى مذهبه ، فاضلاً فى دينه ، شديدَ السلامة فى
طبعه ، مع الزهادة والتبسك ، لم تحدث له ولاية انقضاء تغيراً فى ملبس ،
ولا اكتسب المال ، ولا بلغت به العائلة^(١) إلى اشتراء دار ، وإنما كان
يسكن بكرةٍ فى داخل المدينة بقرب الجامع ، ولم تسكن له من الحركة
فى الفهم ، ولا من اليقظة فى الأمور ، ما كان لأخيه النضر فى ذلك ،
وكان مع ذلك شديد السكينة ، ظاهر الصلابة ، راغباً فى إقامة السنة ،
منزحاً^(٢) عن الناس ، ملتزماً للبادية ، فكان ربما دار على الناس منه
بعض الجفوة والتحامل فى المخاطبة .

قال خالد بن سعد :

سمعتُ محمد بن عُمَر بن لبابة يثنى عليه ، ويصفه بالخير والفضل .

وقال خالد بن سعد : وأخبرنى محمد بن هاشم الزاهد ، قال : أخبرتنى
امرأةٌ صالحةٌ من أهل الاستتار أنها أتته إلى داره فى بعض الأيام ،

(١) الأصول : « الفائدة » وظاهر أنها محرقة عما أثبتنا . والعائدة :

ما يعود على الانسان .

(٢) كذا . والمسموع : نازحاً .

وذلك قبل الظهر ، فقرعت عليه الباب ، نخرَجَ إليها ، وكانت لا تعرفه قبل ذلك ، وعلى يده أُرُءُ العَجِين ، كما كان يعجن ، فقالت له : أريد أن تسكلمُ القاضي ، فإن لي إليه حاجة ، فقال لها : تقدمي إلى المسجد الجامع ، فإنه يُوافيك فيه الساعة .

قالت : فأُتيتُ الجامع ، فركعتُ ثم جلستُ انتظر القاضي ، فلم ألبث أن أتى ذلك الرجلُ الذي خرج إليّ ويديه أُرُءُ العَجِين ، فجعل يركعُ ، فسألتُ عنه ، فقيل لي : هو القاضي ، فلما سلم تعرَّضتُ إليه فسكلمته في حاجتي ، فقضاها لي .

قال خالدُ بن سعدٍ : أخبرني عبدُ الله بنُ قاسم ، قال : أخبرني أبي ، قال :

وقفتُ بمحمد بن سلمة القاضي ، فسألني أن أشتري له كساءً بُرُكان^(١) .

قال عبدُ الله : فأمرني أبي أن أهبط إلى البزازين في طلبه ، فهبطتُ فاشتريت له كساءً بأربعة وعشرين ديناراً ونصف دينار ، ثم أتيت به أبي ، فسار به إليه ، فاستحسنه ، وقال : بكم هذا الكساء ؟ فقال له : يقعُ عليك بعشرة دنانير ، فسبق إلى القاضي أنه ثمنه ، فأخرج إليه عشرة دنانير .

فلما كان بعد ذلك لم ينشب أن أتاه أبو يحيى صاحب الأحباس^(٢) ،

(١) البركان ، بالتشديد : الكساء الأسود ، وليس بعربي .
(الجوهرة لابن دريد : ٣ : ٣٠٩ ، والقاموس المحيط : برك ، والمعرب للجواليقي : ٥٦) .

(٢) الأصول : « أحباس » .

فقال له : إن القاضي يقرئك السلام ، ويسألك أن تقبض الكساء وترُدَّ العشرة الدنانير ، فإنه قد احتاج إلى نفقتها ، والكساء قد استغنى عنه ، فقال له أبي : لا يرُدُّ^(١) الكساء ، وأنا أعطيه الدراهم ينتفع بها إلى وقت يتيسر له ، فأبى صاحب الأحباس ذلك^(٢) .

قال : فأنكرت ذلك ، وقلت : ما الذى أوجبَ هذا ، فقد علم ثمنه ، فلم يقبله ؟ وقال : إنما ظننت أن ثمنه عشرة دنانير كما أعطيتُ ، فإذا ثمنه أكثر من ذلك ، فلا حاجة لي أن أتحمّلَ على الرجلِ في ماله .

قال عبد الله :

وكانت بين أبي وبين محمد بن سلة محبةٌ ومداخلةٌ ، وكان يختلفُ النساءَ بعضهن إلى بعض ، فأتتنا ابنته في بعض الأيام زائرةً ، وهو على القضاء ، فأمر أبي النساء أن يكسونها مقنعاً^(٣) عراقياً ، فكسونها ذلك ، فلما انصرفت من عندنا رأى القاضي المقنع عليها ، فأنكره وقال لها : من أين لك هذا ؟ فوصفت له الخبر على وجهه ، فقال لها : يا مبنية ، ليس هذا المقنعُ من كسوتك ، مع أنه يحتاج هذا المقنع إلى ثوب من جنسه ، ورداء من جنسه ، ثم أمرها بردَّ المقنع ، ولم يقبله .

قال محمد بن عمر بن لبابة :

أتيتُ القاضيَ محمد بن سلة ، فلم أر في دواته إلا أقلاماً مكسورة ، فأخذتُ مع نفسي أقلاماً حسناً كانت عندي ، وبريتها وأتيتها بها ، فأبى قبولها^(٤) وقال : لو كنت متقبلاً لهدية لقبلتُ هديتك ، وردها على .

(١) الأصول : « يرد » ولا يستقيم بها الكلام .

(٢) الأصول : « من ذلك » والفعل يتعدى بنفسه .

(٣) المقنع : القناع ، وهو ما تغطي المرأة به رأسها .

(٤) الأصول : « من قبولها » والفعل يتعدى بنفسه .

قال : وأخبرني سليمان بن محمد بن أبي ربيع ، قال :

كنتُ أخاصُّ عند القاضي محمد بن سلمة ، فسعى عليّ عنده وأغرى بي ، فكننتُ إذا أتيتُ مجلسه خرج عليّ أمام الناس ، فشكوتُ ذلك إلى محمد ابن عمر بن لبابة ، وأردتُ أن أستعين به عليه ، وكان أكبر الناس عنده ، وأقربهم منه ، فقال لي ابن لبابة : لست أرى أن تستعدي عليه بي ولا بغيري ، غير أني أدلك على حالة أرجو أن تنتفع بها عنده ، وأن يرجع إلى ما تريد من الحقّ : تخين^(١) وقت مخلوة^(٢) ، فإذا صاح عليك فلا تهب^(٣) منه صياحه ، وقل له عند ذلك : يا قاضي المسلمين ، الله أولى بك .

قال لي ابن أبي الربيع : ففعلتُ ما دلّني عليه ابن لبابة ، وقلت له ما قال ، فانكسر عند ذلك ورجع عما كرهتُ .

قال خالد بن سعد : سمعتُ محمد بن عمر بن لبابة يقول :

أتيتُ أنا والحبيب بن زياد إلى محمد بن سلمة ، لتعديل ابن شراحيل ، المعروف بالعجيزة ، فعدلتناه عنده ، فقام الحبيب بن زياد وبقيت أنا عنده ، فقال لي القاضي : أبا عبد الله ، ما تقول في القاضي يعدلُ عنده الرجل ، وهو يعرفه بغير العدالة ، بأيّ شيء يأخذ : أبعله أو بتعديل المعدّلين له ؟ قال ابن لبابة : فقلتُ له : إذا سلّمه القاضي بالجرحة فذلك أولى أن يأخذ به من قول المعدّلين ، فقال لي محمد بن سلمة : فإن هذا الذي عدلتُم هو عندي غير عدل ، قال : فقلتُ له : أنت أحقُّ بعلمك ، ونحن قد عدلتناه بمبلغ علمنا ، ومن عرفَ الباطنَ فهو أحقُّ من عرفَ الظاهر .

(١) الأصول : « تحيل » وما أثبتنا يتفق والسياق .
(٢) الأصول : « حلوه » ، بالحاء المهملة ، تصحيف .
(٣) لا تهب : لا تخف .

قال خالد بن سعيدٍ :
فذكرتُ الحِكَايةَ لمحمد بن عبد الملك بن أيمن ، فذكر أن محمد بن
سَلِبة لم يكن يعرفُ ابن شراحيل بِمِجْرحة ، غير أن بعض جيراننا كانت
له خاصةٌ من القاضي ، فأذاه عنده بِشَيْءٍ كان بينه وبينه .

قال محمدٌ : قال لي أحمدُ بنُ عبادَةَ :

كنتُ يوماً ماشياً مع محمد بن سَلِبة ، وهو على القضاء ، فلقينا إنساناً
على رأسه غرارة ، فيها شيءٌ مستورٌ ، ويده كبيرٌ (١) ، فأمر القاضي بكسر
الكبر ، وعلم ولم يشكَّ أن الغرارة مملوءة أكباراً ، فقال : أنزلوا الغرارة
وانظروا ما فيها .

فقال أحمد بنُ عبادَةَ : فقلتُ له : ما عليك أن تفتش أمتعة الناس
وخبائهم ، إنما عليك أن تُغَيِّرَ ما ظهر من المنكر .

قال : فأمسك عما أمر من تفتيش الغرارة .

ثم سرنا ، فلقينا محمدَ بنَ معمر بن لبابة ، فسأله عن ذلك ، فقال ابن
لبابة مثل ما قلت له .

قال : فعطفَ عليَّ فقال لي : لقد اذتفنا بصحبتك اليوم يارُعِينِي .

قال أحمدُ بنُ عبادَةَ : حكى رجلٌ كان يخدمُ محمد بن سَلِبة ويمشى

معه ، قال :

بينما القاضي يوماً في بعض الأزقة ، ونظر إلى سكرانٍ ، فقال لي :
خُذْهُ حَتَّى أَقِيمَ عَلَيْهِ الحُدَّ ، فقال له السكرانُ : تعال (٢) أنت بنفسك

(١) الكبر ، محرّكة : الطبل ذو الوجه الواحد ، مولدة ، والجمع

(٢) الأصول : « تعلى » .

ياقاضي نخذني ، والله لئن أخذتني (١) لأضربنك ضرباً وجيعاً . قال : فانصرف
محمد بن سلمة [عن (٢)] طريق السكران وأخذ بغيره . ثم قال لى القاضي :
سمعت ما قال ؟ والله ما أظنه إلا كان يفعل ، الحمد لله الذى نجاننا منه .

وكان محمد بن سلمة فى أول ولايته القضاء متحرراً عن محمد بن غالب ،
[فاضطر مرة (٣)] إلى الرجوع مع محمد بن سلمة والمشى معه ، فلم يقبل
ذلك منه محمد بن سلمة وأمره بالانصراف استثقلاً له ، فانصرف عنه
محمد بن غالب ، ففى انصرافه لقي قتي من أصحاب الرسائل طالباً لأثر القاضى
يسألُ عنه ، وييده كتاب من عند الأمير — رحمه الله — فعلم ابن (٤)
الصفار متى ورده الكتاب لم يقم للجواب ، فانصرف ابن الصفار فى أثر
الفتى حتى دخل المسجد الذى فيه القاضى ، فوجد الكتاب بيده والفتى
يحركه فى المجاوبة ، وقد بقى القاضى حائراً ، فلما نظر ابن سلمة إلى ابن
الصفار قال له : ما صرفك ؟ فقال له : أصلحك الله : لقيت هذا فعلت
أن قصده إليك ، فقفوت أثره لتكفيك المجاوبة وأصونتك عن
الشخص (٥) فيها ، فأمكنه القاضى من الجواب ، فأجاب عنه وأحسن ،
فشكر القاضى ما كان منه ، وعاد بحسن الرأى عليه .

ولم يزل محمد بن غالب بعد ذلك متبجحاً فى دولته ، مالكاً لأمره ، حتى
توفى سنة إحدى وتسعين ، وولى يآثره الحبيب .

-
- (١) الأصول : « أخذتك » .
(٢) تكملة يستقيم بها الكلام .
(٣) تكملة يقتضيها السياق زدناها استئناساً بما فى الترجمة
الأسبانية .
(٤) ابن الصفار : كنية محمد بن غالب وبها عرف .
(٥) الشخص فيها : أى النظر فيها .

قال محمد :

وكان الأمير عبد الله بن محمد - رضى الله عنهما - من الأئمة المهديين ،
والخلفاء الفاضلين فى العبادة ، والمتقدمين فى الزهادة ، وكان أيامه رجلاً
من أهل الزهد والعبادة والفضل ، يعرف بالصيد ، فسأل الأمير - رحمه
الله - يوماً النضر بن سلية ، فقال له : متى عهدك بالصيد ؟ فقال له :
لا عهد لى به ، فقال له : مثلك لا يكون له عهد بالصيد ، فقمعه^(١) بذلك ،
ثم أدخل على نفسه محمد بن سلية ، فقال له : متى عهدك بالصيد ؟ فقال له :
الساعة رأيت فى الجامع ، فملت إليه وسلمت عليه وسألته عن حاله ، فقال
له الأمير - رحمه الله : مثلك قرب عهده بمثل الصيد ، وعرف حقه .

وكان الأمير - رحمه الله - بمحمد بن سلية معجباً ، لدينه وفضله
وصحته وسلامة صدره .

قال محمد :

فكان محمد بن سلية قاضياً ما شاء الله من الأيام ، ثم عزله الأمير -
رحمه الله .

وكان السبب فى عزله إياه أن النضر بن سلية أحب الرجوع إلى
القضاء ، وطمع فى ذلك لو عزل أخوه محمد ، فزين لأخيه مكاتبة الأمير -
رحمه الله - بالاستعفاء عن القضاء ، فقبل منه محمد وكتب يستعنى ، فأجابه
الأمير - رحمه الله - إلى ما سأل ، وعافاه من القضاء كما رغب .

(١) قمعه : كسره وأزله .

ذكر القاضى النضر بن سلمة المرّة الثانية

قال محمد :

ولما أسعف الأمير^(١) عبد الله بن محمد - رضى الله عنهما - قاضيه محمد بن سلمة بما سأل من المعافاة ، وعزله عن القضاء ، أعاد النضر بن سلمة إلى خطة القضاء ، وأقرّ محمد بن سلمة على الصلاة والخطبة ، فكان النضر القاضى ، وكان محمد بن سلمة صاحب الصلاة .

قال محمد :

سمعت غير واحد من أهل العلم يقول :
كان النضر فى المرّة الأولى أحمد منه فى المرّة الثانية ، ولم يبلغ فى القضاء الثانى مبلغه فى الأول .

قال محمد :

وتصرّفت الحال بالنضر إلى أن رأى الأمير - رضى الله عنه - أن يستوزره ، فعزله عن القضاء وولاه الوزارة ، وجمع الخطتين : خطة القضاء ، وخطة الصلاة ، لمحمد بن سلمة .

(١) الأصول : « الأمير رحمه الله » ويبدو أن قوله « رحمه الله »

ذكر القاضى محمد بن سلمة المرّة الثانية

قال محمد^١: أخبرنى أحمد بن عبادة الرعيني^٢، قال :
لما ولى محمد بن سلمة خطة القضاء بكى ، كراهية لما قلد منها ، وكان
رجلاً صالحاً فاضلاً ، صحيح المذهب .

قال محمد^١ :
وقد قدمت من أخباره وذكر فضائله فى دولته الأولى ما لا يصلح
تكريره فى هذا الموضوع .

قال محمد: أخبرنى فرج بن سلمة البلوى^٣، عن محمد بن عُمَر بن لبابة ،
وذكر أيضاً خالد بن سعد ، عن ابن لبابة ، قال :

أرسل فى القاضى محمد بن سلمة ، فسألنى أن أعقد له كتاب وصيته .
قال ابن لبابة : فعقدتها على أنه أوصى بثلثه ، ثم ذهب يوزع الثلث
على ما يوصى به ، فوزع منه مثل عشرة دنانير ، ثم انقطع توزيعه .
قال ابن لبابة : فقلت له : ثم ماذا ؟ قال : هذا ثلثى فيما أحسب .

قال : فجعلت أُجبل بصرى فى داره ، فشعر بي^(١) ، فقال : والله مالى
فيها شيء - يعنى فى رقبة^(٢) الدار - وإنما لابنتى عافية .

(١) الأصول : « لى » ولا يستقيم بها المعنى .

(٢) كذا ، ولعله يريد : كل ما يتصل بالدار .

قال محمد بن عمر بن لبابة :
فلما توفى حضرتُ تحصيلُ تركته ، فبلغ نحو ثلاثين . أو خمسة
وثلاثين ديناراً .

قال محمدٌ :
وتوفى محمدُ بن سلمة في أيام الأمير عبد الله بن محمد — رضى الله
عنهما — قاضياً غير معزول .

قال محمد : أخبرني بعض أهل العلم ، قال :
ولما اشتد بمحمد بن سلمة مرضه ، ولم يستطع الخروج إلى الخطبة
بالناس يوم الجمعة ، سأله ولده أن يكتب إلى الأمير ويسأله أن يستخلفه
على الصلاة ، فقال : والله ما أفعل ، ولا أختار لصلاة المسلمين ، وأشير
بتقديمه على الأمير إلا من يستحقها ، ومن هو أهلٌ لها . وكتب إلى
الأمير يشير عليه بمحمد بن عمر بن لبابة ، فقبل الأميرُ — رحمه الله —
رأيه ، وأمر ابن لبابة بالصلاة .

قال محمد : ذكر لي بعض رواة الأخبار ، قال : لما مات محمد بن
سلمة نظر الأمير عبد الله في قاض ، وعزم على أبي الغمر بن فهد ، وأمر
بالإرسال فيه ، فكان غائباً في ضيعته بقبرة ، وافترق الوزراء ، وعرف
جذميرُ العجمي ، فلما خرج من القصر جذمير أتي أحمد بن محمد فأعلمه
بما كان ، وقال : عجيباً منهم أن يكون مثلك من بيت القضاة يطرح^(١) .

ثم قال له : سأخلى^(٢) عنك البينة ، فإن كان لك في البيت من يذكر
ويشير بك فعل ، فانصرف الحبيب فاجتمع مع عبد الله بن الزجالى ، وتكلم

(١) الأصول : « يطرح عنك » . وانزلى ما اثبتنا .

(٢) الأصول : « وسأخل » .

معه في ذلك ، ثم تكلم مع محمد بن أمية ليلته تلك أيضا ، ثم أصبح جذمير فدخل على عبد الله ، فقال له : إني هممت بالرجوع إليك عشية أمس ، غير أني كرهت تحريكك ، خرجت فجئت جملة من المساكين يبكون أنفسهم ، ويقولون : عزم الأمير أن يولي ابن فهدٍ ، فإن ولاه أكل أموالنا ، برغبته وحرصه ، وأنتك أحبا سنا ، فقال الأمير : والله إن فيه لرغبة ، ثم أدخل الوزراء فأعلمهم أن رأيه حال عن ابن فهد ، فأشار ابن الزجالي بالحبيب ، وذكر أن ابن أمية أوصى إليه ببنتاته ، وأرسل لي^(١) كتاب وصيته .

فنظر إليها الأمير ، فأمر بتوليته القضاء ، فوَّلى .

(١) الأصول : « في » وما أثبتنا أولى بالسياق .

ذكر المتاضي الحبيب أحمد بن محمد بن زيد اللخمي المرة الأولى

قال محمد^{هـ} :

ولما تُوِّفِي القاضي محمدُ بن سلمة أمرَ الأميرُ — رحمه الله — محمد بن أمية ، صاحبَ المدينة يومئذ ، أن يقبضَ الديوان ، وأن يجعله بمكان الحفظ والصيانة ، حتى يُؤولى القضاء من يرضى ، فيصير إليه^(١) نظره ، ففعل ذلك ، وبقي الناسُ لا قاضي لهم برهة من الزمان .

وكان الأميرُ عبد الله بن محمدٍ — رضى الله عنه — فى ذلك الوقت يستشير ويستخير ، ويكرر النظر^(٢) ، ويقلبُ الرأى فيمن يقلده القضاء بعد محمد بن سلمة ، فجمع الوزراء يوماً من الأيام ، وجعل يشاورهم فى قاضٍ ، فقام إليه محمد بن أمية فقال ، أصلح الله الأمير ، إن الرجل لا يعهدُ بوصيته ، ولا ياتمّن على ولده وماله ، غير أوثق الناس ، وهذه وصيتى فانظر إلى من أسندتها ، فقال له الأمير : صدقتَ ، ثم نظر إلى كتابه فوجده قد أسندها إلى الحبيب أحمد بن محمد بن زيادٍ ، فقبل منه الأمير — رحمه الله — رأيه ، وولى القضاء الحبيب أحمد بن محمد بن زيادٍ بن عبد الرحمن بن زُهَيْر اللخمي ، وذلك فى سنة إحدى وتسعين ومائتين .

(١) الأصول : « الى » .

(٢) الأصول : « ويتكرر بالنظر » .

قال محمدٌ: قال لي غيرُ ما رَجُلٌ من عُقلاء الناس وعلمائهم :
 كان القاضي أحمدُ بنُ زياد ، المعروفُ بالحبيب ، أكلَ الناس أدباً ،
 وأكثرهم بالصدق برّاً ، وأكرمهم عنايةً ، وأقضاهم حاجةً ، في ماله
 وحرمة ، وكان حسن المداراة ، لطيفاً في الأمور ، طلوباً^(١) إذا طلب ،
 صبوراً على المقارعة والمواصلة .

قال محمدٌ : وذكر بعض أهل العلم ، قال :
 لم يزل أحمدُ بن محمد بن زيادٍ في حداثة سنه أثيراً عند الخلفاء —
 رحمهم الله — شاوره الأميرُ محمدٌ مع الفقهاء في بعض الأفضية ، واستسقى
 بالناس في أيام الأمير المنذر — رحمه الله — مديلاً^(٢) للقاضي أبي معاوية ،
 من غير ولاية ، فسقى ونزل الغيثُ .

قال محمد :

وكان الحبيبُ من أوفر الناس [مالا]^(٣) ومُسلامهم^(٤) ، وكان بصيراً
 بالتجسّر^(٥) عارفاً بوجهه .

قال لي بعضُ الشيوخ :

إنما كانت المنّةُ على الحبيب في ماله للقاضي سليمان بن أسود ، فإنه كان
 يُعنى بالحبيب في مبتدأ أمره ، لا مال له ، فدعاه سليمان فوعظه ، ووصّاه
 بالنظر لنفسه ، والاكتساب لها ، وعرفه بجرمة المال وجسيم منفعته ،

(١) طلوب : طالب وراغب .

(٢) مديلاً للقاضي ، أي حالاً محله .

(٣) تكلمة يستقيم بها الكلام .

(٤) الأصول : « أملئناهم » يريد : جمع : ملئ ، وهو الكثير المال ،

والمسموع في جمعه ما أثبتنا .

(٥) التجر ، بالفتح : التجارة .

ودلهُ على باب التجر وحضه عليه . فقال له الحبيب : إن التجر لا يكون إلا بمال ، وأنا لا مال لي ، فسكت عنه سليمان أياً ما ، ثم دعاه فأوردعه خمسة آلاف دينار ، وقال له : حررها ، واتجر بها لنفسك ، فكانت نصاب ماله ، ومفتاح كسبه .

قال محمد^(١) :

ولما ولى القضاء الحبيب أحمد بن محمد بن زيادٍ ، وذلك في سنة إحدى وتسعين ومائتين ، لم يقبل الرأي من أشار به عليه حتى يقيدهُ على نفسه بخط يده . فكان أول قاض ضم أهل الفقه المشيرين عليه في أفضيته إلى ضبط فتايم ، وزمام رأيهم بخط أيديهم ، ولم يسكل ذلك إلى خط كاتبه ، ولا إلى خط نفسه ، ثم تكلف بعد ذلك تأليف تلك الأفضية ، وجمع تلك الأحكام ، فجعل منها أجزاء فيها بلاغٌ لمن نظر فيها ، ولا تقصير في صونها^(١) .

وكان قد قعد عنه في قضائه هذا الأول الشيخان : محمد بن عمر بن لبابة ، وأيوب بن سليمان ، وكانا في وقتها شيخى البلد وعظيميه علماء وفقهاً ، مع السن والجلال من سعة^(٢) العلم ومعاونة^(٣) الفقه ، مع كثرة الدربة ، وطول المراس^(٤) ، وقديم المعاونة ، والرسوخ الكامل في مذاهب^(٥) الرأي ، وطرق الفتيا ، فلما نظر الحبيب إلى تناقلهما وعودهما عن إتيانه ، استغنى بمحمد بن وليد الفقيه ، وبمحمد بن عبد الملك بن أيمن ، عن الشيخين برهةً من الزمان ، وحيناً من الدهر ، ثم سعى في إصلاح ذلك ،

-
- (١) الأصول : « صوانها » والمسموع ما أثبتنا .
 (٢) الأصول : « صنعة » ويبدو أنها محرفة عما أثبتنا .
 (٣) الأصول : « ومعاني » ويبدو أنها محرفة عما أثبتنا .
 (٤) الأصول : « المراساة » والوارد ما أثبتنا .
 (٥) الأصول : « مذهب » .

وتألفه عمر بن يحيى بن ائبابة ، وكان قد فسد في ذلك الحين ما بين الشيخين أيضاً : محمد بن عمر بن لبابة ، وأيوب بن سليمان ، فجمع عُمَر بينهما عند أسلم ابن عبد العزيز ، وجعل شرطهما في الإصلاح الاجتماع على إزالة محمد بن أيمن عن مكانته عند الحبيب بن زياد ، فدارت في ذلك بينهم أحوالٌ طويلةٌ الوصف ، على ما يكون بين الضدين ، ولا ضد أكبر من المزاومة والمنافسة في الدرجة ، ولا سيما إن جرى إلى غاية واحدة بأهواء مختلفة ، واختلفت حظوظهما في القسم ، فكان أحدهما يتناول بالعلم والنباهة ، ووجد كل واحدٍ منهما حق صاحبه ، ولم يُتقر له بما يندتجل ، ودافعه فيما يقول .

قال محمد : أخبرني بعضُ الشيوخ ، قال :

تقدم رجلٌ كهلٌ إلى الحبيب بن زياد ، فشهد عنده بشهادة ، فقال له القاضي : منكم عرفت هذا الأمر ؟ فأجابه الشاهد بجواب أخرج فيه الكلام على وجه المبالغة والرعى إلى الغاية ، فقال له : مذ مائة سنة ، فقال له القاضي : ابن كم أنت ؟ فقال له : ابن ستين ، فقال له : فكيف عرفت هذا الأمر مذ مائة سنة ؟ أترأى عرفته قبل أن تولد بأربعين عاماً ؟ فقال له الشاهد : إنما قلت ذلك على المثل ، فقال له الحبيب : إن الشهادات لا تُشردى بالمثل ، ثم دعا للشاهد بالسوط فقنعه به مراتٍ ، ثم قال : لو أن إبراهيم بن حسين بن عاصمٍ تحفظ من مثل هذا ما صلب إنساناً بغير حق .

قال محمد :

وكانت قصة المصلوب الذي صلبه إبراهيم بن حسين ، أن الأمير محمداً — رحمه الله — حدث في أيامه مجاعة شديدة ، فكثرت فيها التناول

من الفسدة^(١) ، لفضل^(٢) ما كانوا فيه من ضر السنة ، وكثرت^(٣) الشكوى بذلك إلى الأمير - رحمه الله - وكثر عليه من الحكام استطلاع رأيه في الصلب والقطع وما أشبهه ، فولى السوق حينئذ إبراهيم بن حسين ابن عاصم ، وأمره بالاجتهاد ، وعهد إليه بالتحفظ ، وأذن بالتنفيذ في القطع والصلب بلا مؤامرة منه ، ولا استئذانٍ ، فكان إبراهيم يجلس في مجلس نظره في السوق ، فإذا أتى^(٤) بالفاسد المفدح^(٥) ، قال له ، اكتب وصيتك^(٦) ودعا له بشيوخٍ فأشهدهم على ما يوصى به ، ثم صلبه ونحره ، فكان بين يديه من المصلبين عدد عظيم ، فأتاه قوم بفتى من جيرانهم ، فشكوا منه إليه تطاولا ، على ما يكون من أشرار الأحداث ، وهم لا يشكون أنه سينزجره الزجر القوي ، وإن أفرط في عقابه فالسجن ، فقال لشيخ منهم ، ما يستحق عندك ؟ فقال على وجه المثل والمبالغة في الوصف : ما استحق هؤلاء . وأشار إلى المصلبين ، فقال له إبراهيم بن حسين ولأصحابه : انصرفوا ، ثم قال للفتى : اكتب وصيتك ، فقال له : أتق الله فيّ ، فإنه لم يبلغ ذنبي أن أستحق القتل والصلب ، فقال له : بذلك شهد عليك الشهود ، فقتله وصلبه . فلما بلغ الشهود ذلك أتوه فقالوا له : لم يشهد عندك على الفتى بذنوب يجب فيه القتل ، فقال : أو لم يقل قائلكم : إنه يستحق ما يستحق هؤلاء ؟ فقالوا له : على المثل . قال : فأثم ذلك في رقابكم إذ لم تحسنوا الإبادة عن^(٧) أنفسكم .

(١) هذا هو المسموع في جمع فاسد أما فسيد ، فجمعه : فسدى ، بفتح فسكون ففتح .

(٢) لفضل ، أى لزيادة .

(٣) الأصول : « وكثر » .

(٤) الأصول : « أتى » .

(٥) يريد : المفرط ، وهى غير واردة ، يقال : فدحه الأمر ، اذا

أثقله ، وأفدحه هو ، اذا وجده ثقيلًا . ولعل صوابها : الفادح .

(٦) الأصول : « وصيته » .

(٧) الأصول : « من » .

قال محمد :

بلغنى أن الحبيب جلس إلى مائدته رجل^١ من السوق ، كان له صنعة^٢ ، وكان السوق قد أخرج في كفه من بيته خبزاً يتغذاه في حانوته في داخل^(١) ، فخطر بالقاضى الحبيب في صدر النهار ، فأمره بالمُتَّقام حتى حضرت المائدة ، فتقرَّب^(٢) الرجل وأظهر مزاحاً سمجاً ، فأخرج خبزه من كفه ، ثم قال : أما أنا فقد أتيتُ بُخْبِزِي مع نفسى ، ففنه آكلُ ، وكان الحبيبُ شريفَ الهمة ، شديدَ اليقظة ، فقال له : ويحك ، إنَّ هذا الكلامَ وإن كان مزاحاً ، فإنه عادة يبتغى ، ثم قال لغلامه ، خذ بيده وأرقه^(٣) عن المائدة ، وأخرجه ، فليس مثل هذا يُسْتَتَخَصُّ .

قال لى عثمان بن محمد :

كان بين الحبيب بن زياد ، قبل أن يلى القضاء وبين جعفر بن يحيى بن مُزَيْن سبب من شجناه وضغن ، وكان جعفر ممن يصلى في المقصورة ، فلما ولى الحبيب القضاء أمر بعض القوَّمة^(٤) يوم الجمعة : إذا أتى جعفر ابن يحيى بن مزين ليدخل من باب المقصورة ، فليسبق [إلى]^(٥) الباب ويغلقه في وجهه ولا يُدخِله ، ففعل ذلك به ، فقال جعفر إلى جانب الباب من خارجٍ وصلى ، ثم انصرف إلى بيته .

فيقال إنه ظهر به يرقان^٦ ، فمات إلى الثالث ، وهذا فيما ذكرناه من مُطالبة الحبيب لمن شذَّ عنه .

-
- (١) الأصول : « فى داخل النهار » ويبدو أن كلمة « النهار » مقحمة .
 - (٢) الأصول : « فتقرَّب » .
 - (٣) الأصول : « وأقم عنهم » .
 - (٤) القومة : من يقومون بتنفيذ أمر السلطان ، ولعلها جمع قائم .
 - (٥) تكلمة يستقيم بها الكلام .

قال محمد^(١): ذكر بعض أهل العلم ، قال :

إن محمد بن إبراهيم ، المعروف بابن الجبّاب ، امتدّ إليه رَجُلٌ من جيرانه ، وهو حدّث السنّ يومئذ ، فنال منه بسبب النّفَسِ^(١) الذي كان يتعادى به الجيران ، فتقدم محمد بن إبراهيم إلى الحبيب بن زياد ، في دولته الأولى ، مشتكياً الرجل^(٢) ، فأمر الحبيب بحبسه ، فشفّع في إطلاقه محمد ابن عمر بن لباية ، وأبو صالح أيوب بن سليمان ، وقالوا له : تحبس رجلاً بدعوى خصمه ، فأبى الحبيب إطلاقه^(٣) ، وقال : كان أبي وعمّي لا يلتسمان على من شابه^(٤) أهل العلم ، ومن يوسم بخير ، ظهيراً ، ولم يطلق الرجل إلا لمن حبسه له .

قال محمد :

إن كانت هذه الحكاية صحيحة عن الحبيب ، فهي من فلتات الرأى ، وعثرات الجهل ، وما حكى من ذلك عن أبيه وعمه ، فقد لا يصح ذلك ، ولو صح لم تقم له به حجة على مذهب الحق الذي لا يمتري فيه بشر ، وآية الصّدق في ذلك أن أفضل الناس ديناً وعلماً وأدباً ومروءة لو ادعى على أحد فليسأ لم يُعْطَ بدعواه ذلك الفانس ، فما هو أعظم من ذلك من الحبس والعقاب أحق ألا ينفذ لأحد بدعواه ، غير أن من اجتهد في الإصابة فتوابه مرجوئ ، وَوَزُرُ الخُطَأ الذي لا يملكه عنه مرفوع ، والله المطلع [على]^(٥) خفيّ الضمائر ، والعالم بسرائر النّيّات ، وليس الخطأ بغيب على الراسخ في العلم ، ولا الزلل منسكور على أهل الفهم ، قال الله تبارك وتعالى

-
- (١) النفس ، محرّكة : العداء .
 - (٢) الأصول : « بالرجل » .
 - (٣) الأصول : « من إطلاقه » .
 - (٤) الأصول : « شكاً به » ويبدو أنها محرّفة عما أثبتنا .
 - (٥) تكملة يقتضيتها السياق .

(وداود وسليمان إذ يحسبان في الحرث إذ نفثت فيه غنم القوم وكنا لحكمهم شاهدين . ففهمناها سليمان وكلاً آتينا حكماً وعلماً) (١) ، فشهد الله عز وجل لنبيه سليمان — عليه السلام — بالإصابة ، ولم يذمم داود بالخطأ ، ثم أثنى عليهما معاً فقال تعالى (وكلاً آتينا حكماً وعلماً) .

قال محمد :

ولم يزل أحمد بن محمد بن زياد قاضياً في دولته الأولى ، من سنة إحدى وتسعين ومائتين إلى أن توفي الأمير عبد الله بن محمد رحمه الله . فلما ولي أمير المؤمنين ، أطال الله بقاءه ، الخلافة ، أقره أحمد بن محمد بن زياد على القضاء مدة يسيرة ، ثم عزله .

(١) الأنبياء : ٧٨ : ٧٩ .

ذكر القاضى اسلم بن عبد العزيز

قال محمد :

هو أبو الجعد أسلم بن عبد العزيز بن هاشم بن خالد بن عبد الله بن
حُسين بن جعد بن أسلم بن أبان بن عمرو ، مولى عثمان بن عفان ،
رضى الله عنه .

وولاهم لعثمان بن عفان — رضى الله عنه .

كان عظيم القدر ، شريف البيت ، كريم الأبوّة ، معروف النصيحة ،
ظاهر الإخلاص للخلفاء — رضى الله عنهم — مَعَ الجلالة فى العلم ،
والإدراك فى الرواية ، والرّحلة فى الطلب ، والصحة فى الديانة .

سمع بالأندلس من علمائها ، ثم رحل فلقى بمصر : محمد بن عبد الله بن
عبد الحكم ، وإسماعيل بن يحيى المزنيّ ويونس بن عبد الأعلى ، وسليمان
ابن عمران بالقيروان ، وذلك فى سنة ستين ومائتين .

قال خالد بن سعد : سمعت أسلم بن عبد العزيز ، يقول :

دخلت حمام الإصطبل يوماً ، فلما خرجتُ لقيتُ محمد بن عبد الله
ابن عبد الحكم راكباً على حمار ، فسلم علىّ ، وكان قد عرّفنى بسماعى
منه ، فقال لى : من أين أقبلت ؟ فقلت : من الحمام ، فقال : وأى حمام (١) ؟
قلت : حمام الإصطبل ، فقال : مثلك يدخل حمام الإصطبل ؟ فقلت له :

(١) الاصول : « وأى الحمام » .

وما شأنه ؟ فقال لى : هو مغضوب لا يحل دخوله ، فقلت له : ومن غصبه ؟
فقال : كان لبني أمية ، فقلت له : مهما حرّم على أحد فإنه لى حلالٌ ،
فقال لى : وكيف ذلك ؟ فقلت له : الحرامُ لهم وأنا منولى القوم .
قال : فضحك ابن عبد الحكم :

قال أسلم : فكنت إذا أتيتُ مجلسه بعد ذلك ، وقد كثر الناسُ فيه ،
قال خف^(١) إلى هاهنا ، فيُدنّيني ويكرمنى ، ويقول : من طريق
ذلك الطريق .

يعنى ابنُ عبد الحكم أن ولاءه أيضاً لبني أمية ، رضى الله عنهم .
قال محمد :

ولما قضى أسلم بالمشرق حجّته وسَماعه انصرف ، فقال الوجاهة
العظيمة ، والمنزلة الشريفة .

وكان أميرُ المؤمنين — أطال الله بقاءه — عارفاً بمذاهبه الحسنة ،
ومرؤيته السكاملة ، وأوصافه المحمودة ، فلما عزّل أحمد بن محمد ابن
زياد عن القضاء ولّى أسلم بن عبد العزيز قضاء الجماعة بقرطبة سنة ثلثمائة
يوم الأربعاء لسبع بقين من جمادى الآخرة ، فسُدّ كرتُ بالسالمين من عيون
القضاة [فى]^(٢) لإيثار الحق وإمضاءه ، وكان صارماً صلياً ، لا هوادة
عنده لظالم ، ولا مُدْأَهنة مع مُبْطَل .

قال محمد : أخبرنى مَنْ أُنقُ به من أهل العلم ، قال :
كان بقرطبة رجل أعجمى ممن استنزل من الحصون المخالفة ، وكانت له
امرأةٌ محرّمةٌ مسلمة ، فاستجارت بالقاضى أسلم بن عبد العزيز فأجارها ،

(١) الأصول : « خلف » ولعلها محرفة عما أثبتنا .

(٢) تكلمة يقتضيها السياق .

وبدأ بالنظر في أمرها . وكان في ذلك الوقت الحاجب بدر بن أحمد يحل
من أمير المؤمنين - رحمه الله - محلاً لطيفاً . فلم ينشب القاضي أسلم^(١)
أن أتاه يعلى ، عن الحاجب بدر فقال له : الحاجب يقرأ عليك السلام
ويقول لك : إن هؤلاء العجم إنما استنزلناهم بالعهد ، ولا يحل الخمر^(٢)
بهم ، وأنت أعلم بما يجب من الوفاء بالعهد ، فدع ما بين فلان العجمي
و ما^(٣) بين الأمة التي في يديه ، فقال أسلم ليعلى : الحاجب أرسلك
بهذا ؟ قال : نعم ، قال : فأخبره عنى : الأيمان كلها لازمة لى ، لا نظرت
بين اثنين حتى أنفذ على العجمي ما يجب عليه من الحق في هذه الحرة
المسئلة التي في يديه ، فذهب عنه يعلى ، ثم رجع إليه ، فقال : الحاجب
يقرأ عليك السلام ، ويقول : إني لا أترضك في الحق ، ولا أستحل
سؤال ذلك منك ، وإنما أسالك التثبيت فيما يجب من حق هـ - هؤلاء
المعاهدين ، فقد علمت ما يجب من رعايتهم ، وأنت أعلم بالواجب .

قال محمد :

وكان القاضي أسلم بن عبد العزيز شديد المبادأة^(٤) في الحق ، قليل
المداراة فيه ، وكان ربما أخرج ذلك بلفظ نادر ، ومعنى طيب ، يعجب
بمعناه من جهة الرأى ، ويستندر لفظه من جهة النادر والفكاهة .

أخبرني مخبر^٥ من أهل العلم ، قال :

دخل أبو صالح أيوب بن سليمان ، وسعد بن معاذ ، على القاضي
أسلم ، فلما أخذوا مجلسيهم ، نظر إليهما أسلم ، ثم قال : ألقوا ما أتم
مُلقون ، فأبهتتهما بنادر لفظه ، وبصدق معناه .

(١) الأصول : « وأتاه » .

(٢) الأصول : « الحقد » وما أثبتنا هو الصحيح .

(٣) تكملة يقتضيهما السياق .

(٤) الأصول : « المبادئة » ولعلها محرفة عما أثبتنا .

قال :

ودخل عليه محمد بن وليد الفقيه يوماً ، فكلّمه في شيء ، فقال له
أسلم سمعنا وعصينا : فقال له : ابن وليد : ونحن قلنا واحتسبنا .

قال :

ودخل عليه رجلٌ ممن كانت له خصومة ، فقال له : قد أتيتك برجل
يشهد لي من إشبيلية يدخل ، فأظهر التعجب من ذلك ، وكأنه اتهمه ، فلما
صار الشاهد بين يديه ، قال له القاضي : محتسب أنت أو مكتسب ؟ فصادف
عند الرجل انكفةً ، فقال له : ما عليك يا قاضي أن تسألني عن مثل هذا ،
إنما عليّ أن أقول وعليك أن تسمع ، ثم أنت بالخيار ، إن شئت فاقبل
وإن شئت فلا تقبل ، قال : فأخجل أسلم كلامه وصحة معناه ، ثم قال :
قل ، فقص الرجل شهادته ، ثم وضع يديه في الأرض وقام عنه .

ومن المستفيض عنه قوله لرجلٍ من أهل لبلة ، وقد أتاه وسلم عليه ثم
جلس ، ثم قال : تعرفني يا قاضي ، قال له : لا ، قال : أنا قاضي لبلة ،
فقال أسلم : ما تنكر لله قُندرة .

وبلغني أنّه بلغه عن بعض الفقهاء أنّه أقبل^(١) إليه ليشهد عنده
شهادة قد أهدى إليه صاحبها بساطاً ، فلما دخل عليه ونزع أخفافه وهم
أن يمشي على البساط قال : تحفظ من البساط ، فلم يجدر أن يشهد بما أتى
ليشهد فيه .

قال محمد : وسمعتُ من يحيى .

أنه جاء رجلٌ من النصارى مستقتلاً^(٢) لنفسه ، فوبخه أسلم ، وقال :

(١) الأصول : « يقبل » .

(٢) مستقتلاً لنفسه : مسلمها للقتل .

ويذك ، من أغراك بنفسك أن تقتلها بلا ذنب ؟ فبلغ من سخف النصراني وجهه إلى أن انتحل له فضيلة لم يقرأ بمثلها (١) لعيسى (٢) بن مريم — صلى الله على محمد وعليه — فقال للقاضي : وتوهم أنك إذا قتلتني أني أنا المقتول ؟ فقال له القاضي : ومن المقتول ؟ فقال له : شهبى يلقي على جسد من الأجساد فتقتله ، وأما أنا فأرفع في تلك الساعة إلى السماء ، فقال له أسلم : إن الذي تسعيه من ذلك غائب عنا ، والذي يخبرك به من تكذيبك غائب عنك ، ولكن ثم وجه يظهر صدقه لنا والك ، فقال له النصراني : وما هو ؟ فالتفت أسلم القاضي إلى الأعوان ، ثم قال : هاتوا السوط ، ثم أمر بتجريد النصراني ، فـجُرِدَ ، ثم أمر بضربه ، فلما أخذته الشياطين جعل يقلق ويصبح ، فقال له أسلم : في ظهر من تقع هذه الشياطين ؟ فقال : في ظهري . قال له أسلم : وكذلك السيف والله في عنقك يقع فلا تتوهم غير ذلك .

قال محمد :

فكان أسلم قاضياً محمود السيرة ، مَشْكُور الحال ، من سنة ثلثمائة إلى آخر سنة تسع وثلثمائة .

وكان صاحب الصلاة في تلك المدّة محمد بن عمر بن لِبَابَة .

وكان أمير المرمنين كثيراً ما يتخلف (٣) أسلم بن عبد العزيز في سطح القصر إذا خرج في مغازيه .

ثم ألحَّ أسلمُ على أمير المرمنين — أطال الله بقاءه — في الاستعفاء من القضاء ، فعافاه منه .

(١) الأصول : « بمثلها » .

(٢) تكملة يستقيم بها السياق .

(٣) الأصول : « يتخلف » ولا يستقيم بها المعنى .

قال محمد : قال لي محمد بن عبد البر :

كنت بين يدي أسلم جالساً حين^(١) أتاه الفتي من عند أمير المؤمنين
— أعزه الله^(٢) — بأمر عزله عن القضاء ، قال : فوَجِمَ ثم أطرق
ساعة ، ثم قال : الحمد لله الذي عافاني منها ، فطالما سألته ذلك .

قال محمد بن عبد البر^(٣) : فأكدت بصيرته في ذلك ، وذكرته بكثرة
تمنييه للعافية منها .

قال لي بعض رواة الأخبار :

وكان في ذلك الوقت مرشحاً للقضاء رجل ، كان في أبويه عجمة ،
فلما عزل أسلم وولى الحبيب ، جعل أسلم يقول : الحمد لله الذي جعلني
من يقول : لا إله إلا الله ! يعرض بالرجل المرشح الذي كان
آباؤه عَجَمًا .

(١) الأصول : « حتى » وما أثبتناه يقتضيه السياق .

(٢) الأصول : أمر بعزله « والأصح ما أثبتنا .

(٣) الأصول : « عبد الله » وصاحب الخبر هو : محمد بن عبد البر

المتقدم ذكره في صدر الخبر .

ذكر القاضي أحمد بن محمد بن زياد المرّة الثانية

قال محمد : قال لي بعضُ رُواة الأخبار . وكان السببُ في إعادة الحبيب إلى القضاء ، أنَّهُ لما ولي أسلم القضاء أذلَّ الحبيب في نفسه وفي صنائعه ، واستقصى عليهم ، وركب إلى الحبيب بنفسه وهدم عليه حائط مَسْبِيَّتِهِ^(١) ، وأخرج منها إلى الطريق صفيين من شجر ، بما ثبت عنده ، فجعل نفسه الحبيب في الطلب ، فأول ما بدأ باستصلاح أمِّ وَلَدِ بدر ، فلما أصلح جانبها أصلحت له جانب بدر ، فاختلف إليه الحبيب مرَّات ، ثم قال له يوما : نسيتني يا أبا الغصن ، ففكر في أوليائك وفي أعدائك ، ثم أين تجعلني وأين تجعل أسلم ؟ فلها عنه بدر وقال : لست بالله أغفل أمرك .

ثم تاهب أمير المؤمنين لغزوة من الغزوات ، نخرج الحبيب مُشيعاً لبدر ، فقال له : إن الأمير لا يعرفك بالمخالطة حق المعرفة ، ولكن كاتبه في هذه الغزاة ، ووال بالكتب ، ثم إذا كان القفْلُ^(٢) فاخرج ، وأبدر^(٣) الناس إلى التلقى بنا . ففعل ، فكاتب وألح بالكتب وجووباً ثم خرج عند القفل فتلقى الأمير على مسيرة يوم ، فأمره الأمير ، فتقرَّب وواكب ، وأخلى له بندرُ موضع المواكبة ، وكان الحبيب كثيرَ الخبر ،

(١) المنية ، بالكسر : الضاحية (تاج العروس : منى)

(٢) القفل : الراجعون ، اسم جمع .

(٣) أبدر الناس : كن أسرعهم .

فاستولى بالحديث على الأمير نسقاً واحداً ، إلى منيعة نصر ، فاستحيا منه أمير المؤمنين ، وتسلّم في أمره مع بدر ، ثم ولّاه ذلك الوقت القضاء ، وأظهر إسعاف أسلم بما كان يسأل من الاستعفاء .

قال محمد :

ولما عافى أمير المؤمنين — أعزه الله — أسلم بن عبد العزيز وعزله عن القضاء ، أعاد أحمد بن محمد بن زياد إلى قضاء الجماعة وإلى الصلاة ، فلما ولى تعنت^(١) أمناً أسلم بن عبد العزيز وامتنحهم في الودائع ، واضطرهم إلى إحضار ما بأيديهم من الأموال .

قال لى أحمد بن عبادة :

فلقد سررت إلى الحبيب ، وهو جالس في المسجد الجامع ، يمتحن الناس ، ويكشفهم عن الأموال ، جلست ساعة ، ثم قمت عنه ، في حين لا يقوم عنه قائم إلا ياذنه ، وبعد فصل من أمره ، فنظر إلى الحبيب نظرة ، فأخبرني من كان إلى جنبه ، وقد^(٢) التفت إلى إذ قمت ، فقال : ما أرى على الرجل في الديوان شيئاً ، يعنى مالا ، قال : فقلت : ما أرى ذلك .

قال أحمد بن عبادة : ولم أشعر بعد أيام حتى أتى رسول القاضى الحبيب يأمرني بالإقبال إليه ، فأقبلت ، فقال لى : وجدت لك اسماً في الديوان يقبض مال ليتيم ، ولم أجداك منه براءة ، قال : فقلت له : اليتيم حتى رشيد ، وقد أطلقته من الولاية ، وبرئت له من جميع^(٣) ما كان له عندى : فإن أتاك يدعى شيئاً مما كان عندى فهو المصدق بلا بينة ولا يمين

(١) تعنت : أذى .

(٢) الأصول : « قال » وما أثبتنا يتصل به الكلام .

(٣) الأصول : « بجميع » ويبدو أنه محرف عما أثبتناه .

فقال : ولا كل هذا . إنما كرهت أن يكون ذكرك في الديوان بقبض
مال بغير ذكر البراءة منه . ثم خرجت عنه .

قال محمد :

ولم يزل الحبيب قاضياً في المرة الثانية وصاحب الصلاة حتى توفي غير
معزول ، في سنة عشرة اثنتي وثلاثمائة .

ذکر القاضی أسلم بن عبد العزیز المرّة الثانیة

قال محمد :

ولما توفی القاضی أحمد بن محمد بن زیاد أعاد أمير المؤمنین - أطال الله بقاءه - أسلم بن عبد العزیز إلى القضاء ، وولى أحمد بن بقیّ بن مخلد الصلاة ، فكان أسلم بن عبد العزیز صَنِيع الحبيب فی الاستقصاء علی الأمانة ، فوَقَّفَ أسلم بن عبد العزیز أمانة الحبيب مَوْقف الامتحان والاستقصاء .

قال محمد :

وكان أسلم فی قضائه هذا الثانی قد أدركه الوهن ، وأخذت منه السنّ ، فانكسر بعض الانكسار ، غیر أنه [كان] ^(١) باق الفطنة ، مجتمع الفهم ، یقرأ علیه العلم ، وتعرض علیه الکتب ، من فنون الحديث ، وأبواب الفقه ، فلا یزول عنه من الصواب شیء ، ولا یشد عنه من المعافی ما یشد علی مثله من أهل الکبرة والسن ، كان كذلك حتی کف بصره ، وضعف بدنه ، وعجز عن التصرف ، فعزله أمير المؤمنین - أعزه الله - عن القضاء سنه أربع عشرة وثلثمائة ، ثم كانت وفاة أسلم بعد ذلك إلى سنین سنة سبع عشرة وثلثمائة .

(١) تکملة یستقیم بها الكلام .

ذكر القاضى

أحمد بن بقى بن مخلد بن يزيد

قال محمد :

ولما عزَلَ أمير المؤمنين . أعزّه الله : أسلم بن عبد العزيز عن
القضاء ، ولى أحمد بن بقى بن مخلد قضاء الجماعة ، وأقرّه على الصلاة التي
كان عليها ، وذلك في سنة أربع عشرة وثلثمائة ، فكانت مذاهبه محمودة ،
وسيرته حسنة ، وهديه جميلا ، وكان له من الوقار والإخبارات (١) ما بذَّ به
أهلَ زمانه ، وفات فيه أهل عصره .

قال محمد :

جالست أحمد بن بقى زماناً ، فرأيتُه عاقلاً ، حصيفاً ، داهياً ،
أديباً ، وكانت له أخلاق كريمة ، وآداب لطيفة ، وكان يحسن ما يحاوله
قولا وفعلا ، وكان مجيدا في لفظه ، مبيّنا في كلامه ، بليغ اللسان في
خطبته ، طويل القلم في كتبه ، وكان أنيس المجلس ، كثير الحكايات .

قال محمد :

وسمعت ولى عهد المسلمين — أبقاه الله — وقد ذكر أحمد بن بقى ،
فوصف من صدقه وتواضعه ، فقال فيما ذكر : قال لى الحاجب موسى
ابن محمد بن حدير : سألت أحمد بن بقى عن نسبه وولائه فقال : ولاؤنا
لامرأة من أهل جيسان .

(١) الإخبارات : الخشوع .

قال محمد :

ثم جعل ولي العهد — أبقاه الله — يعجب من صدقه وإنصافه، وقال :
لو شاء لادّعى أشرف الأنساب ، ثم لا يجد في ذلك مكزباً .

قال محمد :

ومما يحكيه الناس عن موسى بن محمد الحاجب ، أنه قال : عافانا الله
من أحمد بن بقسى أنه مال إلى الآخرة وطريقها ، ولو مال إلى الدنيا
لشغلنا بأنفسنا .

قال محمد :

ولم يزل أحمد بن بقسى مُز كان في حدّاته سنّة مُعظماً ، موسوماً
بالخير ، معروفاً بالفضل ، ظاهر السؤدد ، شاووره الأمير عبد الله ابن محمد
وهو ابن خمس وعشرين سنة .

قال محمد : وسمعت بعض أهل العلم يحكي ، قال :

أرسل الأمير الوزراء في أبي مروان عبيد الله بن يحيى بن يحيى ، وفي
أبي عبد الله أحمد بن بقسى بن مخلد ، فشاورهما في بعض الأمر ، ثم
انصرفا ، فلما خرجا جعل نصر^(١) بن سلمة يحدث أصحابه ويعجبهم من تغير
الأحوال ، وتقلب الأمور ، فقال لهم : أتاني عبيد الله بن يحيى ، وأنا
قاض في حياة بقسى بن مخلد ، فقال : لست والله أرى أن تستشيرني مع
بقي بن مخلد في مجلس واحد ، فتجعلني له نظيراً ، ولكن إذا أردت شيئاً
من ذلك ، فأرسل فيه في وقت ، وأرسل في وقت آخر ، ولا تجمعنا
جميعاً ، قال : فلم يمت حتى أرسل الأمير في ولد بقسى بن مخلد ، وفي
عبيد الله ، فشاورهما في مجلس واحد .

(١) الأصول : « بشر » صوابه ما أثبتنا .

قال محمد :

وكانت أخلاق أحمد بن بقی من أخلاق أبيه بقی بن مخلد في المداواة والإغضاء ، وحسن الإقبال على عدوّه ، وجميل الصّفح عن ظالمه .

قال لى عبد الرحمن بن أحمد بن بقی :

كنتُ بحضرة أبي ، حتى أتى من يحيكى عن رجل ، أنه رفع فيه بطاقة إلى أمير المؤمنين - أعزه الله - فجعل يدعو لذلك الرفع بالتوبة ، ويتحین عليه من المآثم .

قال خالد بن سعد :

أتيت أحمد بن بقی نهار جنازة ولد الحبيب بن زياد ، فقال لى : هل لك رأى في السّير إلى دار المتوقّى ؟ قلت : نعم . فصحبته ، وخرج وهو ماش من المسجد إلى دار الميت ، فلما أتينا بعض الطريق ، قال : لقد أذاني هذا الميت ، وقد صبرتُ دليبه إذ كان في الدنيا فلم أكفته ، وهو اليوم أحوجُ إلى أن أصبر عليه ، أشهدك أنه في حلٍّ من كل ما فعل بي .

قال محمد :

وكان أحمد بن بقی رءوف القلب ، رفيق العقوبة ، وله في مثل هذا المعنى خاصة أخبارٌ معجبةٌ مستجملة ، بخروجها عما عُرِف من أخلاق الناس وأخبارهم .

قال لى أحمد بن محمد بن عمر بن لبابة ، وفرج بن سلمة البلوى .

حضرنا أحمد بن بقی في مجلس نظره ، وقد أتته امرأة ، تخاصم زوجها ، فاستطالت عليه بلسانها ، وأذته بصلفها ، فنظر إليها ، فقال لها : أقصرى وإلا عاقبتك ، فانكسرت المرأة شيئاً ، ثم عاودت الصلف ، فقال لها القاضي : أقصرى وإلا عاقبتك ، فانكسرت ، ثم عاودت

الصلف ، فعطف عليها أحمد بن بقر فجعل يقول لها : أنت ظالمة ، أنت ظالمة ، ثلاثا ، ثم قال لها : ألم أخوفك من قبل هذا ؟
قال : فزده كانت عقوبته للمرأة على صلفها أن قال لها : أنت ظالمة ، ثلاثا .

قال لى فرج بن سلمة :

وكننت قد حضرت مجلس أسلم . وقد أتته امرأة تسأل الفرض على زوجها ، فقال أسلم لأبى عبد الله محمد بن قاسم : أفرض لها ، ففرض ، فأبت المرأة القبول^(١) واستقلت الفرض ، وقالت : ما ثم أحد يتكلم لله . فدعا أسلم ، لما سمع صلفها ، بالسوط ، ثم أمر بها فقتنع رأسها أسواطاً ، فزادت المرأة أن جعلت كسما على رأسها حتى فرغ [من]^(٢) الضرب ، فلما فرغ [منه]^(٣) قالت^(٤) للقاضي : أحسنت يا قاضي ، هكذا يفعل القضاة بالله الذى لا إله إلا هو لا قبلت هذا الفرض الذى فرض لى .

قال فرج بن سلمة : فلما شهدت يفعل أحمد بن بقر للمرأة شكرته على رفقته ورأفته ، وحكيت له ما فعل أسلم بن عبد العزيز فقال : الله المستعان ، وأسأل الله التوفيق .

وسمعت الناس على الاستفاضة يقولون :

لم يَقتنع^(٥) أحمد بن بقر فى طول أيامه أحداً بسوط ، حاشى رجل واحد يسمى منخّل ، فإنه كان شر مخلوق ، فضربه أسواطاً ، فلم يبق أحدهم إلا شكر لأحمد بن بقر فعله فيه .

(١) الأصول : « من القبول » والفعل يتعدى بنفسه .

(٢) تكلمة يستقيم بها المعنى .

(٣) تكلمة يستقيم بها المعنى .

(٤) الأصول : « قال » ولا يستقيم بها الكلام .

(٥) لم يقتنع : لم يضرب .

حدثني أصبغ بن عيسى الشقاق ، قال :

كنت مقبلاً يوماً مع القاضي أحمد بن بقي ، حتى عن لنا سكران
يمشي بين أيدينا ، فجعل أحمد بن بقي يمسك من عنان دابته ، ويفرق
في سيره ، يرجو أن يغيب عنه السكران أو يحبس به ، فيذهب مسرعاً ،
فكان كلما ترفق القاضي وقف السكران ، حتى لم يكن للقاضي بد من أن
يقرب منه وينظر إليه .

قال أصبغ : وكنت أعرف كراهية القاضي أن ينتشب^(١) في مثل
هذا ، ورقة قلبه أن يقرع أحداً بسوط ، فقلت في نفسي : ليت شعري !
كيف تصنع في مثل هذا يا ابن بقي ؟ فلما قربنا من السكران تعاطف^(٢)
على القاضي ، فقال : مسكين هذا السائر ! أراه مخبول العقل ، قال : فقلت
له : بلية عظيمة ، فجعل يستغفر الله ، ويسأله أن يأجر المصاب
في عقله .

قال أصبغ :

و كنتُ عنده يوماً أنا وكاتبه ابن حصن ، حتى أتاه رجلٌ محتسب^(٣)
برجلٍ به رائحة الشراب ، وادعى^(٤) المحتسب ، فقال القاضي لكاتبه ابن
حصن استنككه^(٥) فاستنككه ، فقال له : نعم ، عليه رائحة الشراب .
قال : فظهر بوجه الكراهية لذلك ، ثم قال لي : استنككه أذت ،
ففعلت ، فقلت له : أجد رائحةً ولا أدري إن كانت رائحة مسكرٍ أم لا .

(١) انتشب : علق

(٢) الأصول : « تعاطف »

(٣) المحتسب : من يتولى منصب الحسبة ، وهي الاشراف على

الشتون العامة

(٤) الأصول : « ودعا » ويبدو أنها محرفة عما أثبتنا

(٥) استنككه : شم رائحة فمه

قال : قهقهل وجهه ، ثم قال : يطلق ، فلم يثبت عليه شيء .

قال محمد :

وقد قدمت عذر من أغضى عن حد السكر من القضاة ، في باب ذكر محمد ابن زياد القاضي ، فأغنى عن ذكره في هذا الموضوع .

قال محمد : أخبرني بعض إخواني ، قال :

كنت حاضراً عند أحمد بن بقر ، فأمر بحبس رجل ، ثم قال لمن بين يديه سرّاً . أطلبوا إلي في إطلاقه ، فجعل القوم يطلبون إليه ، فأسمعهم ، وقال للأمور بحبسه ، لولا طلب^(١) من حضر إليّ لحبستك .

قال لي عبد الرحمن بن أحمد بن بقر :

وكان إذا طرقة ضيف ليلاً لم يذبح له شيئاً من الطير ، وقال : الليل أمان لها ، ويقتصر على العسل والسمن والبيض ، وماشا كل ذلك ، فيقرّبُ به إلى الضيف .

قال محمد :

وكان حسن الانتقاد والفظنة في الوثائق ، كان لا يوقع شهادته في وثيقة حتى يقرأ جميعها ، من أولها إلى آخرها ، وكان يصبر على ذلك ، وإن كان قائماً على قدميه .

قال لي أحمد بن عبادة الرعيبي :

كتبت لنفسي وثيقة على رجلٍ بمال ، وذكرت في الوثيقة سبباً اضطررت فيها إلى ذكره ، وكانت الوثيقة بذكر ذلك السبب واهنة ، وأرسلت شريكاً لي ليقع فيها الشهادات على الرجل ، قال : فأني بالوثيقة إلى أحمد بن بقر ليشهده فيها ، فلما قرأها ووقف على وهنها ، كره أن

(١) الأصول : « طلبية » والطلبية : المطلوب والحاجة .

يوقع شهادته على ذلك الوهن ، وكره ألا يوقع شهادته فيسخط الصديق
 باقتباضه عنه ، وكره أن ينبه المشهود عليه بوهنها .
 قال : فرفع رأسه إلى الرجل ، فقال له : أتشهدني أن فلان عندك
 كذا وكذا مثقالا إلى أجل كذا وكذا ؟ قال له : نعم ، فعقد شهادته على
 هذا اللفظ بعينه لا غير .

قال محمد : قال لي بعضُ رُواة الأخبار :

كان محمد بن إبراهيم بن الجباب صاحب الوثائق ، فأمر أحمد
 ابن بقي بالتعقب عليه ، فكان يتعقب لجعل ابن الجباب يوماً يقول :
 من أين يتعاطى ابن بقي أنه أعلم بالوثائق مني ؟ فبلغ لفظه
 ابن بقي ، فسكت عنه حتى كتب وثائق ، ثم أتى بها أحمد
 ابن بقي للعرض ، فاستفرغ ابن بقي فيها جهده ، حتى أخذ
 عليه مواضع أبانها له ، قال له : أبدلها . فأبدلها ، ثم أتى بها ،
 فانتقد عليه أيضاً فيها ، فأرسل إليه ابن الجباب : أنا أقرُّ لك
 أنك أعلمُ بها مِنِّي ، وأشهد بذلك لك ، فَدَعَى من كثرة هذا
 الكشف والبحث وإلا حلفتُ ألا أكتب وثيقة ،
 فتركه ابن بقي بعد ذلك وسأحه .

قال لي أحمد بن عبادة :

وكنتُ عند ابن بقي يوماً ، وعنده رجلٌ غير نبيه الاسم ،
 ولا مشهور العدالة ، ولم يكن عنده غيرُنا ، وجعل رجلٌ دخل
 عليه يقول له : أشهدني أبا عُمَرَ ، وأبا فلان - الرجل الثاني -
 الذي كان معي جالساً ، وجعل ابن بقي يَلْسُذُني^(١) عن الإجابة ،
 وألحَّ عليه الرجلُ إلحاحاً شديداً .

(١) الأصول : « له » ولا يستقيم بها المعنى .

قال أحمد بن عبادة : فقلت في نفسي : أترأه يجعلني نظيراً لهذا
الجالس فيشهدنا جميعاً على شيء يحكم به ؟

قال : فرفع رأسه إلى الطالب ، فقال له : إني أدرف انقباض أبي
عمر عن هذه الشهادات ، ولكن أدخل إلى فلانا أشهده مع أبي فلان ،
وأمر بإدخال رجل من شاكلة الرجل الجالس .

قال محمد :

وكان شأن أحمد بن بقی ، فيما يتخاصم عنده فيه ، أن ينفذ الظاهر
البين من الأمور ، ويستعمل الأناة والتؤدة فيما التبس عليه ، وكان عنده
فيه شك ، حتى تظهر له الحقيقة ، أو يصير المتخاصمان إلى التصالح
والتراضى .

قال لى عبد الرحمن بن أحمد بن بقی :

أتى رجل إلى أمير المؤمنين - أعزه الله - ذكرك في مجلسه بلبين
الجانب ، والتطويل في الأحكام ، فقال : أعود بالله من لبين يؤدى
إلى ضعف ، ومن شدة تبلغ إلى عنف .

ثم جعل يذكر فساد الزمان ، واختيال الفجار ، وما يحدث من
الأمور المشبهة التي لا تتبين له حقيقتها ، ولا يكشف له وجهها ، ثم قال :
قد اشتبه على عمر بن الخطاب - رضى الله عنه - خصومة قوم طال
نظره فيها ، فكره أن يحكم مع الاشتباه ، فأمرهم بابتداء الخصومة
من أولها .

قال محمد : وذكر لى بعض أهل العلم ، قال :

اختصم لى أحمد بن بقی رجلان ، فنظر لى أحدهما يحسن ما يقول
ونظر لى الآخر لا يدري ما يقول ، ورآه تتوسم فيه ملازمة الحق ،

فقال له : يا هذا ، لو قدمت من يتكلم عنك ؟ وأرى صاحبك يدري ما يكلم ، فقال له : أعزك الله ، إنما هو الحق أقوله كأثنا ، فقال : ما أكثر من قتله قولُ الحق !

قال :

وأثاه رجلٌ يوماً ، فقال له : ياسيدي ، الحاجب موسى بن محمد يقرأ عليك السلام ويقول لك : قد عرفت محبتى لك ، وشحى بجميع أسبابك ، وقد دار عندك على يحيى بن إسحاق ما قد علمت من المحاصمة ، وقد شهدت^(١) عندك^(٢) بالبينة العدول ، وتأنيت عن الحكم عليه ، وعن إنفاذه ، بما شهدت به البينة ، فقال لرجل : تبلغ الحاجب عنى السلام ، وتقول له : إن محبتنا إنما كانت لله ولوجهه ، ويحيى بن إسحاق وغيره في الحق سواء ، وقد دخل على أرتياب ، ولا والله ما أحكم على يحيى بن إسحاق بشيء ، حتى يتضح عندى أمره بنور ، كاتضح الشمس في الدنيا ، فإنه لا يجبرنى أحد من يحيى بن إسحاق إن جافانى^(٣) الخصومة بين يدى الله .

قال الرجلُ المرسل^(٤) : فحكيت كلام القاضى للحاجب ، وهو ساكت لا يقول شيئاً ، وأبو عمر أخوه الوزير يبدى ويعيد فى ذلك ، ثم تحول إليه الحاجب ، فقال له : يا أخى ، القاضى والله رجلٌ صالح ، لا زال بخيرٍ ما كان هو وشبهه بين أظهرنا^(٥) ، ولما نزل بيحيى بن إسحاق . ألم

(١) الأصول : « شهدت » .

(٢) الأصول : « البينة » .

(٣) الأصول : « جافانى » ويبدو أنها محرفة عما اثبتنا . وجاناه :

ادعى عليه جنابة .

(٤) الأصول : « المرسل » تحريف .

(٥) الأصول : « ولم » .

نكن نأمن هذا ونظمن إليه ؟ والله ما زاده عندى إلا محبة
واعتقاداً .

قال محمد :

وكان أمير المؤمنين - أعزّه الله - واثقاً به ، ومجلاً له ،
وعارفاً بحقه .

ولم يُعزَل عن القضاء حتى توفّي سنة أربع وعشرين وثلاثمائة وهو
ابن أربع وستين سنة .

(١) الأصول : « رادة » براءة مهملّة ، تصحيف .

ذكر القاضى أحمد بن عبد الله بن أبى طالب الأصمعى

قال محمد :

ولما توفى أحمد بن بى آستقضى بعده أمير المؤمنين - أعزه الله - أحمد بن عبد الله بن أبى طالب غُصن بن طالب بن زياد بن عبد الحميد ابن الصباح بن يزيد بن زياد الأصمعى ، وأدخله على نفسه ، وعهد إليه بما يعهد بمثله أئمة العدل ، وولاية الحق ، من إعظام الخطة وصياتها ، وإيثار الحق وإمضائه ، وتنفيذ الأمور إذا استبانت ، والأناة فيها إذا اشتبهت ، ووقفه على حدود القضاء ، وسياسة الأحكام ، وما يجب للقاضى وعليه فى كل حال قولاً وفعلاً .

وولّى أمير المؤمنين - أعزه الله - عند ذلك الصلاة محمد بن عبد الله ابن أيمن ، فكان أحمد بن عبد الله قاضى الجماعة ، ومحمد بن عبد الملك ابن أيمن صاحب الصلاة .

قال محمد :

وكان أحمد بن عبد الله شريف البيت ، نبيه الاسم ، صموتاً وقوراً مهيباً ، قد تأدّب فى القضاء ، وجرب الأمور ، ومن قبل ذلك فى مُبتدأ أمره كان قد ولاه أمير المؤمنين السوق والنظر فى أموال بعض كرائمته وقلده أسباب الأمانات فى بعض السكور ، وولاه قضاء كورة البيرة ، فكان بها حتى نقله أمير المؤمنين - أعزه الله - إلى قضاء الجماعة بقُرطبة ، فكان قاضياً سنتين وشهوراً يسيرة ، ثم توفى فى ذى الحجة سنة ست وعشرين وثلاثمائة .

ذكر القاضى محمد بن عبد الله بن أبى عيسى

قال محمد :

ولما توفى أحمد بن عبد الله بن أبى طالب ، أمر أمير المؤمنين —
أطال الله بقاءه باستقدام محمد بن عبد الله بن أبى عيسى كثير بن وسلاس
المصمودى ، كان قاضياً على كورة لبيرة قبلها ، وأتى محمد بن عبد الله
ابن أبى عيسى باب أمير المؤمنين — أعزه الله — وأدخله على نفسه ،
وشافه بالخطاب ، وأعلمه باختياره إياه ، وولاه قضاء الجماعة ، وعهد
إليه ، ووعظه ووصاه .

قال محمد : قال لى أبو عمر أحمد بن عبادة الرعيني .

وصف لى القاضى محمد بن عبد الله بن أبى عيسى ماخاطبه به أمير
المؤمنين — أعزه الله — إذ ولاه القضاء ، من عهده إليه ، ووعظه له ،
ووصيته إياه ، وما حدث له فى ذلك من الحدود ، ورسم له من الرسوم ،
وما فقهه فيه من أسباب القضاء ، ووقفه عليه من وجوه الأحكام .

قال أحمد : فقلت : لو أن أباك كان حيّاً ، واجتهد فى عظمتك ، ما بلغ
من النصح لك هذا المبلغ .

قال محمد :

وأقر أمير المؤمنين — أعزه الله — محمد بن عبد الملك بن أيمن على
الصلاة زماناً ، فكان محمد بن عبد الله بن أبى عيسى ، القاضى وابن أيمن
صاحب الصلاة ، حتى ضعف بدن ابن أيمن ، وذهبت قواه ، فاستعفى من

الصلاة فعوفى ، وجمع أمير المؤمنين — أبقاه الله — الخطين جميعا :
القضا ، والصلاة ، لمحمد بن عبد الله بن أبي عيسى .

قال محمد :

ومن قبل ذلك لم ينزل محمد بن عبد الله بن أبي عيسى في حادثة السن ،
وباكورة العمر ، معروف الحق ، ظاهر السُّرُود ، وطالبا للعلم .

سمع أحمد بن خالد الجباب ، سمع منه ومن غيره ومن شيوخ قرطبة ،
ثم تحمل حاجتا سنة اثنتي عشرة وثلاثمائة ، فلقى شيوخ القيروان : البجلي محمد
ابن علي ، وأحمد بن أحمد بن زياد ، ومحمد بن اللباد ، وإسحاق ابن
نعمان ، وسمع أيضا بمصر من غير ما رجل من شيوخنا ، ولقي بمكة
أبا بكر المنذر ، والعقيلي وغيرهما^(١) ، وانصرف إلى الأندلس سنة أربع
عشرة وثلاثمائة .

وكان أحمد بن بقى ، قاضى الجماعة ، يشاور محمد بن عبد الله ابن
أبي عيسى مع سائر الفقهاء .

وقلده أمير المؤمنين — أطال الله بقاءه — غير ما أمانة ، فقام
بما حمل ، واكتفى بما استكنى ، ثم ولاه قضاء كورة جيان ، وكورة
البيرة ، وكورة طليطلة ، وامتحنه في كل وجه ، وعجمه في كل معنى ، وكفى
بمحنة أمير المؤمنين — أعزه الله — واختباره ، فألفاه خالصا ، ووجده
ناصحا ، فلما شهدت له عنده التجربة بدرجة الاستحقاق ، قلده قضاء
الجماعة ، على حسب ما نصصت متقدما ، فتولاها بسياسة محمودة ، من
تنفيذ الحقوق ، وإقامة الحدود ، والكشف عن البيئات في السر ،
والصدع بالحق في الجهر ، لم يستمله بخادع ، ولم يعمل فيه كيد مخاقل ،

(١) الاصول : « وغيره » .

ولا خاف أهل الحُرَم ، ولا داهن أهل النَمّة ، ولا أغضى عن وُجوه
أهل الخِدمة في عظام الأمور ، وكبائر الأشياء ، فضلاً عن أصغر
الأسباب ، ومحقّر الحوادث .

قال لى أحمد بن عبادة :

كنت مع محمد بن عبد الله بن أبي عيسى يوماً في مقبرة الربض ،
حين^(١) نظر إلى شيء من آلة اللّوم مع بعض الوصفاء ، فأمر بكسره ،
فقبل له : إزّه لفلان ، وسمى له رجلٌ عظيم ، فلم يلتفت إلى ذلك
ولا نثاء عما أراد من كسره .

قال محمد :

وللقاضى محمد بن عبد الله بن أبي عيسى في باب الصلاة ، وإيثار الحق
وإقامة الحدود على وجوه الناس من أهل الحُرَم ، أخبار كثيرة ،
مشهورة في العامة ، معروفة في الخاصة .

قال محمد :

جالست محمد بن عبد الله بن أبي عيسى غير ما مرة فرأيتّه محمود
التصرف ، جميل المذهب ، كريم الأخلاق ، ثم ولى بعد ذلك قضاء
الجماعة ، فرأيت أحداً من عقلاء إخوانه يلومه في حوالة^(٢) ، ولا يعذله
في تغير ، بل يصنّفونه من ضد ذلك بما هو أولى بأهل المروءة ، وأشبهه
بصفة أهل السكّال .

قال محمد :

ولمحمد بن عبد الله بن أبي عيسى بعد هذا كآله نصيبٌ وافٍ من

(١) الأصول : « حتى » ولا يستقيم بها الكلام .

(٢) حوالة ، أى تحول .

الأدب ، وحظ كامل من البلاغة ، مخاطبا بلسانه ، ومُسكاتبا بقلبه ، وحقّ
لخيرة^(١) أمير الممنين ، وقاضى بيضته ، وحاكم مصره ، أن يكون
موصوفا بأكرم الصفات ، وموسوماً بأفضل الآلات .

قال محمد :

ثم أخرج محمد بن عبد الله بن أبي عيسى في صدر سنة ثمان وثلاثين
وثلاثمائة . فلما جاوز طليطلة ، ونزل بقرية تسمى نحارس ، من عمل
طليطلة ، قريبا منها ، أدركه أجله ، فتوفي فيها يوم السبت ، لانسلاخ
صفر سنة تسع وثلاثين وثلاثمائة ، وهو ابن أربع وخمسين سنة .

وكان مولده — فيما كان يذكر — في ذى الحجة . لثلاث عشرة ليلة
خلت منه ، من سنة أربع وثمانين ومائتين ، ودُفن بطليطلة ، رحمه الله .

(١) الخبرة ، بالفتح ، وبكسر ففتح : ما يختار .

(٢) مكان هذه النقط كلمة أخرى استعصت على القارئ ، وما أثبتناه

يستقيم به الكلام .

ذكر القاضى منذر بن سعيد بن عبد الله البلوطى

قال محمد :

ولى مُنذر بن سعيد يوم الجمعة لحمس خلون من شهر ربيع الآخر سنة تسع وثلاثين وثلثمائة قضاء الجماعة ، والصلاة فكان صُلْباً ، صارماً ، غير هيَّاب ولا جَبان ، ففضى باقى أيام المؤمنى عبد الرحمن — رضى الله عنه . فلما مات أمير المؤمنى الإمام الفاضل — رحمه الله — وولى الامام الحكم بن عبد الرحمن — أبقاء الله — أقرَّ مُنذر بن سعيد على خُطَّتَيْه ، فلم يزل قاضياً وصاحب صلاة .

وكانت صلواته فى جامع الزهراء طول ما قضى من أوّل ولايته القضاء إلى آخرها .

ثم توفى ليلة الخميس ، لليلتين بقيتا لذى القعدة ، آخر سنة خمس وخمسين وثلثمائة ، وهو ابن أربع وثمانين سنة .

ذكر القاضي محمد بن إسحاق بن السليم

قال محمد :

ثم ولى محمد بن إسحاق بن السليم يوم السبت ، لخمس عشرة ليلة
مضت من المحرم سنة ست وخمسين وثلاثمائة ، فكان عنده من الفضل في
علمه وفهمه ، وحسن النظر في الأمور ، وجميل الخلق في المعاشرة ما
هو مأثور عن القضاة المتقدمين .

وبقى محمد بن يحيى على خبطة الصلاة بقرطبة إلى أن مرض ،
فاستعفى ، كفعوفى .

وولى الصلاة بقرطبة القاضي محمد بن إسحاق بن السليم ، وذلك
يوم الفطر من سنة ثمان وخمسين وثلاثمائة .

تم السفر بحمد الله وحسن عونه وصلى الله على محمد نبيه وعبداه وعلى
آله وصحبه وسلم وكان الفرس آغ منه في صبيحة ، بل في الثلث الأخير ، من
ليلة الخميس السادس والعشرين لشهر ربيع الأول من سنة خمس
وتسعين وستمائة .

وكتبه بيده العبد الفقير إلى رحمة ربه المستغفر له من جميع ذنبه
عبد الله بن محمد بن علي اللواتي ، تغمده الله بعفوه وغفر له ولآبائه وللجميع
المسلمين أجمعين .

فرحم الله من دعا لكتابته وكاتبه وقارئه ومستمعه بالتوبة والمغفرة
لهم وللجميع المسلمين أجمعين .

. . .

ملكه وكسبه محمد بن محمد بن محمد بن عبد الرحمن اللواتي الشير
في طنجة با بن بطوطة عفا الله عنه وتاب عليه .

ثم ملكه وكسبه بأرض برتقال أعادها الله ، عمر بن أحمد بن يوسف
المقدسي ، ثم ملكه بعده ابنه إبراهيم بن عمر بن أحمد بن يوسف الفقيه
الشير بصغرك ، غفر الله له ، عام خمسة وسبعين بعد ثمانمائة .

فهارس الكتاب

وتنتظم :

- ١ - فهرست التراجم .
- ٢ - فهرست الاعلام .
- ٣ - فهرست القبائل .
- ٤ - فهرست الأماكن .
- ٥ - فهرست القوافي .
- ٧ - فهرست الكتب .
- ٨ - فهرست المراجع .
- ٩ - الخطأ والصواب .

(١) فهرست التراجم

- أبان بن عيسى بن دينار ٢٤ - ٢٦ ، ١٢٢ ، ١٢٣
إبراهيم بن العباس القريشي ٣١ ، ١١٥ ، ١١٦ - ١٢٠
إبراهيم بن محمد ٣٢ - ٣٣
ابن بشير = محمد بن بشير المعافري
ابن طريف = عبد الرحمن بن طريف اليحصبي
ابن عمران = مصعب بن عمران
ابن معمر = يحيى بن معمر
ابن بطوطة = محمد بن محمد بن عبد الرحمن النواتي
أبو الجعد = أسلم بن عبد العزيز أبو الجعد
أبو خالد = سعيد بن سليمان بن حبيب الغافقي أبو خالد
أبو عبد الله = أحمد بن بقی بن مخلد بن يزيد أبو عبد الله
أبو عقبة = الأسوار بن عقبة النصرى أبو عقبة
أبو عمرو = معاوية بن أبي أحمد صالح بن عثمان الخضرني أبو عمرو
أبو غالب = عبد الرؤوف بن الفرغ أبو غالب
أبو محمد = يحيى بن يحيى أبو محمد
أبو معاوية اللخمي = عامر بن معاوية بن عبد السلم أبو معاوية اللخمي
أحمد بن بقی بين مخلد بن يزيد أو عبد الله ٢٢٢ - ٢٣١ ، ٢٣٢
أحمد بن زياد بن عبد الرحمن اللخمي ١٤٢ - ١٤٥ ، ١٤٦
أحمد بن عبد الله بن أبي طالب الأصبحي ٢٢٢ ، ٢٢٣
أحمد بن محمد بن زياد اللخمي = الحبيب أحمد بن محمد بن زياد
اللخمي
أسلم بن عبد العزيز أبو الجعد ٢١٢ - ٢١٧ ، ٢١٩ ، ٢٢١ ، ٢٢٢ ،
٢٢٥
الأسوار بن عقبة النصرى أبو عقبة ١١٠ - ١١١
الأصبحي = أحمد بن عبد الله بن أبي طالب الأصبحي

الأعشى = محمد بن عيسى الأعشى

بشر بن قطن ٩٩

حامد بن عبد اللطيف الرعيني ١٠١

الحبيب أحمد بن محمد بن زياد اللخمي ١٢٨ ، ١٨٢ ، ١٩٦ ، ١٩٨ ، ٢٠٤

٢١١ ، ١١٧ ، ٢١٨ - ٢٢٠ ، ٢٢١

الحبيب بن زياد = الحبيب أحمد بن محمد بن زياد اللخمي

الحضرمي = معاوية بن أبي أحمد صالح بن عثمان الحضرمي أبو

عمرو

الخشني = محمد بن عبد السلام الخشني

زياد بن عبد الرحمن ٢٨

سعید بن سليمان بن حبيب الغافقي أبو غالب ١٣٥ - ١٤١

سعید بن محمد بن بشير ٢٩ - ٣٠ ، ٨٩ - ٩٢ ، ١٠٢

سليمان بن أسود الغافقي ١٣٥ ، ١٥١ ، ١٥٥ - ١٦٩ ، ١٧٠ ، ١٧٣

١٨١ ، ١٨٣ ، ١٨٤ ، ٢٠٥

عامر بن معاوية اللخمي أبو معاوية ٥٦ ، ١٨٢ - ١٨٥

عبد الرحمن بن طريف اليحصبي ٦٤ - ٦٦

عبد الرؤف بن الفرغ أبو غالب ٣٦ - ٣٧

عبید الله بن موسى الغافقي ١٠٠

عثمان بن أيوب بن أبي الصلت ٣١ - ٣٢

على بن أبي بكر الكيلاني يوانش ١٢٤

عمر بن شراحيل المعافري ٦١ - ٦٣

عمرو بن عبد الله بن ليث القبعة ١٤٣ ، ١٤٤ ، ١٤٥ ، ١٤٦ - ١٥٤ ،

١٥٧ ، ١٦٨ ، ١٦٩ ، ١٧٠ - ١٧٢ ، ١٧٣ ، ١٧٤ ، ١٧٥ ، ١٧٧ ،

١٧٨

عنتر بن فلاح ٤٤ - ٤٥

غناة عبس = معاوية بن أبي أحمد صالح بن عثمان الحضرمي أبو

عمرو

الفرج بن كنانة ٩٣ - ٩٨

القبعة = عمرو بن عبد الله بن ليث القبعة

قطن بن جزء التميمي ٩٩

محمد بن اسحاق بن السليم ٢٨٨
محمد بن بشير المعافري ٢٨ ، ٤٧ ، ٦٦ ، ٦٨ ، ٧٢ ، ٧٣ ، ٨٨ ،
١٠٢ ، ٨٩

محمد بن تميم بن حامد الرعيني ١٠٠
محمد بن زياد اللخمي ١٢٨ - ١٣٤
محمد بن سلمة الكيلاني ١٩٣ - ١٩٩ ، ٢٠٠ ، ٢٠١ - ٢٠٣ ، ٢٠٤

محمد بن عبد السلام الخشني ٣٣ - ٣٤
محمد بن عبد الله بن أبي عيسى ٢٣٣ - ٢٣٦
محمد بن عيسى الأعشى ٢٨ - ٢٩
مسرور بن محمد بن بشير المعافري ١٠٢
مصعب بن عمران ٢٧ - ٢٨ ، ٦٧ ، ٧٢ ، ٧٣ ، ٨٦
معاذ بن عثمان الشيباني ١٢١ ، ١٢٥ - ١٢٧
معاوية بن أبي أحمد صالح بن عثمان الحضرمي أبو عمرو ٥٠ - ٦٠ ،
٦٢ ، ٦١

معاوية بن صالح = معاوية بن أبي أحمد صالح بن عثمان بن عمرو
منذر بن سعيد بن عبد الله البلوطي ٢٣٧
مهاجر بن نوفل القرشي ٤٦
مهدى بن مسلم ٢٨ - ٤٣

موسى بن زياد = موسى بن محمد بن زياد
موسى بن محمد بن زياد ١٩٠ - ١٩٢ ، ١٩٣
النضر بن سلمة بن وليد الكيلاني ٨٠ ، ١٨٠ ، ١٨٦ - ١٨٩ ، ١٩١ ،
١٩٣ ، ١٩٩ ، ٢٠٠

اليحصبي = عبد الرحمن بن طريف اليحصبي
يحيى بن معمر الالهاني ٣٠ ، ١٠٣ - ١٠٩ ، ١١٢ - ١١٥ ، ١١٦
يحيى بن يحيى أبو محمد ٣٠ - ٣١ ، ٥١ ، ٧٢ ، ٨٥ ، ٨٦ ، ٩٠ ، ٩١ ،
٩٢ ، ١٠٦ ، ١٠٧ ، ١٠٨ ، ١١٢ ، ١١٦ ، ١١٧ ، ١١٨ ، ١٢٨ ،
١٢٩ ، ١٣٣

يحيى بن يزيد التجيبي ٤٧ - ٤٩
يخامر بن عثمان الشيباني ١٢١ - ١٢٣ - ١٢٤
يوانش = علي بن أبي بكر الكيلاني

(٢) فهرست الأعلام

- ابراهيم بن حسين بن خالد ١٢٧ ، ٢٠٧ ، ٢٠٨
ابراهيم بن عمر بن أحمد بن يوسف ٢٢٩
ابراهيم بن لبيب ١٥١
ابراهيم بن محمد بن باز ٣٣
ابن أبى أيوب القرشى ١٥٨
ابن أبى ربيع = سليمان بن محمد بن أبى ربيع
ابن أبى شيبة = أبو بكر بن أبى شيبة
ابن أبى عيسى ١٠٦
ان الأعرابي ٥٤
ابن الأغبس = أحمد بن بشير بن الأغبس
ابن أنتونيان (القومس) ١٥٩ ، ١٦٠ ، ١٦١ ، ١٦٢
ابن أيمن = محمد بن عبد الملك بن أيمن
ابن بزيع = محمد بن بزيع القيم
ابن الجباب = محمد بن ابراهيم بن الجباب
ابن حبيب = عبد الملك بن حبيب
ابن خالد = عبد الله بن خالد
ابن رحمون ١٨٨
ابن الزراد = محمد بن أحمد بن عبد الملك
ابن زونان = عبد الملك بن زونان
ابن شراويل (العجيزة) ١٩٦ ، ١٩٧
ابن الصفار = محمد بن غالب بن الصفار
ابن عائشة القرشى ١٤٧
ابن عبد الحكم = محمد بن عبد الله بن عبد الحكم
ابن عمار ١٦٧
ابن عمر بن عبد العزيز ١٦٤

ابن عمران الطلحي ٨٦
 ابن عيسى ١١٧
 ابن فطيس = عيسى بن فطيس
 ابن فطيس = محمد بن فطيس
 ابن قاسم = ابن القاسم
 ابن القاسم ٨٤ ، ١١٣ ، ١٣٠ ، ١٦٦
 ابن قلزم ١٦١ ، ١٧٨ ، ١٧٩
 ابن لبابة = محمد بن عمر بن لبابة
 ابن مغيث = أحمد بن مغيث
 ابن الملون (الفقيه) ١٦٤
 ابن وضاح = محمد بن وضاح
 ابن اليتيم = رحيم بن عبد الرحمن ابنة عبد الرحمن بن معاوية ١٤٦
 أبو بكر بن أبي شيبة ٥٢ ، ٥٤
 أبو بكر التجيبي ٢٢
 أبو بكر الصديق ٢٢ ، ١٣١
 أبو الحسين زيد بن الحباب = زيد بن الحباب العكلي أبو الحسين
 أبو خالد = هاشم بن عبد العزيز أبو خالد
 أبو الخطار = حسام بن ضرار الكلبى أبو الخطار
 أبو الدرداء ٥٣ ، ٥٤
 أبو الزاهرية = حدير بن قريب أبو الزاهرية
 أبو زيد بن إبراهيم ١٣٢
 أبو سعيد = محمد بن عمر أبو سعيد
 أبو سعيد الأشح ٥٢
 أبو صالح = أيوب بن سليمان أبو صالح
 أبو العباس = أحمد بن عيسى بن محمد المقرئ أبو العباس
 أبو العباس = وليد بن إبراهيم بن لييب أبو العباس
 أبو العباس بن الفرغ بن كنانة ٩٣ ، ٩٨
 أبو عبد الله = مالك بن أنس أبو عبد الله
 أبو عبد الله = محمد بن عبد الملك بن أيمن أبو عبد الله
 أبو عبد الله = محمد بن وضاح أبو عبد الله

أبو عبد الله الفقيه ١٣١
أبو عبد الملك مروان بن عبد الملك الفخار ٥٢
أبو عثمان العراقي ١٣٥
أبو عمر ١٨٣
أبو عمرو بن عمرو بن عبد الله ١٧١
أبو عمرو = أحمد بن عبادة الرعيني أبو عمرو
أبو غالب بن كنانة ٣٦
أبو الغمر بن فهد ٢٠٢
أبو محمد = قاسم بن أصبغ أبو محمد
أبو محمد = مسلمة بن زرعة بن روح
أبو محمد بن عتاب ٢٣
أبو مروان = عبد الله بن يحيى
أبو مروان = عبد الملك بن جهور أبو مروان
أبو مروان = عبد الملك بن حبيب أبو مروان
أبو يحيى (صاحب الأحباس) ١٩٤
أبو يحيى بن خميس ١٨٣
أحمد بن أبي خالد ١٦٥
أحمد بن خيثمة ٥١
أحمد بن أيمن = أحمد بن محمد بن أيمن
أحمد بن بشير بن أغبس ٨١
أحمد بن بقى ٨٢ ، ٨٩ ، ١١١
أحمد بن حزم ١٦
أحمد بن خالد ١٦٣
أحمد بن خالد الجباب ٣٠ ، ٥٢ ، ٥٣ ، ٦٤ ، ٧٣ ، ١٠٥ ، ١٠٦ ، ١٦٥ ،
٢١٤ ، ١٨٥ ، ١٦٦
أحمد بن زياد ٥١ ، ٥٤ ، ٥٦ ، ٧٢ ، ٨٣ ، ١١٧ ، ١٢٩
أحمد بن سعيد ٥٧
أحمد بن عبادة الرعيني ٣٣ ، ١٦٧ ، ١٦٨ ، ١٨٧ ، ١٩٧ ، ٢٠١ ،
٢١٩ ، ٢٢٧ ، ٢٢٨ ، ٢٢٩ ، ٢٣٠ ، ٢٣٣ ، ٣٣٤

أحمد بن عبد الله بن أبي خالد ١٣٦
 أحمد بن عبد الملك ١٠٨ ، ١١٤ ، ١٦٩
 أحمد بن عيسى بن محمدم المقرئ أبو العباس ٣٨ ، ٤٣
 أحمد بن فرج بن منتيل ٣٨ ، ٤٣ ، ٤٤ ، ٤٦ ، ٩٤
 أحمد بن محمد بن أيمن ١١٠ ، ١٢٠ ، ١٣٤
 أحمد بن محمد بن زياد ٦٤
 أحمد بن محمد بن عبد الملك بن أيمن ٥٨ ، ٨١ ، ١٧٤ ، ١٨٤
 أحمد بن محمد بن عمر بن لبابة ١٤٣ ، ٢٢٤
 أحمد بن مغيث ٢٧
 أحمد بن يزيد بن عبد الرحمن ٥٨
 أرميا ١٨٤
 اسحاق بن يحيى ١٢٩
 أسلم بن عبد العزيز ١٧٦ ، ١٧٧ ، ٢٠٧
 اسماعيل بن عثمان بن أيوب ٣٢
 اسماعيل بن يحيى المزني ٢١٢
 أسود بن سليمان ١٨١
 الأشج = أبو سعيد الأشج
 أشهب بن عبد العزيز ١٠٣
 أصبغ بن خليل ٩٠ ، ١٣٢
 أصبغ بن عيسى الشقاق ١١٦ ، ٢٢٦
 أصبغ بن الفرغ ١٠٦ ، ١٨٣ ، ١٨٥
 الأعرج = عبد الله بن محمد بن أبي الوليد الأعرج
 الأعشى = محمد بن عيسى الأعشى
 الهان بن مالك ١٠٣
 أم الأصبغ بنت معاوية ٥٢ ، ٦٤
 أم العباس بنت معاوية ١٥٣
 أمية بن عيسى ١٥٨ ، ١٦٩
 أيوب بن سليمان أبو صالح ٢٠٦ ، ٢٠٧ ، ٢١٤
 بزئب (غلام الحكم) ٦٨
 بقي بن مخلد ٣٥ ، ١٧٥ ، ١٧٦ ، ١٧٧ ، ١٨٢

بكر بن حماد القسام ١٨٠
بلج بن بشر ٤٨
جبير بن نفيير ٥٣ ، ٥٤
جعفر المتوكل ١٢٥ ، ١٣٦
جعفر بن يحيى بن مزين ٢٠٩
حارث بن أبي سعد ١٠٦
الحارث بن مسكين ١٣٥ ، ١٣٦
حبیب القرشى ٦٥ ، ٦٦
حبیش بن نوح ٩٧
حدير بن كريم أبو الزاهرية ٥٣ ، ٥٤ ، ٥٧
حرب ٥٤
حرملة ٤٤
حسام بن ضرار الكلبي أبو الخطاب ٤٨
حسان الفتى ١٣٢
حسين بن الأسوار بن عقبة ١١٠
الحكم بن عبد الرحمن المستنصر ٢٣ ، ٢٥ ، ٢٨ ، ٢٩ ، ٢٣٧
الحكم بن هشام ٦٨ ، ٧٠ ، ٧١ ، ٧٥ ، ٧٦ ، ٨٦ ، ٨٧ ، ٩٣ ، ٩٥ ،
٩٧ ، ٩٩ ، ١٠٠ ، ١٠١
حمدون بن فطيس ٨٥
حميدة بنت معاوية بن صالح ٥٥
حنظلة بن صفوان الكلى ٤٨
خالد بن سعد ٣٠ ، ٣١ ، ٣٢ ، ٣٤ ، ٥٨ ، ٦٥ ، ٧٦ ، ٨٢ ، ٨٣ ،
٨٩ ، ٩٠ ، ٩٣ ، ١٠٥ ، ١٠٦ ، ١٠٨ ، ١١٤ ، ١١٦ ، ١٣٥ ،
١٣٦ ، ١٣٩ ، ١٥١ ، ١٥٦ ، ١٦٢ ، ١٦٣ ، ١٦٥ ، ١٦٦ ، ١٦٨ ،
١٧٥ ، ١٧٦ ، ١٨٢ ، ١٨٣ ، ١٨٥ ، ١٨٨ ، ١٩٠ ، ١٩٣ ، ١٩٤ ،
١٩٦ ، ١٩٧ ، ٢١٠ ، ٢١٢ ، ٢٢٤
خالد بن سعيد بن سليمان ٥٥
خلة ٥٧
ربيع (القومس) ٩٠
رحيم بن اليتيم ١٣٥

رسول الله صلى الله عليه وسلم = محمد صلى الله عليه وسلم

الرعيى = أحمد بن عبادة الرعيى

زرياب ٣٠ ، ٣١

زونان = عبد الملك بن زونان

زياد بن عبد الرحمن ٥٥ ، ٥٦ ، ٧٢

زياد بن محمد بن زياد ٣٦ ، ١٨٢

زيد بن الحباب العكلى بن الحسين ٥٢

زيد الغافقى ١٤٤ ، ١٤٥

سحنون بن سعيد ١٣٠ ، ١٣٥ ، ١٣٦ ، ١٨٣

سعاد ٥٧

سعد بن معاذ الشعبانى ١٢١ ، ٢١٤

سعدون بن ناصر بن قيس ١٣٧

سعيد بن حسان ١٠٦ ، ١١٢ ، ١٤٠

سعيد الخير بن عبد الرحمن ٥٥

سعيد بن سليمان ١١٧ ، ١١٨ ، ١٥٥

سفر ٥٣

سفيان الثورى ٥٠

سفيان بن عيينة ٥٠

سليما بن بنت سليمان بن أسود ١٥٦

سليمان بن سعيد ١٣٥

سليمان بن سليمان بن هاشم المعافى ١٥٥

سليمان بن عبد الرحمن بن معاوية ٦٧

سليمان بن عمران ١٥١ ، ٢٢٢

سليمان بن محمد بن أبى ربيع ١٩٦

السيدة بنت عبد الرحمن بن معاوية ٦٧

الشافعى ٤٤

الشقاق = أصبغ بن عيسى الشقاق

الشقاق (بغلة) ٨٢

الهياد ١٩٩

العباس بن عبد الله المروانى ٦٨ ، ٧٣

عبد الرحمن بن أبي عبدة ٩٥
 عبد الأعلى بن وهب ١٣٢ ، ١٣٣
 عبد الرحمن بن أحمد بن بقي ٢٢٤ ، ٢٢٧ ، ٢٢٩
 عبد الرحمن بن الحكم ٣٠ ، ٣١ ، ٩٥ ، ١٠٢ ، ١٠٦ ، ١٠٧ ، ١٠٨ ،
 ١١٠ ، ١١٢ ، ١٢٤ ، ١٢٥ ، ١٢٨ ، ١٢٢ ، ١٢٦ ، ١٥٥ ، ١٨٣
 عبد الرحمن بن طريف ٦٤
 عبد الرحمن بن عقبة اللخمي ٤٨
 عبد الرحمن بن القاسم ٩٣
 عبد الرحمن بن محمد الناصر ٢٥
 عبد الرحمن بن معاوية ٢٧ ، ٤٧ ، ٤٨ ، ٤٩ ، ٥٠ ، ٥١ ، ٥٢ ، ٥٣ ،
 ٥٤ ، ٥٥ ، ٥٧ ، ٦١ ، ٦٢ ، ٦٤ ، ٦٥ ، ٦٧ ، ٦٨ ، ١١٨ ، ١٢٢
 عبد الرحمن بن مهدي ٥٣
 عبد الكريم بن عبد الواحد ٩٥
 عبد الله بن خالد ١٦٦
 عبد الله بن الزجالي = عبد الله بن محمد الزجالي
 عبد الله بن الفرغ النميري ١٤٦
 عبد الله بن القاسم ١٩٤ ، ١٩٥
 عبد الله بن محمد بن أبي عبدة ٣٦
 عبد الله بن محمد بن أبي الوليد الأعرج ٥٧
 عبد الله بن محمد الزجالي ١٨٧ ، ٢٠٢
 عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن ١٣٦ ، ١٨١ ، ١٨٦ ، ١٩٩ ، ٢٠٠ ،
 ٢٠٢ ، ٢٠٤
 عبد الله بن محمد بن علي اللواتي ٢٣٩
 عبد الله بن يونس ١٦٨ ، ١٨٢
 عبد الملك ٧٦
 عبد الملك بن أبان بن معاوية بن هشام ٧٦
 عبد الملك بن أيمن ٩٨
 عبد الملك بن جهور أبو مروان ١٦٣
 عبد الملك بن حبيب أبو مروان ١١٣ ، ١١٨ ، ١٢٧ ، ١٣٢ ، ١٣٣
 عبد الملك بن حسن ٧٢ ، ٨٦

عبد الملك بن زونان ١٠٦ ، ١١٢ ، ١٢٧ ،
عبد الملك بن قطن الفهرى ٤٨
عبد الملك بن مغيث ٩١
عبد الملك بن العباس القرشى ١٦٣
عبد الملك بن عمر المروانى ٧٢
عبد بن عبد الله ٥٢
عبيد الله بن عبد العزيز ١٥٨
عبيد الله بن يحيى أبو مروان ٢٨ ، ٣٠ ، ٦١ ، ٨٥ ، ٩١ ، ٩٢ ، ١٠٧ ،
١٢٨ ، ١٢٩ ، ٢٢٣

عثمان بن سعيد الزاهد ١٠٨ - ١١٤
عثمان بن عبد الرحمن بن عبد الحميد ١٠٥ ، ١٠٦
عثمان بن عفان ٣٣ ، ٢١٢
عثمان بن محمد ٢٨ ، ٣٠ ، ٨٥ ، ١٠٧ ، ١٤٩ ، ٢٠٩
العجيزة = ابن شراحيل العجيزة
عقبة بن الحجاج السلولى ٣٨ ، ٣٩
على ٥٤

على بن أبى طالب ٢٩ ، ١٣١
عمارة ٩٥ ، ٩٦
عمران بن شفى ٦٧
عمر بن أحمد بن يوسف المقدسى ٢٢٩
عمر بن الخطاب ٣٣
عمر بن عبد العزيز ٤٧
عمر بن يحيى بن لبابة ٢٠٦
عيسى بن بكر المعلم ٥٦
عيسى الزاهد ٥٨
عيسى بن فطيس ١٤٧
غراب ١٢٩
فرج بن سلامة بن زهير البلوى ١١٧ ، ١٣٥ ، ١٣٧ ، ١٥٦ ، ٢٠١ ،
٢٢٤ ، ٢٢٥

الفهرى = يوسف بن عبد الرحمن الفهرى

قاسم بن أصبغ البياني أبو محمد ٣٦ ، ١٨٠ ،

قاسم بن هلال ٨٣ ، ٨٤ ،

القسام = بكر بن حماد القسام

القيم = محمد بن بزيع القيم

اللواتي = عبد الله بن محمد بن علي اللواتي

اللواتي = محمد بن محمد بن محمد بن عبد الرحمن اللواتي

الليث بن سعد ٥٠ ، ٧٢ ، ١٢٩ ،

مالك بن انس ٥٠ ، ٥٦ ، ٥٧ ، ٧٢ ، ٨٠ ، ٨١ ، ٨٥ ، ٨٦ ، ٨٧ ،

محمد صلى الله عليه وسلم ٣٢ ، ٣٩ ، ٤١ ، ٥٣ ، ٦٥ ، ١٣٠ ، ١٣١ ،

١٣٢ ، ١٣٣ ، ٢٣٩ ،

محمد بن ابراهيم بن الجباب ٦٥ ، ٢١٠ ، ٢٢٨ ،

محمد بن أحمد بن أبي خيثمة ٥١

محمد بن أحمد الشيباني ٧٩

محمد بن أحمد بن عبد الملك (ابن الزرّاد) ١٠٢

محمد بن أحمد العتبي ١٣٩

محمد بن الأغلب التميمي ١٣٦

محمد بن أمية ٢٠٣ ، ٢٠٤ ،

محمد بن أيمن = محمد بن عبد الملك بن أيمن

محمد بن بزيع القيم ١٦٢

محمد بن جهور ١٦٤

محمد بن حارث الخشنى أبو عبد الله ٢٣ ، ٢٦ ، ٢٧ ، ٢٨ ، ٢٩ ، ٣٠ ،

٣١ ، ٣٢ ، ٣٣ ، ٣٤ ، ٣٥ ، ٣٦ ، ٣٨ ، ٤٣ ، ٤٦ ، ٤٧ ، ٤٨ ،

٤٩ ، ٥٠ ، ٥١ ، ٥٢ ، ٥٣ ، ٥٤ ، ٥٦ ، ٥٧ ، ٦١ ، ٦٣ ، ٦٥ ،

٦٧ ، ٦٨ ، ٦٩ ، ٧١ ، ٧٢ ، ٧٣ ، ٧٤ ، ٧٥ ، ٧٦ ، ٧٩ ، ٨٠ ،

٨٥ ، ٨٦ ، ٨٧ ، ٨٨ ، ٩٠ ، ٩١ ، ٩٣ ، ٩٤ ، ٩٥ ، ٩٩ ، ١٠٠ ،

١٠١ ، ١٠٢ ، ١٠٦ ، ١٠٧ ، ١٠٨ ، ١٠٩ ، ١١٠ ، ١١٢ ،

١١٥ ، ١١٧ ، ١١٨ ، ١١٩ ، ١٢١ ، ١٢٢ ، ١٢٣ ، ١٢٤ ، ١٢٥ ،

١٢٧ ، ١٢٨ ، ١٢٩ ، ١٣٠ ، ١٣٢ ، ١٣٣ ، ١٣٥ ، ١٣٧ ، ١٤٠ ،

١٤١ ، ١٤٢ ، ١٤٣ ، ١٣٦ ، ١٤٧ ، ١٤٨ ، ١٥٠ ، ١٥٨ ، ١٦٢ ،

١٦٣ ، ١٦٤ ، ١٦٥ ، ١٦٦ ، ١٦٧ ، ١٦٨ ، ١٧٠ ، ١٧٢ ، ١٧٣ ،

، ١٨٧ ، ١٨٦ ، ١٨٣ ، ١٨٢ ، ١٨١ ، ١٨٠ ، ١٧٨ ، ١٧٧ ، ١٧٤
، ٢٠٢ ، ٢٠١ ، ٢٠٠ ، ١٩٧ ، ١٩٣ ، ١٩١ ، ١٩٠ ، ١٨٩ ، ١٨٨
، ٢١٥ ، ٢١٤ ، ١١٣ ، ٢١١ ، ٢١٠ ، ٢٠٩ ، ٢٠٧ ، ٢٠٦ ، ٢٠٤
، ٢٢٨ ، ٢٢٧ ، ٢٢٤ ، ٢٢٣ ، ٢٢٢ ، ٢٢٠ ، ٢١٩ ، ٢١٨ ، ٢١٧
٢٢٨ ، ٢٢٧ ، ٢٢٦ ، ٢٣٥ ، ٢٣٤ ، ٢٣٣ ، ٢٣٢ ، ٢٣١ ، ٢٢٩

محمد بن حفص ٩٤

محمد بن خالد ٨٤

محمد بن سعيد ١١٥ ، ١٤١

محمد بن سعيد بن سليمان ١٤١

محمد بن السليم ١٣٢

محمد بن صالح ٥٨

محمد بن عبد الأعلى ٨٢

محمد بن عبد البر ٢١٧

محمد بن عبد الرحمن بن الحكم ٣٢ ، ٣٣ ، ٣٤ ، ٣٥ ، ١٣٦ ، ١٤٠ ،

، ١٦٨ ، ١٦٤ ، ١٦٠ ، ١٥٦ ، ١٥٥ ، ١٥٤ ، ١٤٦ ، ١٤٣ ، ١٤٢

١٨٠ ، ١٧٧ ، ١٧٦ ، ٧٤ ، ١٧٣ ، ١٧٠

محمد بن عبد الله بن أبي عيسى ١٢٨ ، ١٢٩

محمد بن عبد الله بن عبد الحكم ٢١٢ ، ٢١٣

محمد بن عبد الله بن القوق ٨٦

محمد بن عبد الملك بن أيمن أبو عبد الله ٥١ ، ٥٥ ، ٦٤ ، ٩٣ ، ١١٣ ،

، ١٨٠ ، ١٧٠ ، ١٦٧ ، ١٥١ ، ١٤٤ ، ١٤٠ ، ١٣٤ ، ١٢٣ ، ١١٤

٢٣٣ ، ٢٠٧ ، ٢٠٦ ، ١٩٧ ، ١٨٧ ، ١٨٣ ، ١٨٢

محمد بن عمران الطلحي ٧٢

محمد بن عمر أبو سعيد ٦٢

محمد بن عمر بن عبد العزيز ٥٤ ، ٨٦ ، ١٠٣ ، ١١٢ ، ١٦٢

، ١٦٥ ، ١٥٦ ، ١٣٩ ، ١١٧ ، ٨٦ ، ٥٧ ، ، ٥٦ ، ١٦٥ ، ١٩٦ ، ١٩٧ ، ١٩٣ ، ١٩٠ ، ١٦٦

، ٢٠٦ ، ٢٠٢ ، ٢٠١ ، ١٩٧ ، ١٩٦ ، ١٦٥ ، ١٩٣ ، ١٩٠ ، ١٦٦

٢١٦ ، ٢٠٧

محمد بن عيسى الأعشى ٨٠ ، ١١١ ، ١٣٠ ، ١٣١

محمد بن غالب بن الصغار ٢٨ ، ١٨٤ ، ١٩١ ، ١٩٨

محمد بن فطيس ٣٤ ، ٧٦
 محمد بن قاسم ١٦٢
 محمد بن محمد بن محمد بن عبد الرحمن اللواتي (ابن بطوطة) ٢٣٩
 محمد بن مسور ١٨٥ ، ١٨٨
 محمد بن موسى ١٦٤
 محمد بن هاشم الزاهد ١٩٣
 محمد بن هشام ٥٨
 محمد بن وضاح أبو عبد الله ٣١ ، ٤٧ ، ٤٩ ، ٥٠ ، ٥١ ، ٥٤ ، ٦١ ،
 ٧٢ ، ٧٥ ، ٧٧ ، ٧٩ ، ٨٣ ، ٨٤ ، ٨٧ ، ٩٠ ، ١٠٥ ، ١٠٦ ، ١١٧ ،
 ١١٨ ، ١٢٩ ، ١٣٠ ، ١٣٤ ، ١٣٥ ، ١٥٧
 محمد بن وليد ١٥٣ ، ٢٠٦ ، ٢١٥
 محمد بن يوسف بن مطروح ١٤٢ ، ١٥٩ ، ١٦٩
 مرة بن دسم ١٠٥
 مروان بن عبد الملك الفخار أبو عبد الملك = أبو عبد الملك مروان بن عبد
 الملك الفخار
 ميلمة بن زرعة بن روح أبو محمد ٤٤ ، ٤٦
 المسيح بن مريم (عليه السلام) ١٢٢
 معاوية بن صالح الحضرمي ١٢٨
 المنذر بن محمد ٣٣ ، ٣٥ ، ١٨٠ ، ١٨٣ ، ١٨٤ ، ٢٠٥
 موسى بن حديد = موسى بن محمد بن حديد
 موسى بن سماعة ٨٧
 موسى بن محمد بن حديد ٣٦ ، ١١٩ ، ٢٢٢ ، ٢٣٠
 الموفق ٢٤
 مؤمن بن سعيد الشاعر ١٤٩ ، ١٥١
 ناصر بن قيس ١٣٧ ، ١٣٨
 نصر الفتى ١٣٩
 النميري = عبد الله بن فرج النميري
 هاشم بن رزين ١٦٤
 هاشم بن عبد العزيز أبو خالد ٣٢ ، ٣٣ ، ١٤٣ ، ١٤٧ ، ١٥٨ ، ١٥٩ ،
 ١٦٠ ، ١٦١ ، ١٧٥ ، ١٧٦ ، ١٧٧ ، ١٧٨ ، ١٧٩

هشام بن عبد الرحمن بن معاوية ٢٧ ، ٢٨ ، ٥٨ ، ٦٧ ، ٦٨ ، ٦٩

هشام بن عبد الملك ٦٧

وليد بن ابراهيم بن لبيب أبو العباس ١٥١ ، ١٥٢ ، ١٥٦ ، ١٧٥

يحيى ١٢٧

يحيى بن اسحاق ٢٣٠

يحيى بن زكريا ٣١ ، ٩٠ ، ١٥٧

يحيى بن سعيد القطان ٥٠ ، ٥٣

يحيى بن معين ٥٠

يحيى بن يزيد بن هشام ٤٩

يحيى بن يوسف بن يحيى المعافري ٧٦

يوسف بن بسيل ١٦٣

يوسف بن عبد الرحمن الفهري ٤٨ ، ٤٩ ، ٥٧

يوسف الفهري = يوسف بن عبد الرحمن الفهري

يونس بن عبد الأعلى ٢١٢

يونس بن هتدي ١٢٢

(٣) فهرست القبائل

- أل الفرج بن كنانة ٩٤
أهل اشبيلية ١٠٣ ، ١٦٤
أهل باجة ٦١
أهل جيان ٩٩ ، ١١٠ ، ١٢١ ، ١٢٥
أهل حمص ٥١
أهل الشام ٥٠ ، ٥١ ، ٥٢ ، ٥٣
أهل شذنة ١٠١
أهل العراق ٥١
أهل قرطبة ٩٤ ، ١١٣
بنو اسرائيل ١٨٥
بنو الأغلب ٤٣
بنو أمية ٤٤ ، ٢١٣
بنو حاطب بن أبي بلتعة ٦٧
بنو زياد ١٨٣
بنو شهيد ١٨٩
بنو العباس ١١٧ ، ١٢٠
بنو قتيبة ١٢٧
بنو موسى ١٠٠
الشيعة ٤٣
العرب ٩٥ ، ٩٦ ، ١٤٦
عرب الشام ٦٧ ، ١٠٠ ، ١٠٣
عكل ٥٢
قريش ١٨٣
كنانة ٩٣

(٤) فهرست الأماكن

- أريونة ٣٨ ، ٩١
أستجه ٦٣ ، ٨٩ ، ١٤٦
أسترقه ٩٥
الاسكندرية ١٣٦
أشبيلية ٥٠ ، ٥٢ ، ١٠٠ ، ١٠٣ ، ١٠٤ ، ١١٢ ، ١١٤ ، ١٦٤ ، ٢١٥
أفريقية ٤٨ ، ١٣٦
البيره ١٣٣ ، ١٧٥ ، ٢٣٢ ، ٢٣٣ ، ٢٣٤
الأندلس ٢٦ ، ٣٨ ، ٤٤ ، ٤٦ ، ٤٨ ، ٥٠ ، ٥١ ، ٥٢ ، ٥٣ ، ٥٤ ،
٥٦ ، ٥٨ ، ٦٧ ، ٧٢ ، ٩٣ ، ٩٤ ، ٢١٢
باب العطارين ١٥٧
باب القنطرة ١٤٢
باب اليهود ١٤٠
باجة ٦١ ، ٧٣
بازو ٦٧
باغة ١٥٧
بريل ١١٧
تنس ٣٨
تونس ٨٠
جامع الزهراء ٢٣٧
جليقية ٩٥
جيان ٢٩ ، ٣٤ ، ٣٥ ، ٦٢ ، ٦٧ ، ٦٨ ، ١١٠ ، ١٢١ ، ١٢٥ ، ١٤٨ ،
١٩٩ ، ٢٢٢ ، ٢٣٤
حمص ٥٠ ، ٦٧
دمشق ١٣٥
الريض ٥٨

الرملة ١٣٥

ريسه ١٨٣

سرقسطة ٥٤

الشام ٤٤ ، ٤٨ ، ٥١ ، ٥٣ ، ٥٨ ، ٦٥ ، ٦٧ ، ١٠٠ ، ١٣٥

شبلاد ٥٤

شدونة ٩٣ ، ٩٤ ، ٩٥ ، ٩٨ ، ١١٠ ، ١٦٣ ، ١٨٦

طليطلة ٢٢٤

العراق ٥١ ، ٥٢

العريش ٤٤

غافق ١٣٥ ، ١٥٥

غليار ٦٧

فحص البلوط ١٣٧ ، ١٥٥

فلسطين ١٠٠

قبرة ١٨٦

قرطبة ٢٤ ، ٢٧ ، ٢٩ ، ٣٢ ، ٣٥ ، ٣٨ ، ٣٩ ، ٤٤ ، ٤٧ ، ٥٥ ، ٦١ ،

١٠٢ ، ١٠٠ ، ٩٥ ، ٩٤ ، ٩٣ ، ٨٢ ، ٨١ ، ٧٧ ، ٧٣ ، ٦٧ ، ٦٤

١٠٤ ، ١٠٥ ، ١٠٧ ، ١٠٨ ، ١١٢ ، ١١٨ ، ١٢٦ ، ١٢٧ ، ١٣٥ ،

١٣٦ ، ١٣٩ ، ١٥٥ ، ١٥٦ ، ١٦٩ ، ١٨٢ ، ١٨٨ ، ٢١٣ ، ٢٣٢ ،

٢٣٩

قلعة الأشعث ١٢١

قنسرين ١٢١

القيروان ١٣٥ ، ١٥١ ، ١٨٣ ، ٢١٢

ليلة ٢١٥

ماردة ٤٨ ، ٦٤ ، ١٥٥ ، ١٥٦

المدور ٦٧ ، ١١٤

المدينة ٧٢ ، ٨٤ ، ٨٦

مسجد أبي عثمان ٧٦ ، ١٤٨

المسجد الحرام ٥٣

مسجد قرطبة ٥٥

المصاره ٢٢

مصر ٥٤ ، ٧٣ ، ٨٤ ، ١٣٥ ، ١٣٦ ، ١٨٣ ، ٢١٢

مفرانة (حارة) ١٠٣

المغرب ٢٤

مقبرة الربض ٦٧ ، ١١٠

منية الرصافة ٤٩

(٥) فهرست الشعراء

الغزال ١٣٦

مؤمن بن سعيد ١٧١ ، ١٧٢

(٦) فهرست القوافي

الصفحة	البحر	القافية
١٨١	بسيط	غياب
١٢١	طويل	يخامرا
١٧١	طويل	يزرى
١٢٦	طويل	الفضل
٧٤	بسيط	عملا
١٢٢	طويل	مريما

(٧) فهرست الكتب

تاريخ أحمد بن أبى خيثمة ٥١
الموطأ لمالك بن أنس ٨٦

(٨) فهرست المراجع

أخبار مجموعة
الأنساب للسمعاني
تاريخ افتتاح الأندلس لابن القوطية
تذكرة الحفاظ للذهبي
التكملة لابن الأبار
تهذيب التهذيب لابن حجر
جدوة المقتبس للحميدى
جمهرة أنساب العرب لابن حزم
الخلاصة فى أسماء الرجال للخزرجى
صفة جزيرة الأندلس
قضاة الأندلس للنباهى
معجم البلدان لياقوت
المغرب فى حلى المغرب لابن سعيد
ميزان الاعتدال للذهبي

(٩) الخطأ والصواب

خطأ	صواب	صفحة	سطر
الكمبي	الكلبي	٤٨	١٠
بحدير بن	بحدير ، ابن	٤٩	٥
ابنه	ابنة	١٤٦	٤
سليمان بن سود	سليمان بن أسود	١٣٥	٨
خالد بن	خالد ، ابن	١٥٥	٦
فرج بن سلمة	فرج بن سلامة	١٥٦	١٤
بن انتقيان	ابن انتقيان	١٦٠	٧
محمد (بالتنوين)	محمد (من غير تنوين)	١٦٢	٣
أحمد بن أبي خالد	أحمد بن خالد	١٦٥	١٩
نضحى	تضحى	١٧٤	٨
نمسي	تمسي	١٧٤	٨
ابن الربيع	ابن أبي ربيع	١٩٦	١٠
محمد بن عمر لبابه	محمد بن عمر بن لبابة	٢٠٧	٢
أحمد ابن	أحمد بن	٢١١	٩
عبد الله ابن	عبد الله بن	٢١٢	١١ ، ٤
ابن جدير	بن جدير	٢٢٢	١٧
يحيى ابن	يحيى بن	٢٣٠	١١

دار الكتاب المصري دار الكتاب اللبناني
المتاهرة بيروت